



مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية - علمية - محكمة - تصدر عن الكلية العليا للقرآن الكريم - الجمهورية اليمنية - العدد السادس - ديسمبر ٢٠٠٨ م

الإحسان .. مفهومه أنواعه صورته في ضوء القرآن والسنة

أ.د. حسن محمد علي شبالة

خصائص السنة المطهرة

أ.د. عبدالرحمن إبراهيم الخميسي

عز الدين بن الوزير اجتهداه وجهوده الحديثية في ميزان أهل السنة

د. علي حسن مثنى هادي

العلاقة مع غير المسلمين دعوياً واجتماعياً واقصادياً وثقافياً

أ.د. عبدالله قاسم الوشلي

The Holy Quran High College Magazine



Annual, Scientific and Precise, Issued By The Holy Quran High College - 6th Issue December 2008

Charity / Its concept, kinds, and forms according to Quran and Sunnah.

Prof. Hassan Mohammed Ali Shabalah

The Sunnah Mutaharrah characteristics

Prof. Abdulrahman Ibrahim Al- khamisi

Ezzaddin Bin Al-wazeer / his work and prophetic tradition efforts with Ahl Alsunnah.

Dr. Ali Hassan Mothanna Hadi

The relation with non-Muslims, missionally, socially, economically and culturally

Prof. Abdullah Qasem Al-weshali

الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية - علمية - محكمة - تصدر عن الكلية العليا للقرآن الكريم
الجمهورية اليمنية - العدد السادس - ديسمبر ٢٠٠٨ م

صهيب
777765685

مجلة

الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية علمية محكمة

تصدر عن

الكلية العليا للقرآن الكريم

الجمهورية اليمنية

العدد السادس

رئيس التحرير

أ.د. عبد الحق القاضي

مدير التحرير

أ. حسن محمد جابر

نائب مدير التحرير

أ. فوزية الغابري

سكرتير التحرير

فؤاد محمد السريحي

الطباعة والإخراج الفني

أحمد علي الحبابي

الهيئة الاستشارية

أ.د. حسن محمد مقبولي الأهدل

أ.د. محمد سنان الجلال

أ.د. عبد الكريم زيدان

أ.د. عبد الوهاب بن لطف الديلمي

أ.د. علي غالب المخلافي

أ.د. صالح عبد الله الظبياني

أ.د. محمد يوسف الريدي

أ.د. عبد الرحمن إبراهيم الخميس

أ.د. محمد حاتم المخلافي

أ.د. إبراهيم إبراهيم القريبي

د. عبد الله عثمان المنصوري

د. زيد علي الغيلي

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان التالي :

مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم . الجمهورية اليمنية . صنعاء

هاتف : ٢١٦٨٦٤/٥ - فاكس : ٢١٦٨٦٩ - ١ - ٠٠٩٦٧ . ص.ب : (١١٢٢٩)

الموقع : www.hcqk.org Web-site : البريد الإلكتروني : hcqk@hcqk.net E-mail :

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

معايير النشر وضوابطه

تعنى المجلة بنشر البحوث الأصلية والمبتكرة في مجالات العلوم القرآنية وفاء بمقتضيات الرسالة العلمية للكلية العليا للقرآن الكريم وذلك وفقاً للضوابط والمعايير التالية :

(١) أن يتسم البحث بالأصالة ، مع وجوب مراعاة الموضوعية في العرض والتناول ، والدقة والوضوح في اللغة العربية والأسلوب ، واستيفاء التوثيق المنهجي للنصوص والمقتبسات بذكر المصادر والمراجع ، وتحديد أرقام الآيات وتخريج الأحاديث .

(٢) ألا يزيد عدد صفحات البحث على خمسين صفحة نوعية A4 بواقع (٣٠٠) كلمة للصفحة الواحدة ، وألا يقل عن عشرين صفحة .

(٣) يقدم البحث منسوخاً على قرص مع ثلاث نسخ ورقية A4 مع الالتزام بالمواصفات الفنية التالية:

أ- الهوامش (أعلى ٢.٧٦ سم أسفل ٤ سم أيسر ٢ سم أيمن ١.٥ سم)

ب- نوع الخط: Traditional Arabic

ج- حجم الخط : (العناوين الرئيسية ٢٠ مسوداً العناوين الفرعية ١٨ مسوداً المتن ١٧ غير مسود).

د- الآيات القرآنية: الحجم ١٤ وتكتب بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين ويفضل أن يكون ببرنامج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

هـ - تكتب الأحاديث النبوية بخط ١٦ مسوداً بين قوسين عاديين
مقاس ١٢ » » .

و - تكتب النقول بين علامتي تنصيص « »

ز - الحواشي السفلية بحجم ١٣ غير مسودة ، وتوضع أرقام الحواشي
بين قوسين () .

٤) ألا يكون البحث منشوراً من قبل ، أو مقبولاً للنشر بجهة أخرى وأن لا
يكون جزءاً من بحث سابق .

٥) رسوم التحكيم والنشر:

أ- البحوث المرسلة من خارج اليمن (٥٠\$) دولار أمريكي.

ب- البحوث من داخل اليمن عشرة آلاف ريال يمني.

(وهذه الرسوم غير قابلة للإرجاع سواء تم قبول البحث للنشر
أم لم يتم) .

ج - إذا تم قبول النشر للبحث يدفع الباحث الآتي:

• من خارج اليمن خمسون دولاراً أمريكياً.

• من داخل اليمن عشرة آلاف ريال يمني.

د - أعضاء هيئة التدريس والباحثون بالكلية يعفون من هذه الرسوم.

تخضع البحوث المقدمة للنشر للفحص والتقويم من قبل محكمين أو أكثر من
الأساتذة المتخصصين ذوي الخبرة في المجال ذاته .

المحتويات

ص	الباحث	الموضوع
٩	أ.د. حسن بن محمد شبالة	الإحسان مفهومه أنواعه صورته في ضوء القرآن والسنة
٨٩	أ.د. عبد الرحمن إبراهيم الخميس	خصائص السنة المطهرة
١٦١	د. علي حسن مثنى هادي	عز الدين ابن الوزير اجتهاده وجهوده الحديثة في ميزان أهل السنة
٢١٧	أ.د. عبد الله قاسم الوشلي	العلاقة مع غير المسلمين دعوى واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً

تعريف بالرسائل

ص	الباحث	الموضوع
٢٩٣	الجنيد الطيب أمين	مقاصد القرآن في السبع المثاني بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم

الْمُقَدِّمَةُ

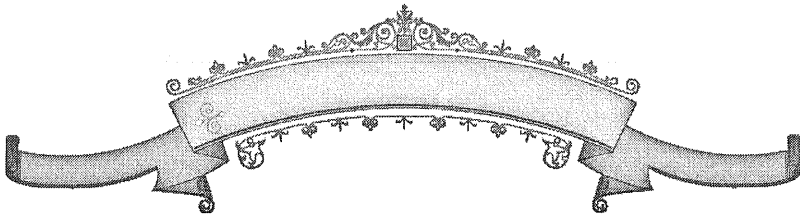
الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله وصحبه وسلم تسليماً
كثيراً . أما بعد :

فيسرنا في الكلية العليا للقرآن الكريم أن نقدم للعلماء وطلاب العلم والباحثين
والمهتمين بالدراسات القرآنية بخاصة والإسلامية بعامة العدد السادس من حولية
الكلية عسى أن يجدوا فيها بعض ما يروي ظمأهم ويسد بعض الثغرات في هذه
المجالات التي تفتقر إلى المزيد من البحث والدراسة خاصة مع تقادم العهد ،
واستقبال المسلمين لسيل الأبحاث والدراسات التي تحاول التشكيك في مصداقية
مصدر هذا الدين ، وفي قدراته على إعادة صياغة حياة الأمة على منهجه المبين.
وترحب المجلة بأي مقترحات أو دراسات حول ما ينشر فيها بقصد التقييم
وإسداء النصح للباحثين وإرشادهم إلى ما يجب أن تتوجه إليه أعلامهم وتتوخاه
مداركهم واجتهاداتهم وهم يعالجون مباحثهم لتكون أكثر اقتراباً من مشكلات
العصر ومعاناة الناس.

كما يسرنا في المجلة أن نستقبل أبحاث العلماء المتميزين من درجة أستاذ ويمكن
أن ننشر أبحاثهم بدون اللجوء إلى التحكيم عرفاناً بجهودهم وتميزهم وخبرتهم في
مجال البحث ولا سيما فيما يتعلق بالأبحاث التي تعالج مشكلات التعليم الجامعي
في مجال الدراسات القرآنية والإسلامية عموماً.

أرجوا من الله العليّ القدير أن يوفقنا جميعاً لخدمة هذا الدين وأن يجعل عملنا
خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً للفوز بجنت النعيم فهو نعم المولى ونعم المعين.

مدير التحرير



الإحسان مفهومه أنواعه صورته

في ضوء القرآن والسنة

أ.د. حسن محمد علي شبالة

أستاذ الحديث والتفسير المشارك

بقسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية

جامعة إب

خلاصة البحث

يهدف هذا البحث إلى معرفة مفهوم الإحسان وأنواعه وصوره وثماره من خلال نصوص القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة ، سلكت فيه المنهج الاستقرائي ، وتتبع لفظ " الإحسان " ومشتقاته في النصوص القرآنية والنبوية ، ثم قمت بتحليلها ومعرفة المراد منها ، وسيرت معانيها من خلال أقوال المفسرين وشرّاح الحديث ، ثم قسمتها إلى عدة عناوين ، وجمعت تحت كل عنوان ما يتعلق به ، مستخدماً في ذلك منهج التفسير الموضوعي ، وقد جمعت بين تفسير القرآن بالقرآن لأنه ما أجمل في موضع ، فإنه قد بسط في موضع آخر ، وتفسر القرآن بالسنة النبوية الصحيحة ، فإن السنة شارحة للقرآن وموضحة ومبينة له ، كما اعتمدت على تفسير الصحابة والتابعين ، كما أنني لم أهمل التفسير بصحيح المعقول.

وقد ورد لفظ " الإحسان ومشتقاته " ، في القرآن الكريم في (١٥٣) موضعاً وله معانيه المتنوعة بحسب سياق اللفظ وكذلك ورد في السنة عدد لا بأس به من الأحاديث الصحيحة التي تبين مفهوم الإحسان وأنواعه وصوره ، ولم أجد بحثاً علمياً مختصاً - فيما أعلم - تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، التي ورد فيها هذا اللفظ ، وفسرها تفسيراً موضوعياً ، إلا رسالة لابن تيمية ، رحمه الله ، بعنوان : " الحسنة والسيئة في القرآن الكريم " وهي مطبوعة ، وبناء على ذلك فقد

استبعدت من مكونات البحث لفظ "الحسنة" التي وردت في (٣١) موضعاً من القرآن الكريم .

لذلك فقد عازمت على كتابة هذا البحث ، و حرصت أن يكون بعبارة سهلة مختصرة ، ولم أستدل من السنة إلا بحديث مقبول يحتاج به .

وسميت: "الإحسان، مفهومه، أنواعه وصوره، وثماره ، في ضوء القرآن والسنة" وجعلته في: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

ففي التمهيد ذكرت: مفهوم الإحسان في اللغة وأنه يدور حول معنيين : الأول: الإتقان ، والثاني : الإنعام . أما في الاصطلاح ، فالإحسان له ثلاث معان هي فعل الحسنات، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى، وبينت أن العلاقة واضحة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي لهذه الألفاظ .

وفي المبحث الأول : عرضت فيه أساليب القرآن الكريم والسنة في الدعوة إلى الإحسان من خلال خمسة أساليب هي :

الأسلوب الأول: وصف الله أسمائه بالحسن وإخباره عن أفعاله أنها حسنة.

والأسلوب الثاني: الأمر بالإحسان والحث عليه.

والأسلوب الثالث: مدح المتصفين به والثناء عليهم ، وذكر جزائهم.

والأسلوب الرابع : جعل وصف الحسن لكل ما مدحه وأثنى عليه.

والأسلوب الخامس: دعاء النبي ﷺ ربه بلوغ رتبة الإحسان في الأعمال .

وفي المبحث الثاني: بينت أنواع وصور الإحسان الواردة في نصوص القرآن والسنة وهي أربعة أنواع وهي:

- النوع الأول: إحسان الله إلى الخلق، وصوره.
- والنوع الثاني: إحسان العبد مع ربه ، وصوره .
- والنوع الثالث: إحسان العبد مع الناس ، وصوره .
- والنوع الرابع: الإحسان مع باقي الخلق وصوره .

وفي المبحث الثالث: تحدثت عن ثمار الإحسان في الدنيا والآخرة ، من خلال نصوص القرآن والسنة .

وختمت بذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها أثناء البحث. أسأل الله أن ينفعني به، ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وينفع به من قرأه من المسلمين، ويجعله ذخرا لي يوم ألقاه ، آمين .

* * *

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد:

فإن الله أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وجعله برحمته هدى للناس عموماً وللمتقين خصوصاً، يخرجهم به من ضلال الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان والتقوى والعلم، وأنزله شفاء للصدور من أمراض الشبهات والشهوات، وأخبر أنه لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه؛ وذلك لاشتماله على الحق العظيم في أخباره وأوامره ونواهيه، وأنزله مباركاً، فيه الخير الكثير والعلم الغزير والأسرار البديعة والمطالب الرفيعة، فكل بركة وسعادة تنال في الدنيا والآخرة، فسببها الاهتداء به واتباعه، وأخبر أنه مصدق لما جاء في الكتب السابقة ومهيمن عليها، فما يشهد له فهو الحق وما رده فهو المردود لأنه تضمنها وزاد عليها.

وقال تعالى فيه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ المائدة: ١٦ فهو هادٍ لدار السلام مبين لطريق الوصول إليها، وحاثٌ عليها، وكاشف عن الطريق الموصلة إلى دار الآلام، ومحذر منها .

وقال الله تعالى مخبراً عنه : ﴿الرَّكَتَبُ أَحْكَمْتُ أَيْنَهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ مود:
 فبين آياته أكمل تبين، وأتقنها أي إتقان ، وفصلها بتبين الحق من الباطل والرشد
 من الضلال تفصيلاً كاشفاً للبس ؛ لكونه صادراً من حكيم خبير فلا يخبر إلا
 بالصدق والحق واليقين ولا يأمر إلا بالعدل والإحسان والبر ، ولا ينهى إلا عن
 المضار الدينية والدينية ^(١).

"فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من
 مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مُمَنَّا قَلِيلًا فَيُحْسِنُوا مَا يَشْتَرُونَ﴾
 آل عمران: ١٨٧...، فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح
 الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في
 موضع آخر، فإن أعيك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة
 له...، ولهذا قال رسول الله ﷺ : «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» ^(٢) ، يعني
 السنة ، والسنة أيضاً تتزل عليه بالوحي كما يتزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى
 القرآن . " ^(٣)

(١) من مقدمة تفسير السعدي : ج ١/ص ٢٩، — بتصرف يسير.

(٢) أخرجه : احمد ١٣٠/٤ برقم ١٧٢١٣ وابو داود ٢٠٠/٤ برقم ٤٦٠٤ و الترمذي ٣٨/٥ برقم ٢٦٦٤ .

وقال شعيب الأرناؤوط في تخريجه للمسندين : إسناده صحيح ، رجاله ثقات.

(٣) أنظر : مقدمة تفسير ابن كثير: ج ١/ص ٤ .

سبب اختيار الموضوع وأهميته :

- بناءً على ما سبق وكتطبيق عملي لمنهج التفسير الموضوعي ، فقد اخترت مفهومًا شرعيًا ، وهو: "الإحسان" ليكون مادة هذا البحث ، لسببين :
- ١- إن هذا المفهوم تكرر كثيرًا في القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث ورد لفظ: "الإحسان ومشتقاته"، في القرآن الكريم في (١٥٣) موضعًا، وله معانيه المتنوعة بحسب سياق اللفظ، وكذلك ورد في عدد لا بأس به من الأحاديث النبوية.
 - ٢- لم أجد بحثًا علميًا مختصًا - بحسب علمي - تتبع نصوص القرآن والسنة، التي ورد فيها هذا اللفظ ، وفسرها تفسيرًا موضوعيًا .
- لذلك فقد عازمت على كتابة هذا البحث ، وسميته : " الإحسان، مفهومه ، أنواعه وصوره ، في ضوء القرآن والسنة "

خطة البحث :

- اقتضت طبيعة البحث أن يكون في: مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة :
- المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وخطة البحث ومنهجي فيه .
- التمهيد في : مفهوم الإحسان في اللغة والاصطلاح .
- المبحث الأول: أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الإحسان .
- المبحث الثاني: الإحسان ، أنواع وصور .
- المبحث الثالث: ثمرات الإحسان وفوائده
- الخاتمة : وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها أثناء البحث .

منهجي في كتابة البحث :

- ١ - استخدمت في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي للنصوص فقامت بتتبع لفظ : " الإحسان ومشتقاته " ، في نصوص القرآن والسنة.
- ٢ - لم أستدل من السنة النبوية إلا بحديث مقبول يحتج به ، ولذلك استبعدت من البحث الأحاديث الضعيفة والموضوعة .
- ٣ - ثم استخدمت المنهج التحليلي لمدلولات تلك النصوص ؛ فسبرت معانيها من خلال أقوال المفسرين وشرّاح الحديث .
- ٤ - ثم قسمتها إلى عدة عناوين وجمعت تحت كل عنوان ما يتعلق به ، وحرصت أثناء صياغته على أن يكون بعبارة سهلة مختصرة ، بعيداً عن التظويل والتعقيد .

الدراسات السابقة :

لم أقف على بحث بهذه الصورة عن الإحسان ، إلا رسالة ، لابن تيمية _ رحمه الله ، بعنوان : "الحسنة والسيئة في القرآن الكريم " وهي مطبوعة ، وقد تحدث فيها عن مدلول الحسنة والسيئة في القرآن الكريم ، بشيء من التوسع والاستطراد وقد أحصيت لفظ الحسنة في القرآن فبلغ (٣١) موضعاً من القرآن الكريم ؛ واستبعدتها من مكونات البحث .

أسأل الله أن ينفعني به ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وينفع به المسلمين ، إنه سميع مجيب .

التمهيد

مفهوم الإحسان

ورد لفظ " الإحسان " كثيرا في نصوص القرآن والسنة النبوية ، وفي كثير من كلام العرب قديما وحديثا ، ويأتي في سياقات متنوعة ، ولكل سياق مدلوله في المعنى اللغوي والاصطلاحي ، لذلك كان من الضروري قبل الحديث عن الإحسان ، أن نقف في هذا التمهيد ، على معناه في اللغة و الاصطلاح ، ومعرفة العلاقة بينهما.

١ - الإحسان لغة :

الحاء والسين والنون، أصل واحد، فالحسن ضد القبيح^(١)، والإحسان ضد الإساءة^(٢)، وهو مصدر أحسن يحسن إحساناً، ويتعدى بنفسه، أو بغيره، تقول: أحسنت كذا، إذا أتقنته، وأحسنت إلى فلان ، إذا أوصلت إليه النفع^(٣)، والحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه... والإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير ، يقال أحسن إلى فلان.

الثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً^(٤)، أو عمل عملاً حسناً^(٥).

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥٧/٢) دار الجليل بيروت، ضبط عبد السلام هارون.

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور (١٧٩/٣)، دار إحياء التراث ، ط/٢، ١٤١٣هـ - بيروت.

(٣) انظر : فتح الباري لابن حجر (١٦٤/١) تعليق محب الدين الخطيب ، ط، الدار السلفية ، القاهرة

(٤) انظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: (٢٣٥-٢٣٦) ، دار القلم بيروت ، ط ٢ ١٤١٨هـ.

(٥) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (٤٦٥/٢) ط ، المكتبة العلمية ، بيروت.

والحسنة: يعبر بها عن كل ما يُسرّ من نعم تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله^(١).

وأما الإحسان: فمعناه اللغوي يرشد إلى أنه التفضل بما لم يجب، كصدقة التطوع ومن الإحسان فعل ما يثاب عليه العبد مما لم يوجبه الله عليه في العبادات وغيرها^(٢).

مما سبق يتبين لنا: أن الإحسان في اللغة له معنيان : الأول : الإتيان ، والثاني : الإنعام .

٢- الإحسان اصطلاحاً:

يختلف معنى الإحسان اصطلاحاً باختلاف السياق الذي يرد فيه: فإذا اقترن بالإيمان والإسلام كان المراد به: الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، وقد فسره النبي ﷺ بذلك عندما سأله جبريل عليه السلام ما الإحسان؟ فقال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٣). يضاف إلى ذلك أن للإحسان معنيان : تقول أحسنت كذا ، إذا أتقنته ، وأحسنت إلى فلان ، إذا أوصلت إليه النفع .

(١) انظر: المصدر السابق : (٢/٤٦٤).

(٢) انظر : فتح القدير للشوكاني : ١٨٨/٣ ، دار الخير ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٢ هـ .

(٣) أخرجه : البخاري (٢٧/١) برقم ٥٠ ، كتاب الإيمان ، ومسلم (٤٧/١) برقم ٩ ، كتاب الإيمان ، وأبو داود

(٥٩/٥) برقم ٤٦٩٥ .

فالأول هو المراد - في الحديث السابق - لأن المقصود إتقان العبادة ، وقد يلحظ الثاني ، بأن المخلص — مثلاً — محسن بإخلاصه إلى نفسه ، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود^(١).

أما إذا ورد الإحسان مطلقاً، فإن المراد به : فعل ما هو حسن، والحسن وصف مشتق من الحُسْن^(٢).

والحسن هو: كون الشيء ملائماً للطبع، كالفرح، أو كون الشيء صفة كمال، كالمدح ، أو كون الشيء متعلقاً بالمدح كالعبادات، وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل^(٣).

مما سبق يتبين لنا: أن الإحسان في الاصطلاح يطلق ويراد به واحد من ثلاث معان : فعل الحسنات ، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى^(٤).

(١) انظر : تحفة الأحوذى للمباركفوري : ٢٩١/٧ ، دار الكتب العلمية بيروت ،

(٢) انظر : موسوعة نظرة النعيم ، لمجموعة من الباحثين ، (٦٧/٢) دار الوسيلة، جدة، ط ١ ١٤١٨ هـ.

(٣) انظر : التعريفات للجرجاني: (١١٧-١١٨) تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الريان ،.

(٤) انظر : التعريفات الاعتقادية ، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف ، ص ٢٠ دار الوطن ، الرياض ط ١ ١٤٢٢ هـ.

٣- العلاقة بين المعنى اللغوي والإصلاحي:

سبق معنا أن الإحسان في اللغة، يطلق ويراد به أحد معنيين ، بمعنى : الإتيان ، إن كان : لازماً، وبمعنى: الإنعام إن كان : متعدياً

أما في الاصطلاح فيراد به أحد ثلاث معان : فعل الحسنات، أو الإنعام ، أو المراقبة.

ولا شك أن العلاقة واضحة بين المدلول اللغوي والاصطلاحي لهذه الألفاظ، فالإحسان فعل ما هو حسن، ومنه فعل الحسنات، وإتيان الشيء: فعله على أكمل وجه، سواء كان ذلك الشيء متعلقاً بالله مثل: الإيمان والأعمال الصالحة، أو كان متعلقاً بالخلق مثل الحرّف، والصناعات ونحوها، والمراقبة تدخل في لفظ الإتيان، فإن من راقب الله أتقن عمله، ومن الإتيان فعل الحسنات كما أمر الله ﷻ ، أما اللفظ الآخر: وهو الإنعام، فواضح العلاقة فيه بين المعنى اللغوي والاصطلاحي بالمطابقة اللفظية ، وإن كان ثم فرق بين الإحسان والإنعام في بعض الوجوه فالإحسان أعم من الإنعام، فالإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول أحسنت إلى نفسي — وإلى غيري — والإنعام لا يكون إلا للغير^(١).

(١) انظر: لسان العرب ٣/ ١٨٠.

المبحث الأول: أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الإحسان

تظهر قيمة الإحسان في اعتناء القرآن الكريم والسنة النبوية بالحديث عنه ، حيث تنوعت أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في عرضها لهذا الموضوع ، والدعوة إليه ، ومن هذه الأساليب ما يأتي :

• الأسلوب الأول: وصف الله أسماءه بالحسنى وإخباره عن أفعاله أنها حسنة:

١- وصف الله ﷻ أسماءه بالحسنى ، في أربعة مواضع ، فقال ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ الأعراف: ١٨٠ ، وقال ﷻ: ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ الإسراء: ١١٠ وقال ﷻ: ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ طه: ٨ ، وقال ﷻ: ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ الحشر: ٢٤ ، قال الزمخشري^(١): "أي التي هي أحسن الأسماء، لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك"^(٢).

(١) هو: العلامة أبو القاسم ، محمود بن عمر بن محمد بن عمر ، الزمخشري الخوارزمي النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، يلقب جار الله ، لأنه جاور بمكة زمنا ، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة، له التصانيف البديعة منها : الكشف في التفسير والفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وغيرها ، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. انظر ترجمته في: معجم الأدباء ج: ٥ ص: ٤٨٩ ،

(٢) انظر: الكشف للزمخشري: ١٦٩/٢ ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، ط/ ١/ ١٤١٧ هـ - بيروت ..

وقال ابن عاشور^(١): "والحسن مؤنث الأحسن ، وهو المتصف بالحسن الكامل في ذاته، المقبول لدى العقول السليمة المجردة عن الهوى، ووصف الأسماء بالحسنى، لأنها دالة على ثبوت صفات كمال حقيقي."^(٢).

وقال القرطبي^(٣): "سمى الله أسماءه بالحسنى لأنها حسنة إلى الأسماع والقلوب، فإنها تدل على توحيده وكرمه وجوده ورحمته وأفضاله." ^(٤).

وقال الشوكاني^(٥): "والحسنى ، تأنيث الأحسن ، أي التي هي أحسن الأسماء لدلالاتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول" ^(٦).

(١) هو: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، ولد في تونس جمادى الأولى سنة ١٢٩٦هـ، له مؤلفات كثيرة في شتى الفنون منها : تفسيره المسمى بالتحريير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وغيرها، توفي يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٤هـ، في مدينة تونس . انظر ترجمته في : كتاب ، شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، للشيخ محمد الحبيب بن الخوجة ١/١٦٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور : ١٨٦/٩-١٨٧. دار سحنون ، تونس .

(٣) هو : الشيخ الإمام أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح ، الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر ، له من التصانيف : كتاب جامع أحكام القرآن ، وله شرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، توفي في شوال من سنة إحدى وسبعين وستمئة. انظر ترجمته في : الديباج المذهب ج ١: ص ٣١٧ ، طبقات المفسرين للداودي ج ١: ص ٢٤٦.

(٤) انظر : تفسير القرطبي: ٢٠٧/٧، دار الكتب العلمية بيروت ، ط / ١، ١٤١٧هـ..

(٥) هو : الإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، ولد في يوم الاثنين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٣هـ، بمجرة شوكان ، له عدة مصنفات منها : تفسيره فتح القدير ، ونيل الاوطار ، وارشاد الفحول وغيرها ، توفي في صنعاء ، عام ١٢٥٠هـ. انظر ترجمته في : البدر الطالع : (٢ / ٢٠٧) ، والأعلام للزركلي: (٦ / ٢٩٨).

(٦) انظر : فتح القدير ٢/٢٠٦

٢- وصف القرآن الذي هو كلامه ، بأنه أحسن الحديث، قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ﴾
﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مَّثَانِي﴾ الزمر: ٢٣ ، ومعنى كون القرآن أحسن
الحديث أنه أفضل الأخبار، لأنه اشتمل على أفضل ما تشتمل عليه الأخبار من
المعاني النافعة والجامعة لأصول الإيمان والتشريع^(١)، ويحتمل وصفه بأحسن
الحديث أمرين :

الأول: لفصاحته وإعجازه ، والثاني: لأنه أكمل الكتب وأكثرها إحكاماً^(٢).

فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المترلة من كلامه هو القرآن، وإذا
كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه أجل
المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه^(٣).

ومما ورد في وصف القرآن ، قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ
رَبِّكُمْ﴾ الزمر: ٥٥ ، معناه : اتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم في تنزيله،
واجتنبوا ما نهاكم عنه فيه ، وذلك هو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا^(٤).

(١) انظر : التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٨٥/٢٣،

(٢) انظر : النكت والعيون للماوردي : ١٢٢/٢. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ، بدون تاريخ .

(٣) انظر : تفسير السعدي ٣١٨/٤ ، دار المدني جدة ، ١٤٠٨ هـ.

(٤) انظر : تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠. بتحقيق د/عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط / ١ ، ١٤٢٢ هـ

وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض من حيث هو قرآن، وإنما هو أحسن كله بالإضافة إلى أفعال الإنسان وما يلقي من عواقبها^(١).

كما وصف بعض ما فيه من قصص ، بأنه أحسن القصص، قال الله ﷻ : ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ يوسف: ٣، أي : أبدعه طريقة وأعجبه أسلوباً وأصدقه أمثالاً وأجمعه حكماً وعدلاً^(٢).

٣- ثناء الله ﷻ على أفعاله بأنها حسنة، من حيث أنها تتضمن معنى الإتيان ومن ذلك :

قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ السجدة: ٧ قال ابن عباس^(٣): أتقن كل شيء وأحكمه ، وروي عن مجاهد^(٤) أيضاً نحوه ، قال ابن عباس: أما إن إست القرد ليست حسنة ، ولكنه أحكم خلقها^(٥).

(١) انظر: المحرر الوجيز ، لابن عطية الأندلسي ٥٣٧/٤. تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١، ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي : ١٤٦/٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٤١٨هـ.

(٣) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ومات سنة ثمان وستين بالطائف وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة . انظر ترجمته في : الاستيعاب ج ٣: ص ٩٣٣ ،

(٤) هو: مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة. انظر ترجمته في : الكاشف ج ٢: ص ٢٤٠ ، وتقريب التهذيب ج ١: ص ٥٢٠.

(٥) انظر : تفسير الطبري: ١٨ / ٥٩٧ ، و زاد المسير لابن الجوزي : ١٧٩/٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١، ١٤١٤هـ ، والنكت والعيون للماوردي: ٣٥٥/٤ ،

قلت : واختار هذا القول القاسمي ^(١) .

وقال قتادة ^(٣) : حسن خلق كل شيء ، قال الماوردي ^(٤) : " هو من أقوال ابن عباس " ^(٥) .

قلت : واختار هذا القول الزمخشري ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين : ٤ ، أي : لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدلها ، وإن قوله (أحسن تقويم) نعت لمحذوف (وهو في تقويم أحسن تقويم) ، فكأنه قيل : لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم ^(٧) .

(١) هو : جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ، إمام الشام في عصره . ولده سنة : ١٢٨٣ هـ ، له عدة مصنفات منها : قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، ومحاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم . توفي في دمشق سنة : ١٣٣٢ هـ ، انظر ترجمته في : الأعلام للزركلي : (٢ / ١٣٥) .

(٢) انظر : محاسن التأويل للقاسمي : (٣٩ / ٨) ،

(٣) هو : قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي أبو الخطاب البصري ، الأعمى الحافظ المفسر ، ثقة ثبت ، مات سنة بضع عشرة ومائة ، انظر ترجمته : الكاشف ج ٢ : ص ١٣٤ ، و تقريب التهذيب ج ١ : ص ٤٥٣ .

(٤) هو : علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري ، أحد أئمة المذهب الشافعي ، من تصانيفه : الحاوي ، وكتاب الأحكام السلطانية ، النكت والعيون في التفسير ، وغيرها ، توفي في ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة . انظر ترجمته في : طبقات الشافعية ج ١ : ص ٢٣٠ طبقات المفسرين ج ١ : ص ٨٣ .

(٥) انظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٥٩٧ .

(٦) انظر : النكت والعيون : ٤ / ٣٥٥ .

(٧) انظر : تفسير الطبري : ٢٤ / ١٥٠ .

وقال البغوي^(١): أعدل قامة، وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان، خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده مزيناً بالعتل والتميز^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ غافر: ٦٤ التغابن: ٣ ، أي فخلقكم في أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم^(٣)، أي جعل كل عضو في مكان يليق به ليتم الانتفاع به^(٤)، ﴿فأحسن﴾ تفسيرية ، فالمراد : صوركم أحسن تصوير حيث خلق كلاً منكم منتصب القامة بادي البشرة، متناسب الأعضاء والتخطيطات، متهيئاً لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات^(٥).

(١) هو: الحسين بن مسعود بن محمد العلامة محيي السنة أبو محمد البغوي ، كان إماماً في التفسير إماماً في الحديث إماماً في الفقه ، من تصانيفه : شرح السنة ، ومعالم التنزيل في التفسير ، والمصاييح والجمع بين الصحيحين وغيرهما ، توفي في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة. انظر ترجمته في: طبقات الشافعية ج ١: ص ٢٨١ ، وطبقات المفسرين ج ١: ص ٤٩.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي : ٤ / ٤٧٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٤ هـ.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٥٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١٢ / ٢٠٧ ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، مكتبة أولاد الشيخ للتراث ، ومؤسسة قرطبة ، ط / ١ ، ١٤٢١ هـ ، وفتح القدير للشوكاني : ٤ / ٥٧٠ ،

(٤) انظر: محاسن التأويل: ٣١٨ / ٨.

(٥) انظر: روح المعاني للألوسي: ٢٤ / ٨٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ المائدة: ٥٠ ، أي لا أحد أحسن منه حكماً تبارك وتعالى^(١) والمعنى : أن حكم الله هو الغاية في الحسن وفي العدل ، وهو استفهام معناه التقرير ويتضمن شيئاً من التكبر عليهم^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ البقرة: ١٣٨ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً: هذا استفهام ومعناه النفي، أي : ولا أحد أحسن من الله صبغة، و(أحسن) هنا : لا يراد بها حقيقة التفضيل ، إذ صبغة غير الله منتف عنها الحسن، أو يراد التفضيل باعتبار من يظن أن في صبغة غير الله حسناً ، لا أن ذلك بالنسبة إلى حقيقة الشيء ، وانتصاب " صبغة " هنا على التمييز ، وهو من التمييز المنقول من المبتدأ ، ... ، والتقدير : ومن صبغته أحسن من صبغة الله ، فالتفضيل إنما يجري بين الصبغتين لا بين الصابغين^(٣).

وأما تضمن أفعال الله تعالى: الإحسان بمعنى الإنعام على الخلق، فمنه :

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص: ٧٧ ، أي : أحسن بطاعته ، كما أحسن الله إليك بنعمته^(٤).

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٢/٢٠٣

(٢) انظر: البحر المحیط لأبي حيان، ٣/٥١٦، دار الكتب العلمية بيروت ، ط/١، ١٤٢٢هـ

(٣) انظر : المصدر السابق: ١/٥٨٤،

(٤) انظر: معالم التنزيل : ٣/٣٩١، وفتح القدير ٤/٢١٥،

بل عند التأمل يتبين أن خلق الله الخلق إحسان إليهم^(١)، كما إن إلهامهم كل ما يحتاجون إليه ؛ من إحسانه إليهم وتفضله عليهم ، جل وعلا .^(٢)

● الأسلوب الثاني: الأمر بالإحسان والحث عليه

أمر الله سبحانه عباده بالإحسان إجمالاً يشمل معانيه كلها من: فعل الحسنات، والإتيان، والإنعام، والمراقبة لله سبحانه، فقال **وَعَلَّكَ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ النحل: ٩٠ ، قال ابن عطية: الإحسان هو فعل كل مندوب إليه، فمن الأشياء ما هو مندوب إليه، ومنها ما هو فرض إلا أن حد الإجزاء منه ما دخل في العدل، والتكميل الزائد على حد الإجزاء داخل في الإحسان^(٣).

وقال الألويسي^(٤) : الإحسان : أي إحسان الأعمال، والعبادة، أي الإتيان بها على الوجه اللائق بها، وهو إما بحسب الكيفية كما يشير إليه ما رواه البخاري^(٥)،

(١) انظر : زاد المسير ١٧٩/٦، والبحر المحيط لأبي حيان: ٤٣٣/٨.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٥٥/٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٤١٦/٣ ،

(٤) هو: محمود بن عبد الله بن الحسين الألويسي الملقب بشهاب الدين أبو الثناء، المفسر ، وهو من أهل بغداد تقلد الإفتاء ببغداد، فعزل فانقطع للتأليف . سافر خلال حياته للآستانه عاصمة الدولة العثمانية، وبقي هناك قرابة السنتين، وهو صاحب التفسير المشهور المعروف بـ"روح المعاني"، وغيره من المؤلفات الجليلة . ولد سنة (١٢١٧هـ ، وتوفي سنة (١٢٧٠هـ ، ببغداد . انظر ترجمته في : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين -

(١ / ٥٨) ،

(٥) هو: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، أبو عبد الله الجعفي البخاري ، صاحب الجامع الصحيح، ولد في شوال سنة أربع وتسعين ومائة، وتوفي ليلة السبت، عند صلاة العشاء ليلة الفطر ، ودفن يوم الفطر =

من قوله ﷺ « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(١)، أو بحسب الكمية، كالتطوع بالنوافل الجارية، لما في الواجبات من النقص، وجوز أن يكون المراد بالإحسان: الإحسان المتعدي بإلى لا المتعدي بنفسه، فإنه يقال: أحسنه وأحسن إليه، أي: الإحسان إلى الناس والتفضل عليهم.^(٢)

ومن الأمر بالإحسان عمرماً قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص: ٧٧، هكذا أمر بالإحسان مطلقاً، قال ابن جرير^(٣): وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاك الله في وجوهه وسبله كما أحسن الله إليك ووسع عليك منه وبسط لك فيه^(٤)، وقال ابن الجوزي^(٥): فيها ثلاثة أقوال هي: أحدها: أعط فضل مالك كما زادك على قدر حاجتك.

= بعد صلاة الظهر، يوم السبت، غرة شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة

عشر يوما. انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ج ١: ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ج ١٢: ص ٣٩٢

(١) سبق تخريجه .

(٢) انظر: روح المعاني: ٢١٧/١٤-٢١٨.

(٣) هو: الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، صنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل، الذي لا يوجد له، توفي في شوال سنة عشر وثلاثمائة عن ست وثمانين، انظر ترجمته في: البداية والنهاية ج ١١: ص ١٤٥، وطبقات الشافعية ج ١: ص ١٠١.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٣٢٤/١٨،

(٥) هو: الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي ابن الجوري، جمع وصف ووعظ ودرس، وكان حافظاً فاضلاً، وكان لا يتقن مولده، وتوفي ليلة الجمعة، ثاني عشر شهر رمضان، من سنة سبع وتسعين وخمسمائة. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ج ٤: ص ١٣٤٢، .

والثاني: أحسن فيما افترض عليك كما أحسن في إنعامه إليك.

والثالث: أحسن في طلب الحلال كما أحسن إليك في الإحلال^(١).

قلت: الثاني والثالث حكاها الماوردي^(٢)، كما أن جميع المعاني السابقة تندرج تحت معنى الآية ، ولا تعارض بينها ، بل كلها مطلوب ، والأولى حملها على العموم .

ومن الآيات التي أمر فيها بالإحسان قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمُ إِلَى الْتِهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥ ، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥ ، يشمل جميع أنواع الإحسان لأنه لم يقيد بشيء دون شيء^(٣).

وقد جاء الأمر بالإحسان في صور مخصوصة منها قوله: ﴿وَيَا لَوْلَايْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة: ٨٣، النساء: ٣٦، الأنعام: ١٥١، الإسراء: ٢٣ ، قوله ﷻ: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الإسراء: ٥٣ ، وكذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦ ، وقوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣ .

وأمر برد التحية بأحسن منها فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحِيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ

رُدُّوْهَا﴾ النساء: ٨٦ .

(١) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ١١٨/٦.

(٢) انظر: النكت والعيون: (٤ / ٢٦٧).

(٣) انظر: تفسير السعدي ١/١٥٤.

وأمر أن لا يقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، فقال ﷺ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الأنعام: ١٥٢ ، الإسراء: ٣٤ أي بالخصلة التي هي أحسن بمال اليتيم، وهي حفظه وثمرته^(١).

وفي الحديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم ، فأحسنوا القِتْلَةَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبْحَةَ ، ولْيُحَدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^(٢)، أي : أوجب عليكم الإحسان في كل شيء ، فكلمة على بمعنى : في ، ومتعلق الكتابة محذوف والمراد بالإيجاب الندب^(٣).

وهذا الأمر عام منه صلى الله عليه وسلم بالإحسان ، أولاً ، ثم مثل بإحسان القتل والذبح بصورة خاصة .

كما أنه قد أمر صلى الله عليه وسلم بالإحسان في صور خاصة ، منها :

(١) انظر : الكشف للزمخشري: ٧٥/٢.

(٢) أخرجه: مسلم (١٢٣١/٣) رقم (١٩٥٥) كتاب الصيد، وأبو داود (٢٤٤/٣) رقم (٢٨١٥)، كتاب الأضاحي، والترمذي (١٦/٤) رقم (١٤٠٩) كتاب الديات، والنسائي (٦٢/٣) برقم (٤٤٩٤) كتاب الضحايا، وابن ماجه (٣٥٦/٣) رقم (٣١٧٠) كتاب الذبائح .

(٣) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي ج٧/٢٢٧، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ —

- ١- أمره بتحسين الصوت عند قراءة القرآن : قال رسول الله ﷺ يقول: « حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً »^(١)،
- ٢- أمره بتحسين الكفن للميت ، قال رسول الله ﷺ : « إذا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَهُ »^(٢).
- ٣- أمره بالإحسان إلى الجار ، قال رسول الله ﷺ : « أحسن إلى جارك تكن مؤمناً »^(٣).

وغيرها من الصور التي سنشير إلى بعضها في المبحث الثاني.

- (١) أخرجه: الدارمي (٢١٩٤/٤) برقم (٣٥٤٤) كتاب الفضائل ، من حديث البراء بن عازب ، قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح .
- (٢) أخرجه : مسلم ج ٢/٦٥١ برقم ٩٤٣ ، من حديث جابر بن عبد الله .
- (٣) أخرجه أحمد في المسند: (٣١٠ / ٢) برقم ٨٠٨١ ، والترمذي في السنن: (٥٥١/ ٤) ، برقم: ٢٣٠٥ ، والطبراني في المعجم الأوسط: (١٢٥ / ٧) ، برقم: ٧٠٥٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان : (٧ / ٧٨) ، برقم : ٩٥٤٣ ، من طريق أبي طارق السعدي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة ، وفيه علتان : أبو طارق مجهول ، والحسن لم يسمع من أبي هريرة ، لكن حسنه الآلباني ، أنظر : ترتيب أحاديث الجامع الصغير على الأبواب الفقهية - (٥٥ / ٤) ، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد : حديث جيد ، وهذا إسناد ضعيف ، جهالة أبي طارق السعدي. قلت وله شاهد ، بلفظ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره " أخرجه: مسلم (٧٠/١) رقم (٤٧) كتاب الإيمان.

• الأسلوب الثالث: مدح المتصفين به والثناء عليهم ، وذكر جزائهم.

الإحسان : من أفضل منازل العبودية لأنه لب الإيمان وروحه وكمالها ، وجميع المنازل منطوية فيه ^(١).

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥ ، فأثبت الله لهم حبه بسبب إحسانهم، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق ومعاملة الخلق ^(٢)، ومحبة الله للعبد أعظم درجات الثواب ^(٣).

وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦ ، أي للذين أحسنوا في عبادة الله في الدنيا من خلقه فأطاعوه فيما أمر ونهى :الحسنى ^(٤). والحسنى هي الجنة في قول أكثر المفسرين ^(٥)، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم في جنات عدن ^(٦).

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٤٦٥.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ١/ ٢٧٨.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي ٨/٩، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/١٤٢١هـ.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٥٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري ٧/ ٣٧٦، ومعالم التنزيل ١/ ٣٧٣، والمحرق الوجيز ٢/ ٩٨، والكشاف ١/ ٥٨٦، وتفسير القرطبي ٥/ ١٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢/ ١٥٦.

وقال تعالى: ﴿وَجَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ النجم: ٣١، أي بالمشوبة الحسنى وهي الجنة^(١).

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾ الرعد: ١٨، هي الجنة وكل ما يختص به المؤمنون من نعم الله عز وجل^(٢)، وقال ابن الجوزي: والحسنى كل خير من الجنة فما دونها^(٣).

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الرحمن: ٦٠، أي أن جزاء من أحسن بالطاعة أن يحسن إليه بالنعيم، ويجازيه الجنة^(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل: ١٢٨، أي وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضهم، والقيام بحقوقه ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه^(٥).

وقال ابن عطية^(٦): (إن الله مع الذين اتقوا) "يريد المعاصي" (ومحسنون) معناه معناه يتزيدون فيما ندب إليه من فعل الخير^(٧).

(١) انظر: السراج المنير، للشربيني: ٢٠٠/٧. دار إحياء التراث، ط/١، ١٤٢٥هـ بيروت.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/٣٠٨.

(٣) انظر: زاد المسير ٤/٢٤٧.

(٤) انظر: النكت والعيون ٥/٤٤٠، و المحرر الوجيز: ٥/٢٣٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٤٠٩.

(٦) هو: الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن الفقيه الإمام الحافظ أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب، المشهور بابن عطية، قاضي غرناطة، صاحب التفسير الكبير في القرآن، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، ومات في خامس عشر من رمضان، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة. انظر ترجمته في: طبقات المفسرين ج ١: ص ٦١.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣/٤٣٣.

وقال السعدي^(١): والله مع المتقين المحسنين بعونه وتوفيقه وتسديده، وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله بأن عبدوا الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه^(٢).

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] ،
وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥] ، والمحسن: هو
المؤمن المطيع لله، المحسن في طاعته إياه^(٣).

• الأسلوب الرابع: جعل وصف الحسن لكل ما مدحه وأثنى عليه ، ومن

ذلك:

١- قوله تعالى في مريم عليها السلام: ﴿فَنَقَبَهَا رَبُّهَا بِقُبُولِ حَسَنِ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ آل عمران: ٣٧، قال ابن كثير^(٤): أي جعلها شكلاً مليحاً، ومنظراً بهيجاً ،

(١) هو: الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، ولد في عنيزة في القصيم في الثاني عشر من محرم سنة ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة ، ألف في التوحيد، والتفسير، والفقه، والحديث، والأصول، والآداب، وغيرها، توفي سنة ١٣٧٦هـ . انظر ترجمته في : علماء نجد للنبسام (٢١٨/٣)،

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٩٤/٣.

(٣) انظر: معالم التنزيل : ٣٠/٤ .

(٤) هو: الإمام الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الأموي ، ولد سنة سبعمائة أو أو بعدها بيسير، ومن مصنفاته: التاريخ الكبير والتفسير ، وغيرها ، وكانت وفاته في شهر شعبان ، سنة ٧٧٤هـ بدمشق. انظر ترجمته في : ذيل التقييد ج١:ص٤٧١ وطبقات المفسرين للدوادني ج١:ص٢٦٠.

ويسر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين^(١).

وقال أبو حيان^(٢): " وأنبئها نباتاً حسناً ، عبارة عن حسن النشأة والجودة في خلق وخلق ، فأنشأها على الطاعة والعبادة^(٣) .

٢- ومن ذلك وصف الرزق بالحسن في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ هود: ٨٨ ، وقوله تعالى : ﴿ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل: ٦٧ وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ النحل: ٧٥ وقوله تعالى : ﴿ لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ الحج: ٥٨ ، والرزق: العطاء، وهو كل ما يتفضل به من أعيان ومنافع، ووصفه بالحسن لإفادة أنه يُرضيهم بحيث لا يطلبون غيره لأنه لا أحسن منه^(٤). وقيل الرزق الحسن: الحلال الطيب^(٥).

٣- ومن ذلك وصف القرض بالحسن، قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ البقرة: ٢٤٥ وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥٢/٣.

(٢) هو: الإمام الحافظ العلامة ، محمد بن يوسف بن علي ، أثير الدين أبو حيان الغرناطي ، فريد العصر وشيخ الزمان وإمام النجاة ، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ، من مصنفاته : البحر المحيط في التفسير ، وشرح التسهيل ، غيرها ، توفي في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة. انظر ترجمته في : الوافي بالوفيات: (١٨٧/٢)، وطبقات الشافعية الكبرى : (٩ / ٢٧٨) .

(٣) انظر: البحر المحيط : ٥٢/٣.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٣١٠/١٧.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/١٢.

حَسَنًا ﴿ المائدة: ١٢ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد: ١١، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُضْذِقِينَ وَالْمُضْذِقَاتِ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد: ١٨، وقوله تعالى: ﴿ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَكُم وَيَغْفِرْ لَكُمُ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ النعاجين: ١٧، وقوله تعالى: ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ المزمل: ٢٠، قيل الخالصة لله، وقيل الحلال، وقيل ما يخرج عن طيب نفس، وقيل الذي لا يتبعه منّا ولا أذى^(١).

قلت: وكل ما سبق؛ يشمل معنى القرص الحسن.

- ٤- ومن ذلك وصف البلاء بالحسن، في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَسْبِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ الأنفال: ١٧، ويعني به النعم الحسنة الجميلة، وذلك برمي الله المشركين^(٢).
- ٥- ومن ذلك وصف المتاع بالحسن في قوله تعالى: ﴿ يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا ﴾ هود: ٣ والمتاع الحسن: سعة الرزق، ورغد العيش، والعافية في الدنيا^(٣)، يعني يعيشكم عيشاً حسناً في خفض ودعة وأمن وسعة^(٤).

- ٦- ومن ذلك وصف الوعد بالحسن في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ طه: ٨٦ أي صدقاً بإنزال التوراة، وقوله ﴿ وَتِلْكَ ﴾: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا ﴾

(١) انظر: زاد المسير: ١/٢٤٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١/٨٧.

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي: ٩/٣. دار الفكر، بيروت ط/ ١٤١٥ هـ.

(٤) انظر: معالم التنزيل: ٢/٣١٤.

القصص: ٦١، أي وعداً بالجنة وما فيها من النعيم الصرف الدائم ، لأن حسن الوعد بحسن الموعود^(١)، ولا شيء أحسن منه في موافقته لأمنيته وبقائه^(٢).

٧- ومن ذلك وصف الأجر بالحسن في قوله تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ الكهف: ٢، والأجر الحسن هو نعيم الجنة ورضوان الله تعالى^(٣).

وأضاف الحسن إلى أشياء أخرى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ آل عمران: ١٤ فقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي إنما هذا زهرة الحياة وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾ أي حسن المرجع والثواب^(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بِبَعْضِكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سِعَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران: ١٩٥.

(١) انظر: روح المعاني ٢/٩٩.

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ٣٠٨/٥، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥/٤٦، زاد المسير ٥/٧٦، والمحرم الوجيز ٣/٤٩٥.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ج ١/ص ٣٥.

فقوله ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه ليدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطى إلا جزيلاً، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحاً^(١).

• الأسلوب الخامس: دعاء النبي ﷺ ربه بلوغ رتبة الإحسان في الأعمال.

ومن ذلك ، ما ثبت عنه ، ﷺ ، أنه كان يقول: «اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي»^(٢)،

وقوله ﷺ: «اللهم اهدي لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٣).

وأمره ﷺ : لمعاذ^(٤) ، ﷺ ، أن يقول دبر كل صلاة «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٥).

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٤٣/١.

(٢) أخرجه : أحمد (٣٧٦) برقم (٣٨٢٣) وإسناده حسن، وأخرجه أيضاً من حديث عائشة (٤٥٧/٤٠) برقم

(٢٤٣٩٢) بسند صحيح . كما ذكر ذلك شعيب الأرنؤوط ، في تحقيقه للمسند .

(٣) أخرجه : مسلم ج ١/ص ٥٣٥ برقم ٧٧١ من حديث علي.

(٤) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري ، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدرا

وأحدا والمشاهد كلها، وتوفي سنة تسع عشرة ، انظر ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : (١/٤٤٠)،

وأسد الغابة : (١ / ١٠٢٠).

(٥) أخرجه : أبو داود: برقم (١٥٢٢) في الصلاة ، والنسائي برقم (١٣٠٤) في السهو ، وابن حبان في صحيحه

برقم (٢٠٢٠).

المبحث الثاني: أنواع الإحسان ، وصور كل منها

إن المتتبع لدلالات نصوص القرآن والسنة النبوية التي تحدثت عن الإحسان ، يتضح له بجلاء أنواعاً متعددة من الإحسان ، وبعض هذه الأنواع يتضمن عدة صور، مما يدل على شمولية هذا المفهوم وعمقه ، ونقف في هذا المبحث على شيء من تلك الأنواع والصور فمنها :

• النوع الأول: إحسان الله إلى الخلق ، وصوره.

يتمثل إحسان الله إلى الخلق في كل ما ينال الخلق من الله سبحانه من خير وعطاء وإيجاد، بل خلق الله خلقه ، هو نوع من إحسان الله إليهم ، ومن صور إحسانه سبحانه إلى خلقه ما يلي :

١- خلقهم بالصورة اللاتقة بهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾

السجدة: ٧ ، وفي معنى الآية أقوال:

- أ- أتقن كل شيء وأحكمه، وهو مروي عن ابن عباس ومجاهد.
- ب- حسن خلق كل شيء ، وهو قول قتادة.
- ج- ألهم خلقه كل ما يحتاجون إليه ، كأنه أعلمهم كل ذلك وأحسنهم.
- د- أحسن إلى كل شيء خلقه ، فكان خلقه له إحساناً.
- هـ- أعطى كل شيء خلقه ما يحتاج إليه ثم هداه إليه.
- و- أحسنه لم يتعلمه من أحد. ^(١)

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٧/١٨، النكت والعيون: ٤/ ٣٥٥، زاد المسير ، ١٧٩/٦.

قلت: وجميع الأقوال الخمسة الأولى داخلة في معنى إحسان الله إلى خلقه، وكلها مراده، ولا تعارض بينها، فإن الله سبحانه فعل ذلك كله بالخلق، والقول السادس يدخل في معنى القول الأول، وهو الإتقان والإحكام، فكل أفعال الله سبحانه حسنة، منه ابتداء لم يتعلمها من أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤، وقوله ﷻ: ﴿وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلِيقِينَ﴾ الصفات: ١٢٥ ومعناه: أحسن الصانعين، لأن الناس يصنعون ولا يخلقون^(١)، ولأن العرب تسمي كل صانع خالقاً^(٢)، من حيث قيل للإنسان على التجوز أنه يخلق، وجب أن يكون تعالى أحسن الخالقين، إذ خلقه اختراع وإيجاد من عدم، وخلق الإنسان مجاز^(٣).

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَلِيقِينَ﴾ المؤمنون: ١٤، وبين قوله ﷻ: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ فاطر: ٣؟ فالجواب: أن الخلق يكون بمعنى الإيجاد، ولا يوجد سوى الله، وبمعنى التقدير، والمراد أن بني آدم قد يصورون ويقدرّون ويصنعون الشيء، فالله خير المصورين والمقدرين^(٤).

٢- الإحسان إليهم بنعمه في الدنيا التي لا تعد ولا تحصى، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ القصص: ٧٧، وقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ﴾ يوسف: ١٠٠،

(١) انظر: التحرير والتنوير: ١٦٧/٢٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/١٧.

(٣) انظر: لمحرر الوجيز: ٤٨٤/٤.

(٤) انظر: زاد المسير: ٣٣٧/٥.

وقوله : ﴿ إِنَّهُ رَفِيعٌ أَحْسَنُ مَثْوًى ﴾ يوسف: ٢٣ ، على قول بعض المفسرين إن الضمير عائد إلى الله كما سيأتي ، في النوع الثالث .

٣- الإحسان إليهم بتوفيقهم للعمل الصالح، وإعطائهم الأجر والثواب ومضاعفته لهم عليه، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ النحل: ٣٠ ، الزمر: ١٠، وقال تعالى: ﴿ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ آل عمران: ١٩٥ ، وقال ﷺ: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الكهف: ٢ وقال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالِهَا ﴾ الأنعام: ١٦٠، وقال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ النمل: ٨٩ ، القصص: ٨٤، وهذا التضعيف والفضل إحسان من الله للعبد، فمن جاء بالحسنة فله خير منها، وهو الأجر المضاعف إلى عشرة أضعاف، بمعنى أن الله تعالى تفضل على العبد فوق ما تستحقه حسنته ، فالحسنة والأجر الحسن في الآخرة، وفي الدنيا: الصحة والعافية والغنيمة. ^(١)

٤- الإحسان إليهم بإدخالهم الجنة بفضله و رحمته، لا بسبب أعمالهم، قال رسول الله ﷺ: «واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: إلا أن يتغمديني الله برحمته» ^(٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٣/٤.

(٢) أخرجه: البخاري (٢١٤٧/٥) برقم (٥٣٤٩) كتاب المرض، والنسائي في الكبرى: (٥٩٩/١) برقم (١٩٤٤) كتاب الجنائز.

فوعدهم سبحانه حسن المرجع والمنقلب، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ الرعد: ٢٩ ، أي حسن المنقلب وهي الجنة^(١).

وقوله: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٤٨ ، يعني وخير جزاء الآخرة، على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة، وذلك الجنة ونعيمها^(٢).

ووعده الله رِجَالُ الشَّهَدَاءِ بِالرَّزْقِ الحسن وهو رزق الجنة، فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ الحج: ٥٨ ، والرزق الحسن هو الذي لا ينقطع أبداً، وذلك رزق الجنة^(٣).

ووعدهم الوعد الحسن فقال تعالى: ﴿أَمَنَ وَعَدَنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ القصص: ٦١ أي الجنة، وما فيها من النعيم المقيم، ولذلك سماها بالحسنى^(٤).

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ الرعد: ١٨ ، وقوله: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ الكهف: ٨٨ ، وقال ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦ ، فالحسنى : الجنة ،

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٦٧/٥ ، وابن كثير: ٣١/٣ ، وروح المعاني: ١٠٠/٣ .

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٢٣/٦ .

(٣) انظر: معالم التنزيل: ٢٤٨/٣ ، وروح المعاني: ٤٥١/٣ .

(٤) انظر: معالم التنزيل: ٣٨٨/٣ ، والكشاف: ٤٢٩/٣ .

والزيادة : النظر إلى وجه الله^(١)، وقوله ﷺ: ﴿وَجَزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ النجم: ٣١ وقوله : ﴿وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ الحديد: ١٠، والحسنى في هذه الآيات هي الجنة .

• النوع الثاني: إحسان العبد مع ربه ، وصوره.

إحسان العبد مع الله ، هو مراقبته جلا وعلا، وهو أعظم منازل الدين، فإن الإحسان لا يكون إلا بالإخلاص لله سبحانه في العمل، وأن يكون العمل صواباً، موافقاً للشريعة، فلا يغني إسلام القلب وحده ، ولا العمل بدون إخلاص ، بل لا نجا إلا بهما ورحمة الله فوق ذلك^(٢).

قال تعالى: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠، وقال ﷺ: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ مود: ٧، ولم يقل أكثر عملاً، بل أحسن عملاً، ولا يكون العمل حسناً حتى يكون خالصاً لله ﷻ على شريعة رسول الله ﷺ، فمتى فقد العمل واحداً من هذين الشرطين بطل وحبط^(٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الكهف: ٧، فقلوه: (أيهم أحسن عملاً)، فيها أقوال :
الأول: أيهم أحسن إعراضاً عنها، وتركاً لها.
الثاني: أيهم أحسن توكلأً علينا فيها.

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٣٢/٢، و زاد المسير: ٨١/٤.

(٢) انظر : تفسير ابن كثير : ٢١/٢، التحرير والتنوير: ٦٧٥/١، محاسن التأويل: ٣٧٦/١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٤١٨/٧، وانظر تفسير السعدي: ٣٥٤/٢.

الثالث: أيهم أصفى قلباً وأهدى سمعاً.

الرابع: أيهم أكثر اعتباراً بها.^(١)

قلتُ: وكل ما سبق يشمل معنى الآية ولا تعارض بينها، وهو ما اختاره ابن جرير فقال: " لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهيها، وأعمل فيها بطاعتنا".^(٢)، والله أعلم..

وعلى هذا فإن إحسان العبد مع ربه هو عبادته سبحانه، وإخلاص التوحيد له فإن فعل ذلك فقد أتى بالإحسان الذي يجازيه الله عليه بالإحسان في الآخرة، قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ الرحمن: ٦٠، وإحسان العبد مع الله هو: فعل ما استحسنته الله منه، فإن الفسق ربما يكون في نظر العبد حسناً، وليس بحسن، كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ فاطر: ٨. بل الحسن ما طلبه الله منه^(٣).

ويدخل في معنى إحسان العبد مع الله تنفيذ أمره فيما يتعلق بشؤون الخلق، فإحسان العبد إلى الخلق، صورة من صور إحسان العبد مع الله، وهو مندرج تحت معنى الإحسان المتعدي، كما أن الأول يندرج تحت معنى الإحسان اللازم،

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٨٥/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/١٥.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١١٥/٢٩.

أي بمعنى الإتيان والمراقبة، أو بمعنى الإنعام إلى الغير، وكلاهما حاصل من العبد ويطلق عليهما إحسان العبد مع الله تعالى.

وكذلك إحسان الظن بالله من الإحسان مع الله، قال ﷺ: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »^(١).

ومعنى حسن الظن بالله : أن يظن أنه يرحمه، ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفاً راجياً، ويكونان بدرجة واحدة . وقيل : يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت عليه غلب الرجاء أو محبة ، لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح، والحرص على الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال، فاستحب إحسان الظن بالله المتضمن للافتقار إلى الله تعالى والإذعان له^(٢).

كما يدخل في معنى إحسان العبد مع الله، أن يحسن إسلامه، جاء في الحديث: « إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف »^(٣).

(١) أخرجه: مسلم (١٧٤٧/٤) رقم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وأبو داود: (٤٨٤/٣) رقم (٤١٦٧) كتاب الزهد، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) انظر : شرح صحيح مسلم للنووي : (٣٢٩/١٧).

(٣) أخرجه : البخاري (٢٤/١) رقم ٤٢، كتاب الإيمان، ومسلم (١١٠/١)، رقم ١٢٩ كتاب الإيمان.

• النوع الثالث: إحسان العبد مع الناس ، وصوره.

يتمثل إحسان العبد مع الناس في عدة صور منها:

١ - إحسان العبد إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾^(١) الإسراء: ٧ ، لأن الإنسان إنما ينفع نفسه بالعمل الصالح، كما جاء في الحديث القدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(٢).

فيكون العبد محسناً إلى نفسه بامتناله الأمر واجتنابه لنهي، فينقذ نفسه من النار فيكون محسناً إليها، قال ﷺ: «كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٣).

ويتناول إحسان العبد إلى نفسه أيضاً أن يحسن خلقه مع الناس ، فقد وصى النبي ﷺ معاذاً لما أرسله إلى اليمن ، حيث يقول معاذ رضي الله عنه: آخر ما وصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن قال: «أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل»^(٣).

(١) أخرجه: مسلم (١٩٩٤/٣) برقم ٢٥٧٧ كتاب البر والصلة.

(٢) أخرجه: مسلم (٢٠٣/١) برقم: ٢٢٣ كتاب الطهارة

(٣) أخرجه: مالك في الموطأ (٩٠٢/٢) كتاب حسن الخلق

بل مدح رسول الله ﷺ ، من حسن خلقه ، وجعله من أقرب الناس وأحبهم إليه فقال ، ﷺ: « إن أحبكم إليّ وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقاً »^(١).

٢- إحسان العبد إلى والديه ، وهذا من أعظم الأعمال والحقوق التي قرنها الله ﷻ بحقه، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، فأمر الله تعالى عباده بالإحسان إلى الوالدين ، بعد الحث على التمسك بتوحيده، فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق، والوالدة بالإشفاق^(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣] ، أي وأوصاهم بالوالدين إحساناً، وقرن الله ﷻ في هذه الآية حق الوالدين بالتوحيد، لأن النشأة الأولى من عند الله، والنشء الثاني وهو التربية من جهة الوالدين، ولهذا قرن تعالى الشكر لهما بشكره فقال: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، والإحسان إلى الوالدين: معاشرتهما بالمعروف والتواضع لهما وامتنال أمرهما والدعاء لهما بالمغفرة بعد مماتهما، وصلة أهل ودهما^(٣).

(١) أخرجه: أحمد ٢٦٧/٢٩ برقم ١٧٧٣٢ قل المحقق : وهو حسن لغيرة

(٢) انظر :تفسير ابن كثير: ٤٩٥/١٠.

(٣) انظر :تفسير القرطبي: ١٢/٢.

والإحسان إليهما كذلك : أن لا يؤذيهما البتة ، ويوصل إليهما من المنافع قدر ما يحتاجان إليه ، فيدخل فيه دعوتهما إلى الإيمان إن كانا كافرين، وأمرهما بالمعروف على سبيل الرفق إن كانا فاسقين^(١).

وقد جاءت الوصية بالوالدين في ألفاظ القرآن على نوعين: الأول: بلفظ الإحسان، والثاني: بلفظ حسناً.

فالإحسان مصدر: أحسن يحسن إحساناً، ومعناه: وصينا الإنسان أن يحسن إلى والديه إحساناً ، (وحسناً)، معناه: وصيناه بإيتاء والديه حسناً، أو بإيلاء والديه حسناً؛ أي: فعلاً ذا حسن، أو ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه^(٢).

على أنه قد قرأ بعض القراء : ﴿إِحْسَانًا﴾ بدل ﴿حُسْنًا﴾،^(٣) فعلى هذه القراءة ، يكون اللفظ واحداً في جميع وصايا القرآن بالإحسان إلى الوالدين.

ومن الإحسان إلى الوالدين حسن الصحبة لهما، جاء في الحديث « من أحق الناس بحسن صحابي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك »^(٤).

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي: ١٥١/٣.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري: ٤٤٦/٣.

(٣) انظر: وزاد المسير: ١٢٧/٦، والبحر المحيط: ٣٤٣/٨.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٧/٥) برقم (٥٦٢٦) كتاب الأدب، ومسلم (١٥٦٧/٤) برقم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة.

والْحُسْنُ هو العام الجامع معاني الحَسَنِ، والحَسَنُ هو البعض من معاني الحُسْنِ، ولذلك وصى الله به الولد مع والديه أي: جميع معاني الحسن، وأمره في سائر الناس ببعض الذي أمر به والديه^(١).

٣- الإحسان إلى النساء ويشمل:

أ- الإحسان إلى الأم: كونها أعطيت مزية في البر والإحسان على الأب، فقد تكررت الوصية بها ثلاثاً كما سبق.

ب- الإحسان إلى الزوجة: أمر الله سبحانه بأن يحسن الرجل صحبة زوجته، وأوصى النبي ﷺ بالنساء خيراً في حجة الوداع وفيها: «ألا وإن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»^(٢)، هذا الإحسان إليها حال طاعتها

وكذلك أمر الله سبحانه الأزواج بالإحسان إلى الزوجات وإن نشزت الزوجة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا شُكْرًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ النساء: ١٢٨ .

(١) انظر: تفسير الطبري: (١٩٥/٢).

(٢) أخرجه: الترمذي (٤٦٧/٣) برقم (١١٦٣) كتاب الرضاع، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٥٩١/٢) برقم (١٨٥١) كتاب النكاح.

قال ابن جرير: أي وأن تحسنوا أيها الرجال في أفعالكم إلى نساءكم إذا كرهتم منهن دماً أو خلقاً، أو بعض ما تكرهون منهن، بالصبر عليهن، وإيفائهن حقوقهن وعشرتهن بالمعروف^(١).

وقال الزمخشري: وأن تحسنوا بالإقامة على نساءكم، وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة حق الصعبة^(٢)، والخطاب في قوله ﷺ: ﴿وَأِنْ تُحْسِنُوا﴾ يحتمل عدة وجوه :

الأول: أنه للأزواج بأن يحسنوا الإقامة على نسائهم وإن كرهوهن.
الثاني: أنه خطاب للزوج والمرأة بمعنى يحسن كل واحد منكما إلى صاحبه.
الثالث: أنه خطاب لغيرهما، بمعنى: وأن تحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل إلى واحد منهما^(٣).

قلت: والإحسان مطلوب من الجميع، فيشمل جميع من ذكر أعلاه، والله أعلم.
وعلى الزوج أن يحسن إلى زوجته، وإن كفرت إحسانه هذا، فقد جاء في وصف بعض الزوجات أنهن يكفرن إحسان الزوج، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أرئت النار، فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٦/٧، وتفسير ابن كثير: ٣٠٥/٤.

(٢) انظر: الكشف: ٦٠٥/١، وتفسير القرطبي: ٢٦١/٥، ونظم الدرر للبقاعي: (٣٢٩/٢).

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي: ٥٤/١١.

منك شيئاً، قالت: ما رأيتُ منك خيراً قط»^(١). والعشير المقصود به هنا: الزوج، من المعاشرة^(٢).

فإن تعذرت الصحبة والمعاشرة ورغب في الفراق، لزمه أن يفارقها بإحسان، قال الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَمَسَاكُكُمْ مَعْرُوفٌ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ البقرة: ٢٢٩، وذكر ابن جرير في معنى التسريح بإحسان أقوالاً:

١ - يسرحها فلا يظلمها من حقها شيئاً.

٢ - الإحسان أن يوفيهما حقها فلا يؤذيها، ولا يشتمها.

٣ - أن يدعها حتى تمضي عدتها ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمتعة على قدر الميسرة.^(٣)

وقال الألويسي: أن تسرح بإحسان: أي طلاق مصاحب له من جبر الخاطر وأداء الحقوق، وذلك إما بأن لا يراجعها حتى تبين، أو يطلقها ثلاثاً^(٤).

قلت: والمعاني المذكورة في التسريح بإحسان متقاربة، فكلها تفيد أن الإحسان إلى الزوجة تأدية حقها، والكف عن أذاها بأي صورة من الصور، فإذا كان الله قد حث الزوج على الإحسان إلى زوجته عند فراقها، فمن باب أولى أن تنال

(١) أخرجه: البخاري (١٩٠/١) برقم ٢٩ كتاب الإيمان، وأخرجه مسلم (٥٢٢/٢) رقم (٩٠٧) كتاب الكسوف.

(٢) انظر: صحيح البخاري: ١٩٩٤/٥ كتاب النكاح، باب كفران العشير.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٣/٤ - ١٣٤.

(٤) انظر: روح المعاني: ١٣٥/٢.

إحسانه عند معاشرته لها، وعليها أن تعترف له بذلك الإحسان، وأن تغض الطرف عن أي تقصير قد يحصل منه في بعض الأحيان، فإن ذلك من طبيعة البشر.

ج- الإحسان إلى البنات: قال ﷺ: «من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»^(١)، والمقصود بالإحسان إلى البنات هو: أن لا يقتصر على قدر الواجب بل يزيد عليه، كما جاء في سبب ذكر الحديث.

وقال ﷺ: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة»^(٢). فقد جاء في بعض طرق الحديث أن الثواب يحصل لمن أحسن لواحدة فقط، فدل على أن من فعل معروفاً لم يكن واجباً عليه أو زاد على قدر الواجب عليه عد محسناً، والإحسان إلى كل أحد بحسب حاله^(٣).

ويشمل الإحسان إلى البنات تأديبهن أثناء التربية، والزيارة والصلة لهن بعد الزواج^(٤).

(١) أخرجه: البخاري (٢٢٣٤/٥) رقم (٥٦٤٩) كتاب الأدب، ومسلم (١٦٠٨/٤) برقم (٢٦٢٩) كتاب البر والصلة، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه: أبو داود (٣٥٥/٥) برقم (٥١٤٧) كتاب الأدب، والترمذي (٢٨٢/٤) برقم (١٩١٦)، كتاب البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) انظر: فتح الباري: (٣٨/١٢).

(٤) انظر: عون المعبود، للعظيم أبادي: (٣٩/١٤).

د - الإحسان إلى المرأة الحامل ، إذا وقعت في حد حتى تضع حملها ، فقد ورد في الحديث ، أن امرأة من جهينة ، اعترفت عند رسول الله ﷺ فقالت: إني حبلى، فدعا النبي ﷺ وليها، فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فأخبرني، ففعل، فأمر بها فشدت عليها ثيابها، ثم أمر برجمها، ثم صلى عليها، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، رجمتها ثم تصلي عليها؟! ، فقال ﷺ: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت شيئاً أفضل من أن جادت بنفسها لله؟!»^(١).

قال النووي^(٢)، رحمه الله: هذا الإحسان له سببان :

الأول: الخوف عليها من أقاربها أن تحملهم الغيرة ولحوق العار بهم أن يؤذوها، فأوصى بالإحسان إليها تحذيراً لهم من ذلك.

(١) أخرجه: مسلم (١٠٩٦/٣) برقم (١٦٩٦) ، كتاب الحدود ، والترمذي (٣٣/٤) برقم (١٤٣٥) كتاب الحدود ، وأبو داود (٥٨٧/٤) برقم (٤٤٤٠) كتاب الحدود ، والنسائي (٦٣٦/١) رقم (٢٠٨٤) كتاب الجنائز.

(٢) هو: الإمام ، أبو زكرياء يحيى بن شرف بن مري النووي ، الدمشقي الشافعي ، ولد في شهر محرم سنة واحد وثلاثين وستمائة، صنف عدة تصانيف منها : شرحه على صحيح مسلم ، والمجموع ورياض الصالحين ، وغيرها، وتوفي في سنة ستمائة وستة وسبعين ، انظر ترجمته في : طبقات الشافعية الكبرى : (٨ / ٣٩٥) ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : (٢ / ٢٢٣).

الثاني : أمر به رحمة لها إذ قد تابت، وحرص على الإحسان إليها لما في نفوس الناس من النفرة من مثلها، وإسماعها الكلام المؤذي ونحو ذلك ، فنهى عن هذا كله^(١).

و- الإحسان إلى الأمة المملوكة : كما في قوله ﷺ: «إذا أدب الرجل أمته فأحسن تأديبها وعلمها وأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها كان له أجران»^(٢)، وفي رواية: «فأحسن غذاءها»^(٣).

وهذا يعني أن الإحسان إلى المملوكة يشمل : حسن التأديب : يؤدبها من غير عنف وضرب، بل بالرفق واللطف ، وحسن التغذية: بأن يطعمها مما يطعم، ولا يستأثر بطعام دونها، وحسن التعليم: أي يعلمها أمور دينها، ويحسن إليها بإعتاقها من الرّق، ويجعلها حرة، ويحسن إليها بالزواج منها، فإن فعل هذه الأمور كلها كان له أجران.

قلت: وإن كان هذا النوع لم يعد موجودا اليوم بسبب ضعف الأمة ، فيبقى حكما شرعيا معروفا حتى يأتي وقته ، وما ذاك على الله بعزيز.

٤- الإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب:

(١) انظر : شرح مسلم للنووي : (٣٤٩/١١).

(٢) أخرجه : البخاري (٤٨/١) برقم (٩٧)، كتاب العلم، و(١٢٧١/٣) برقم (٣٢٦٢)، في كتاب الأنبياء، و(١٩٥٥/٥) برقم (٤٧٩٥) في كتاب النكاح من حديث أبي موسى.

(٣) أخرجه : الدارمي (١٤٤٠/٣) برقم (٢٢٩٠) كتاب النكاح.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سَيَعْلَمُ الْوَالِدِينَ إِحْسَنًا وَيَذِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنُبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء: ٣٦، ففي هذه الآية يأمر الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الأحوال ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين لأنه تعالى جعلهما سبباً لخروج الولد من العدم إلى الوجود، ثم عطف على الإحسان إلى الوالدين الإحسان إلى القربات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة»^(١)، ثم قال "واليتامى" لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم ومن ينفق عليهم، ثم قال: "والمساكين" وهم الخاويج من ذوي الحاجات الذين لا يجدون ما يقوم بكفائتهم، فأمر الله تعالى بمساعدتهم بما تتم به كفائتهم^(٢).

وهذه الآية اشتملت على أصناف عدة أمر الله بالإحسان إليهم، ويمكن تقسيمهم إلى فئات:

الأولى: الوالدان، وقد سبق الحديث عنهما.

(١) أخرجه: الدارمي ٤٨٨٨/١ برقم ١٦٨٠ والترمذي ٤٧/٣ برقم ٦٥٨ وحسنه، والنسائي ٩٢/٥ برقم ٢٥٨٢

وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٧٧ برقم ٢٣٨٥

(٢) انظر: عمدة القاري ج ١٣/ص ١٠٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ

الفئة الثانية: الأقارب والجيران والأصحاب، وهم الذين للإنسان بهم علاقة لسبب من الأسباب، إما القرابة أو المجاورة أو المصاحبة، والمطلوب من المسلم شرعاً، الإحسان المطلق في هذه العلاقة، بحيث يفعل ما هو حسن مع هؤلاء جميعاً.

وقد نصت السنة النبوية على ضرورة الإحسان إلى الأقارب وإن أساءوا ، فعن أبي هريرة أن رجلاً قال يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ : « لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ »^(١)، ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه ، وقيل : معناه : إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل ، وقيل : ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشائهم^(٢).

كما نصت السنة النبوية على ضرورة الإحسان إلى الجيران، قال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره »^(٣).

(١) أخرجه: مسلم ٤/ ١٩٨٢ برقم ٢٥٥٨

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٦/ ص ١١٥

(٣) أخرجه: مسلم (٧٠/١) رقم (٤٧) كتاب الإيمان.

ومعنى ذلك: إن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وبره، وأمر أهل الإيمان بذلك، وكل هذا تعريف بحق الجار، وحض على حفظه، وقد أوحى الله بالإحسان إليه في كتابه، وقال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١) (٢).

ويحصل امتثال الوصية به بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه إلى غير ذلك وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسية كانت أو معنوية.^(٣)

الفئة الثالثة: الإحسان إلى ذوي الحاجات، وهم:

أ- الأيتام، واليتيم هو: الذي فقد أباه قبل البلوغ، وقد أمر الله ﷻ بالإحسان إلى الأيتام عموماً، والتعامل الحسن مع أموالهم خصوصاً، قال تعالى: ﴿وَبِالْأَيْدِي إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ فَخُورًا﴾ النساء: ٣٦، أي يحسن إليهم ويفعل بهم عموماً ما هو حسن، ومن ذلك الإحسان إليهم في التربية، فقد جاء في الحديث: «ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده، كنت أنا وهو في الجنة كهاتين»، وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى»^(٤).

(١) أخرجه: البخاري ٢٢٣٩/٥ برقم ٥٦٦٩

(٢) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٢٨٤/١).

(٣) انظر: فتح الباري ج ١٠ ص ٤٤٢

(٤) أخرجه: أحمد (٢٥٠/٥) رقم (٢٢١٥٣)، قال المحقق: صحيح لغيره.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (الأَنْعَام: ١٥٢، الإِسْرَاء: ٣٤).

وإنما خص مال اليتيم بالذكر وإن كان مال غيره في التحريم بمثابته، لأن الطمع فيه أقوى، فكان بالذكر أولى، وفي قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أربعة أقوال: الأول: حفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه. الثاني: أن ذلك هو التجارة به.

الثالث: ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً.

الرابع: أن يأكل الولي بالمعروف من ماله إن افتقر، ويترك إذا استغنى، ولا يتعدى من الأكل إلى اللباس ولا غيره، ويحتمل قولاً خامساً: أن التي هي أحسن: حفظ أصوله وتثمين فروعه^(١).

قلت: والأقوال السابقة بعضها يدخل في بعض، والمقصود منها هو الحفاظ على مال اليتيم، ويشملها معنى قوله: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم.

ب- المساكين، والمساكين هو: المتخشع المتذل من الفاقة والحاجة وهو (مفعيل) من المسكنة، والمسكنة هي ذل الحاجة والفاقة^(٢).

(١) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٢، وزاد المسير: ٦١٤/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: (٣٩٠/١).

وهؤلاء يحتاجون إلى الإحسان إليهم بمعنى معاملتهم بالحسنى لضعفهم وقلة حيلتهم، ويحتاجون إلى الإنعام عليهم لحاجتهم إليه بسبب الفقر والحاجة.

ج- ابن السبيل : وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده ، وكذا الذي يريد سفرا في طاعة ، وهو محتاج ؛ فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه^(١) .

د- المماليك : وهم الأرقاء ، وقد أمر الله بالوصية بهم ؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس^(٢) وقد ثبت أن رسول الله ﷺ جعل يوصي أمته في مرض الموت يقول : « الصلاة ، الصلاة ، وما ملكت أيمانكم ، فجعل يرددنها حتى ما يفيص _ بالصاد المهملة _ بها لسانه »^(٣) ، أي ما يقدر على الإفصاح بها^(٤)

هـ - الإحسان إلى من له حق ، بإعطائه حقه من غير مطل ولا نقص ولا إساءة ، وقد جاء الأمر بذلك على وجه الخصوص في حالتين :

الأولى : من أعفي عن القصاص إلى الدية ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْغَاءُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ البقرة : ١٧٨ ، أي على

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٢٠٩/١ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤٩٦/١ .

(٣) أخرجه : ابن ماجه : ٥١٩/١ برقم ١٦٢٥ و النسائي في الكبرى : ٢٨٥/٤ برقم ٧٠٩٨ ، و ابن حبان في

صحيحه ٥٧٠/١٤ برقم ٦٦٠٥ ، وإسناده صحيح

(٤) انظر : النكت والعيون : ١٨٧/٢ ، و زاد المسير : ٦١٤/٣ .

المطلوب منه أداء الدية بالإحسان من غير مماطلة^(١)، من غير أن يبخسه حقاً له قبله بسبب ذلك، أو يحوجه إلى اقتضاء ومطالبة^(٢)، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو إلا الإحسان بحسن القضاء^(٣).

الثانية: الأمر بحسن قضاء الدين لصاحبه، جاء في حديث أبي رافع: «أن رسول الله ﷺ استلف من رجل بكرة^(٤) فقدمت عليه إبل من إبل الصدقة، فأمر أبا رافع أن يقضي الرجل بكرة، فرجع إليه أبو رافع فقال: لم أجد فيها إلا خياراً رباعياً، فقال: أعطه إياه، إن خيار الناس أحسنهم قضاء»، وفي رواية: «وخيركم أحسنكم قضاء»^(٥).

٦- الإحسان إلى المدعوين عموماً، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣، واختلف المفسرون في معناها، فقال ابن عباس: قولوا لهم: لا إله إلا الله ومروهم بها، وقال ابن جريح^(٦): قولوا لهم: حسناً في الإعلام بما في كتابكم

(١) انظر: معالم التنزيل: (١٠٢/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري: (١١٠/٣)، والكشاف: ٢٤٨/١.

(٣) انظر: تفسير السعدي: (١٤٠/١).

(٤) البكرة: الفتي من الإبل بمثلة الغلام من الناس انظر: النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير ١٤٩/١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

(٥) أخرجه: مسلم (٩٩٢/٣) برقم (١٦٠٠) كتاب المساقاة، وأبو داود: (٦٤١/٣) برقم (٣٣٦٤)، كتاب البيوع، والترمذي (٦٠٩/٣) برقم (١٣١٨) كتاب البيوع، والنسائي: (٤٠/٤) برقم (٦٢١٠) كتاب البيوع.

(٦) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي مولا هم المكي ثقة فقيه فاضل، مات سنة ١٥٠ هـ، انظر ترجمته في: الكاشف: (١ / ٦٦٦)، تقريب التهذيب - (٢ / ٣٦٣).

من صفة رسول الله ﷺ، وقال أبو العالية^(١): قولوا لهم: القول الطيب وجابوهم بأحسن ما تحبون أن تجابوا به ، وقال سفيان الثوري^(٢): مروهم بالمعروف، وانهمهم عن المنكر، وقال ابن عباس أيضاً: صدقاً في أمر محمد ﷺ^(٣).

قلت: وهذه الآية وإن كان سياقها في بني إسرائيل، على القول بأن الخطاب لهم ؛ إلا أن الأمر بها عاماً لجميع المؤمنين، ولذلك من فسرهما بالإخبار عن صفة محمد ﷺ ونحوه إنما نظر إلى سياقها ، وما ذكروه كذلك يدخل في عموم القول الحسن.

وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ ، فالموعظة الحسنة هي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن، ادعهم بالكتاب الذي هو حكم وموعظة وحسنة^(٤)، وقيل الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، والترهيب، وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف^(٥).

(١) هو: رفيع ، بالتصغير ، ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال من الثانية ، مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك . انظر ترجمته في : الكاشف : (١ / ٣٩٧) ، تقريب التهذيب - (١ / ٢١٠)

(٢) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، ثقة حافظ فقيه ، مات سنة إحدى وستين ومائة ، انظر ترجمته في: الكاشف : (١ / ٤٤٩) ، وتقريب التهذيب - (١ / ٢٤٤) .

(٣) انظر تلك الأقوال في : البحر المحيط (١/٦٤١).

(٤) انظر : الكشاف : (٢/٦٠١).

(٥) انظر : معالم التنزيل : (٣/٧٤).

والمجادلة بالتي هي أحسن، ذكر فيها ابن الجوزي أقوالاً:
الأول: جادلهم بالقرآن.

الثاني: جادلهم بلا إله إلا الله.

الثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ وألن لهم الجانب.^(١)

قلت: ولا تعارض بين هذه الأقوال، فكلها يشملها المعنى العام للآية فالمجادلة بالتي هي أحسن، هي: المخاصمة والمناظرة بالتي هي أحسن من غيرها، وأن تصفح عما قالو في عرضك من الأذى..

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ الإسراء: ٥٣ يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله محمداً ﷺ، أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنه إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم^(٢)، وعلى هذا يكون معنى الآية عاماً.

وذهبت طائفة إلى أن الله أمر في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الأدب وإلانة القول وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان^(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ المؤمنون: ٩٦، أمر بالصفح ومكارم الأخلاق وما كان منها، لهذا فهو حكم باق في الأمة أبداً وما

(١) انظر: زاد المسير (٤/٣٨٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: (٩/٢٨).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: (١٠/١٨٠).

كان فيها من معنى مودة الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن أمورهم فمنسوخ بالقتال^(١).

قلت: والذي يظهر لي من أقوال أهل العلم أن آيات الصبح والعفو عن الكفار غير منسوخة مطلقاً بآيات القتال والسيوف، بل مرتبطة بحالة المسلمين من حيث القوة والضعف، فإن كان المؤمنون في مرحلة استضعاف، كما كان حال المؤمنين بمكة لزمهم الإعراض عنهم والصفح وعدم التعرض لهم، وإن كان المؤمنون في مرحلة قوة، كما كان حالهم في المدينة، وجب عليهم دفع شر الكفار وقتالهم، والله أعلم.

٧- إحسان العبد مع سيده: ومنه قوله تعالى، على لسان يوسف، عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يوسف: ٢٣، قال القاضي أبو محمد بن عطية: "ومعاذ" نصب على المصدر، ومعنى الكلام: أعوذ بالله، ثم قال: "إنه ربي"، فيحتمل أن يعود الضمير في "إنه" على الله عز وجل، ويحتمل أن يريد العزيز سيده، أي فلا يصلح لي أن أخونه وقد أكرم مثواي وأتتمني، قال مجاهد والسدي: ربي معناه سيدي، وقاله ابن إسحاق، وإذا حفظ الآدمي لإحسانه، فهو عمل زاكٍ وأحرى أن يحفظ ربه^(٢).

(١) انظر: المحرر الوجيز: (١٥٥/٤)، وتفسير القرطبي: (٩٨/١٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز ج ٣/ص ٢٣٣.

وقال الزجاج^(١) : إن الضمير لله سبحانه : أي إن الله ربي تولاني بلطفه فلا أركب ما حرمه^(٢).

قال ابن تيمية^(٣) : والمراد بربه، في أصح القولين هنا سيده، وهو زوجها الذي اشتراه من مصر الذي قال لامرأته : أكرمي مثواه^(٤).

وقوله تعالى على لسان يوسف : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ يوسف: ١٠٠، أي : أوقع وناط إحسانه بي فهذا منحى في وصول الإحسان بالباء وقد يقال أحسن إلي وأحسن في وهذه المناحي مختلفة المعنى وأليقها بيوسف، قوله : بي، لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد هو الغاية التي صار إليها^(٥).

(١) هو : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج ، كان من أهل الفضل والدين وجميل المذهب والاعتقاد ، من تصانيفه : معاني القرآن في التفسير ، وخلق الإنسان ، وتفسير جامع المنطق ، توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلثمائة. انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ج ٦: ص ٨٩ ، وطبقات المفسرين للداودي ج ١: ص ٥٢.

(٢) انظر: فتح القدير : ج ٣/ ص ١٧

(٣) هو : الإمام العلامة الحافظ الناقد الفقيه المفسر البارع شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني ، أحد الأعلام ولد في ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة ، صنف في شتى فنون العلم ومات في العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ج ٧: ص ١٢ ، وطبقات الحفاظ ج ١: ص ٥٢٠.

(٤) انظر: فتاوى ابن تيمية : ج ١٥/ ص ١١١ مكتبة ابن تيمية / ط ٢/

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨٢) .

• النوع الرابع: الإحسان مع باقي الخلق ويشمل:

١- الحيوان، قال ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته»^(١).

وهذا الحديث يدل على وجوب الإحسان في كل شيء من الأعمال، لكن إحسان كل شيء بحسبه، فالإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب، إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأرحمها من غير زيادة في التعذيب، فإنه إيلاء لا حاجة إليه، وهذا النوع هو الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث ولعله ذكره على سبيل المثال، أو للحاجة إلى بيانه في تلك الحال، فقال: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة»، والقتلة والذبحة، بالكسر أي: الهيئة والمعنى: أحسنوا هيئة الذبح وهيئة القتل، وهذا يدل على وجوب الإسراع في إزهاق النفوس التي يباح إزهاقها على أسهل الوجوه^(٢).

ومن الإحسان إلى الحيوان إطعامه جاء في الحديث: «في كل كبد رطبة أجر»^(٣) ومعناه: إن الإحسان إلى كل حيوان حي بسقيه ونحوه، فيه أجر،

(١) أخرجه: مسلم (١٢٣١/٣)، رقم (١٩٥٥) سبق ذكره.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب ١٨٨ شرح حديث رقم ١٧، دار ابن حزم، ط/١، عام:

١٤١٨هـ

(٣) أخرجه: البخاري: ٨٣٣/٢ برقم ٢٢٣٤ ومسلم: ١٧٦١/٤، برقم: ٢٢٤٤

وسمى الحي ذا كبد رطبة، لأن الميت يجف جسمه وكبده، ففي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم وهو ما لا يؤمر بقتله^(١)

٢- البيئة والطريق، وذلك بنظافتها، فقد جعل النبي ﷺ، إمطة الأذى عن الطريق من محاسن الأعمال، قال ﷺ: «عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت من محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها: النخامة تكون في المسجد لا تدفن»^(٢).

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٤/ص ٢٤١

(٢) أخرجه: مسلم (٣٢٦/١) رقم (٥٥٣) كتاب المساجد.

المبحث الثالث: ثمرات الإحسان في الدنيا والآخرة

مما لا شك فيه أن عمل المحسنين لا يضيع عند ربهم ، بل يجدون أثره ، وثمرته في حياتهم ، وبعد مماتهم ، وليست تلك الثمرات والآثار العظيمة للإحسان بخافية على من تتبع نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فالمحسن يجد أثر ذلك في حياته الدنيوية ، وهي عاجل بشرى المؤمن ، أما في الآخرة فكثيرة جدا ، وهذا من فضل الله وكرمه على عباده المحسنين .

• أولاً: ثمرات الإحسان في الدنيا:

١- الجزاء الحسن من الله تعالى للمحسنين بسبب إحسانهم ، بالثناء والذكر الحسن في الدنيا ، حيث جاء التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل العاملين مما يشعر بأن الجزاء إنما هو على الإحسان في العمل لا على مجرد العمل فقط ، وأن الغاية من التكليف إنما هي الإحسان في العمل^(١) ، وقد تكرر التعقيب بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بعد ذكر مجموعة من الأنبياء والرسل وكذلك بعد ذكر المتقين ، فمن ذلك :

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الأنعام: ٨٤ ومعنى الآية : كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل لأنه أحسن في عبادة ربه وأحسن

(١) انظر: أضواء البيان ٨ / ٤٠٤

في نفع الخلق كذلك نجزي المحسنين بأن نجعل لهم من الثناء الصدق والذرية الصالحة بحسب إحسانهم^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: ٢٢ والمعنى: كما جزيت يوسف فأتيته بطاعته إياي الحكم والعلم ومكنته في الأرض واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله كذلك نجزي من أحسن في عمله فأطاعني في أمري وانتهى عما نهيته عنه من معاصي ، وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول له عز وجل كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي وقاسى من البلاء ما قاسى فمكنته في الأرض ووطأت له في البلاد فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وأمكن لك في الأرض وآتيتك الحكم والعلم لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي^(٢)، وكذلك أي مثل ذلك الجزاء العجيب ؛ نجزي المحسنين ، أي كل من يحسن في عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الأحزان والشدائد^(٣)..

(١) انظر : تفسير السعدي ٢٦٣ / ١

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧٨ / ١٢

(٣) انظر : تفسير أبي السعود ٣٦٤ / ٤

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ القصص: ١٤، أي: وكذلك نجزي المحسنين في عبادة الله المحسنين لخلق الله نعطهم علما وحكما بحسب إحسانهم ودل هذا على كمال إحسان موسى عليه السلام ^(١).

وقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۖ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصافات: ٧٩ - ٨٠، قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ الصافات: مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم ، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر بعده بحسب مرتبته في ذلك ^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعْهُ ۖ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَ الرُّبِّيَّ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصافات: ١٠٤ - ١٠٥ والمعنى: إنا كما عفونا عن إبراهيم عن ذبح ولده ؛ نجزي من أحسن في طاعتنا ، وقال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ^(٣).

وقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۖ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصافات: ١٢٠ - ١٢١ قوله تعالى: كذلك نجزي المحسنين، يقول: كما جزينا إبراهيم

(١) انظر: تفسير السعدي ج ١/ص ٢٦٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١٣/٤

(٣) انظر: معالم التنزيل: ٣٤/٤

على طاعته إيانا وإحسانه في الانتهاء إلى أمرنا كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين يقول: إن إبراهيم من عبادنا المخلصين لنا بالإيمان^(١).

وقوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّكَ لَكَلِّمُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: ١٣٠ - ١٣١) يقول تعالى ذكره إنا هكذا نجزي أهل طاعتنا والمحسنين أعمالاً وقوله: ﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يقول: إن إلياس عبد من عبادنا الذين آمنوا فوحدونا وأطاعونا ولم يشرکوا بنا شيئاً^(٢).

كما قد جاء التنصيص على نوع خاص من الإحسان لبعض أنبيائه بسبب إحسانهم:

أ- إحسان الله إلى إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ (النحل: ١٢٢)، آتيناه على قنوته لله وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكراً حسناً وثناءً جميلاً باقياً على الأيام^(٣)، وقال ابن كثير: جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة^(٤).

ب- إحسان الله إلى يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (يوسف: ١٠٠)، أي أوقع إحسانه بي تصديقاً لما بشرني به من

(١) انظر: تفسير الطبري ٨٨/٢٣

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩٦/٢٣

(٣) انظر: تفسير الطبري: (٣٩٧/١٤).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: (٣٦٦/٨).

تمام النعمة، وتعديه " أحسن " بالباء أدل على القرب من التعدية بإلى ، وقيل: ضُمِّن معنى اللطف، فتعدى بالباء كقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)

ج- إحسان الله إلى موسى، ﷺ ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام: ١٥٤ ، وقد وردت عدة أقوال في معنى الآية^(٢)، وأولى هذه الأقوال بالصواب عند ابن جرير هو قول من قال: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تماماً لنعمنا عنده ، على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا ، لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام ، وإن إتياء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة ، فأخبر جل ثناؤه، أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة^(٣).

٢- استماع الله سبحانه ، استماعاً يليق به سبحانه ، إلى من يقرأ القرآن بصوت حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يجهر به»^(٥)، وعن فضالة بن

(١) انظر : البحر المحيط (٣٢٨/٦)، والسراج المنير (٢٠٠/٣) ، وروح المعاني (٥٩/١٣) و التحرير والتنوير (٥٧/١٣).

(٢) انظر : زاد المسير (١١٨/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري : (٦٧٧/٩).

(٤) هو: أبو هريرة الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم حديثاً عنه ، اختلف في اسمه كثيراً، أصحها أنه: عبد الرحمن بن صخر ، توفي سنة سبع وخمسين ، وقيل غير ذلك ، انظر ترجمته في: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٧٠ / ٢) ، وأسد الغابة: (١٢٥٨ / ١).

(٥) أخرجه : مسلم (٤٥٧/١) برقم (٧٩٢) كتاب صلاة المسافرين.

عبيد^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته»^(٢). والقينة الأمة، غنت أو لم تغن، والماشطة وكثيراً ما تُطلق على المغنية في الإماء وجمعها قينات^(٣)، وأذن: بكسر الذال، قال العلماء: معنى أذن الله: الاستماع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ الانشقاق: ٢، هـ^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً»^(٥)، والمراد بقوله: حسنوا أصواتكم أي زينوا أصواتكم بالترتيل، والجهر به وتحسين والصوت^(٦).

٣- حب الله تعالى للمحسنين قال تعالى: ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٧٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرائِرِ وَالْضَّرَائِ وَالْكَظِيمِ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤، يجوز أن تكون اللام للجنس، فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون، وأن تكون للعهد، فيكون إشارة إلى هؤلاء، واعلم أن الإحسان

(١) هو: فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب الأنصاري، صحابي جليل، أول مشاهده أحد ثم شهد المشاهد كلها، توفي سنة ثلاث وخمسين. انظر ترجمته في: الإستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ٣٩٠)، وأسد الغابة - (١ / ٨٩٧).

(٢) أخرجه: ابن ماجه (١ / ٣٤٠) برقم (١٣٤٠) كتاب إقامة الصلاة . .

(٣) انظر: النهاية في غريب الأثر ١٣٥/٤.

(٤) انظر: شرح مسلم للنووي ٧٨/٦.

(٥) سبق تخريجه، بهامش رقم ٥٣، وإسناده صحيح.

(٦) انظر شرح المشكاة للطبي: (٤ / ٣٤٦)، ومرواة المفاتيح للقاري (٤ / ٧٠٧).

إلى الغير : إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه ، أما إيصال النفع إليه فهو المراد بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ويدخل فيه إنفاق العلم وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا وهو أن لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة بإساءة أخرى وهو المراد بكظم الغيظ وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ، فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير ، ولما كانت هذه الأمور الثلاثة في كونها إحساناً إلى الغير ذكر ثوابها فقال : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، فإن محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب^(١) .

وتكرر ذكر محبة الله للمحسنين في خمسة مواطن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة: ١٩٥ وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٣٤ ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٨ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ١٣ ، وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ المائدة: ٩٣ .

٤- معية الله الخاصة للمحسنين ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت: ٦٩ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ النحل: ١٢٨ ، أي : وهو

(١) انظر التفسير الكبير للرازي: (٨/٩) .

سبحانه معهم بالنصرة والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالإحاطة والقدرة
فبين المعيتين بون^(١).

٥- قرب رحمة الله من المحسنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦ ، فقله تعالى:
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما
أضره بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد
بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته
ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه فقال: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي خوفاً مما عنده
ومن ويبل العقاب وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب، ثم قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ
قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: قريب ولم يقل قريبة، لأنه ضمن الرحمة معنى الثواب
لأنها مضافة إلى الله فلهذا قال قريب من المحسنين^(٢) ، أي: إن رحمته مرصدة
للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى:
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦^(٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣٦٥/١٣

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ٢٢٣/٢

(٣) انظر: المصدر السابق ٢٢٣/٢

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف: ٥٦ له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله ، ودلالة بمفهومه ، فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بإيمانه وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان هو السبب في قرب الرحمة منهم ، ودلالته بمفهومه على بعده من غير المحسنين ، هذه ثلاث دلالات لهذه الجملة ، وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة ، لأنها إحسان من الله عز وجل أرحم الراحمين ، وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل الإحسان، لأن الجزاء من جنس العمل ، وكلما أحسنوا بأعمالهم ؛ أحسن إليهم برحمته وأما من لم يكن من أهل الإحسان ؛ فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة ، بعد ببعد ، وقرب بقرب ، فمن تقرب إليه بالإحسان ، تقرب الله إليه برحمته ، ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته ، والله سبحانه يحب المحسنين ، ويبغض من ليس من المحسنين ، ومن أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه، ومن أبغضه الله فرحمته أبعد^(١)

وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء الإخلاص فيه لله وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره أن يكون القلب خائفاً طامعاً لا غافلاً ولا آمناً، ولا غير مبال بالإجابة وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان في كل عبادة بذل الجهد فيها وأداؤها كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه ولهذا قال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في عبادة الله المحسنين إلى عباد الله فكلما كان العبد

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٣٨ / ٢٤)

أكثر إحسانا كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريباً منه برحمته وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى^(١).

٦- الإحسان يصير العدو صديقاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤ ، قوله: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن" ، يعنى إن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها إذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كما لو أساء إليك رجل إساءة فالحسنة إن تغفو عنه ، " والتي هي أحسن " إن تحسن إليه مكان إساءته إليك مثل إن يذمك فتمدحه ... " فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك ... وكان القياس على هذا التفسير إن يقال : ادفع بالتي هي حسنة ، ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها^(٢).

٧- الإحسان سبب للبشرى في الدنيا قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّنَذَرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الأحقاف: ١٢ .

(١) انظر: تفسير السعدي (١/٢٩٢).

(٢) انظر: المصدر السابق ، نفس الصفحة

قوله: " لينذر الذين ظلموا " ، أي : لينذر هذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد عليه الصلاة والسلام الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله بعبادتهم غيره، وقوله: " وبشرى للمحسنين " ، أي : وهو بشرى للذين أطاعوا الله فأحسنوا في إيمانهم، وطاعتهم إياه في الدنيا فحسن الجزاء من الله لهم في الآخرة على طاعتهم إياه^(١).

• ثانياً: ثمرات الإحسان في الآخرة:

١- الوعد من الله بعدم ضياع أجر المحسن، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٥٦ وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف: ٩٠ ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ هود: ١١٥ .

وإحسان العمل أن يريد العبد به وجه الله وَعَلَى متبعاً في ذلك شرع الله، فهذا العمل لا يضيعه الله، ولا شيئاً منه بل يحفظه للعاملين، ويوفيههم من الأجر بحسب عملهم وفضله وإحسانه^(٢)، ويجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار^(٣).

٢- حصول الأجر العظيم من الله للمحسن، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٧٢ ، وقال وَعَلَى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾ البقرة: ١١٢ .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤ / ٢٦

(٢) انظر : تفسير السعدي (١٥٥/٣).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٢٥٤/١٥) ، وابن كثير (١٣٤/٩).

وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(١) إِنَّكَ ذَلِكِ النَّجْزِيُّ لِلْحَسَنِينَ﴾^(٢) المرسلات: ٤٣ - ٤٤ وقوله: ﴿إِنَّكَ ذَلِكِ النَّجْزِيُّ لِلْحَسَنِينَ﴾ ، يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم^(١).
﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لِلْحَسَنِينَ﴾ أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم، ثم قال تعالى مخبراً خيراً مستأنفاً ﴿إِنَّكَ ذَلِكِ النَّجْزِيُّ لِلْحَسَنِينَ﴾ أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل^(٢).

٣- دخول الجنة ، ورؤية الله سبحانه ، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يونس: ٢٦ ، أي للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة وزيادة ، وهي النظر إلى وجه الله الكريم، وهذا قول جماعة من الصحابة والتابعين^(٣).

وقد ثبت تفسيرها بذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا دخل أهلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، قال يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ نُبَيِّضْ وَجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ قال فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ " ، وفي رواية: " ثُمَّ تَلَا هَذِهِ

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٩ / ٢٤٤

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤ / ٤٦٢

(٣) انظر : معالم التنزيل: ٢ / ٣٥١

الآية ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١) ، وقال تعالى: ﴿أَخْذِينَ مَا أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ الذاريات: ١٦ وقال جماعة من المفسرين: معنى قوله "أخذين ما آتاهم ربهم" ، أي: محصلين لنعم الله التي أعطاهم من جنته ورضوانه، وهذه حال متصلة في المعنى بكونهم في الجنات، وهذا التأويل أرجح عندي لاستقامة الكلام به وقوله: "قبل ذلك"، يريد في الدنيا محسنين؛ بالطاعة والعمل الصالح^(٢).

٤- زيادة الله في الثواب للمحسنين ، قال تعالى: ﴿وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ٥٨ ، وقال تعالى: ﴿سَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ١٦١ أي ثواباً من فضلنا^(٣).

٥- تكفير السيئات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ^(٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الزمر: ٣٣ - ٣٥ ، فجزي هؤلاء المحسنين ربهم بإحسانهم ، كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الأعمال فيما بينهم وبين ربهم ، بما كان منهم فيها من توبة وإنابة ، مما اجتروحوا من السيئات فيها ، "ويجزئهم أجرهم" أي: ويشيهم ثوابهم بأحسن الذي كانوا في

(١) أخرجه : مسلم ١/ ١٦٣ برقم ١٨٠-١٨١

(٢) انظر : المحرر الوجيز ٥/ ١٧٤

(٣) انظر : معالم التنزيل (١/ ٤٤).

الدنيا يعملون مما يرضى الله عنهم دون أسوأها^(١). فيكفر عنهم السيئات، ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ، أي : بأحسن أجور أعمالهم يضاعف الحسنات إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، والله أعلم .

* * *

(١) انظر : تفسير الطبري ٥ / ٢٤

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد فقد استمتعت بكتابة هذا البحث، وطاف بي في محطات قيمة من نصوص الوحيين الشريفين وخرجت بهذه النتائج:

١- إن الإحسان في اللغة يستخدم لازماً فيكون معناه الإتقان ومتعدياً فيكون معناه الإنعام.

٢- إن الإحسان في الاصطلاح يطلق على معان هي: فعل الحسنات، أو الإنعام على الناس، أو مراقبة الله تعالى.

٣- تعددت أساليب القرآن والسنة في الدعوة إلى الإحسان وتنوعت حيث وصف الله أسماءه بالحسنى وأخبر عن أفعاله أنها حسنة، وأمر بالإحسان وحث عليه، ومدح المتصفين به وأثنى عليهم، وذكر جزاءهم، بل جعل وصف الحسن لكل ما مدحه وأثنى عليه مما هو مرضي، أو كامل، كما دعا النبي ﷺ ربه أن يبلغه رتبة الإحسان في الأعمال.

٤- إحسان الله إلى الخلق، وله صور منها: خلقهم بالصورة اللائقة والإحسان إليهم بإدخالهم الجنة بفضلهم ورحمته، لا بسبب أعمالهم والإحسان إليهم بتوفيقهم للعمل الصالح، وإعطائهم الأجر والثواب ومضاعفته لهم عليه، والإحسان إليهم بنعمه في الدنيا التي لا تعد ولا تحصى.

٥- إحسان العبد مع ربه، و هو مراقبته جلا وعلا ويدخل في معنى إحسان العبد مع الله، تنفيذ أمره وكذلك إحسان الظن بالله من الإحسان مع الله .

٦- إحسان العبد مع الناس ، وله صور منها : إحسان العبد مع نفسه، وإحسان العبد إلى الناس، ويشتمل: إحسانه إلى الوالدين، والإحسان إلى النساء ويشمل: الأم والزوجة والبنات والأمة المملوكة، والإحسان إلى الأقارب والجيران والأصحاب، والإحسان إلى من له حق عندك، بإعطائه حقه من غير مطل ولا نقص ولا إساءة، والإحسان إلى المدعوين عموماً.

٧- الإحسان مع باقي الخلق: ويشمل الحيوان والبيئة ونحوهما .

٨- من ثمرات الإحسان في الدنيا :الجزاء الحسن من الله للمحسنين بسبب إحسانهم ، واستماع الله سبحانه إلى من حسن صوته بقراءة القرآن ، وحب الله تعالى للمحسنين، و معية الله الخاصة للمحسن ، وقرب رحمة الله من المحسنين كما أن الإحسان يصير العدو صديقاً .

٩- من ثمرات الإحسان في الآخرة : الوعد من الله بعدم ضياع أجر المحسن، وحصول الأجر العظيم من الله للمحسن، ودخول الجنة ورؤية الله، وزيادة الله في الثواب للمحسنين، وتكفير السيئات، وغير ذلك من الفوائد والثمار التي لا يعلمها إلا هو سبحانه. والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قائمة المصادر والمراجع

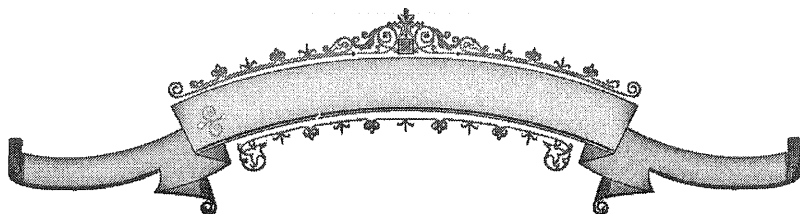
- ١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار النشر: دار الجليل - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد الجاوي
- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تأليف: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي
- ٣- أضواء البيان، ل محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت ط/ ١٤١٥ هـ.
- ٤- الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٩٩٩ م
- ٥- إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، دار الوفاء، مصر، ط/ ١، ١٤١٩ هـ.
- ٦- البداية والنهاية، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبي الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف - بيروت
- ٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي، المكتبة العلمية، بيروت. بدون تاريخ
- ٨- التحرير والتنوير لابن عاشور، دار سحنون، تونس .
- ٩- تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠- تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي للمباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ
- ١١- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢- التعريفات الاعتقادية، لسعد بن محمد آل عبد اللطيف، دار الوطن، الرياض ط ١٤٢٢ هـ.
- ١٣- التعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الريان .
- ١٤- تفسير أبي السعود محمد العمادي، "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ
- ١٥- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ.
- ١٦- تفسير تيسر الكريم الرحمن، لعبد الرحمن السعدي، دار المدني، جدة، ١٤٠٨ هـ.
- ١٧- روح المعاني للألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ
- ١٨- جامع البيان عند تأويل القرآن جامع البيان في تأويل القرآن"، تحقيق د/عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ.
- ١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير: تحقيق مجموعة من الباحثين، ومؤسسة قرطبة، ط/ ١، ١٤٢١ هـ.

- ٢٠- " الجامع لأحكام القرآن " لابن عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط / ١ ، ١٤١٧هـ ..
- ٢١- تقريب التهذيب ، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ، دار النشر: دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوامة
- ٢٢- جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط / ١٤١٨ ، ١هـ .
- ٢٣- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، لنعمان بن محمود ، الألوسي ، مطبعة المدني ، ط / ١٤٠١ هـ - .
- ٢٤- حاشية السندي على سنن النسائي ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط / ١٤٠٦ ، ٢هـ -
- ٢٥- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢٦- ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد ، تأليف: محمد بن أحمد الفاسي المكي أبي الطيب ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: كمال يوسف الحوت
- ٢٧- زاد المسير في علم التفسير ، لعبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ .
- ٢٨- السراج المنير ، للخطيب الشريبي دار إحياء التراث ، ط / ١ ، ١٤٢٥ هـ بيروت .
- ٢٩- سنن ابن ماجة . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ
- ٣٠- سنن أبي داوود . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت بدون تاريخ
- ٣١- سنن الدارمي . تحقيق فواز احمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت بدون تاريخ
- ٣٢- سنن النسائي الكبير . تحقيق عبد الغفار سليمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ
- ٣٣- سنن النسائي الصغير . تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب بدون تاريخ
- ٣٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة .
- ٣٥- شرح مشكاة المصابيح للطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢٢ هـ -
- ٣٦- شرح صحيح مسلم للنووي . دار إحياء التراث العربي ، بيروت . بدون تاريخ
- ٣٧- شعب الإيمان ، تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠ هـ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول
- ٣٨- شيخ الإسلام الإمام الأكبر ابن عاشور ، للشيخ محمد الحبيب بن الحوجة ، دار الغرب ، تونس .
- ٣٩- صحيح ابن حبان . بترتيب ابن بلبان ، وتحقيق شعيب الارنؤط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت
- ٤٠- صحيح ابن خزيمة . تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت

- ٤١- صحيح البخاري. ترقيم مصطفى البغاء، دار ابن كثير ، بيروت
- ٤٢- صحيح مسلم . ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٣- طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبي الفضل، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى
- ٤٤- طبقات الحنابلة، تأليف: محمد بن أبي يعلى أبي الحسين، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ٤٥- طبقات الشافعية الكبرى، تأليف: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، و د.عبد الفتاح محمد الحلو.
- ٤٦- طبقات الشافعية، تأليف: أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان
- ٤٧- طبقات المفسرين، تأليف: للداودي ، دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية - ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى
- ٤٨- علماء نجد، للبسام ، مكتبة المعارف ، الرياض.
- ٤٩- عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، للعين ، دار إحياء التراث العربي، بيروت. بدون تاريخ
- ٥٠- عون المعبود بشرح سنن أبي داوود ، لمحمد لشمس الحق أبادي. دار الكتب العلمية، بيروت،
- ٥١- فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، مكتبة ابن تيمية / ط / ٢.
- ٥٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، تعليق محب الدين الخطيب .ط، الدار السلفية ، القاهرة.
- ٥٣- فتح القدير، محمد علي الشوكاني ، دار الخير، بيروت ، ط / ١، ١٤١٢هـ
- ٥٤- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، تأليف: حمد بن أحمد أبي عبد الله الذهبي الدمشقي، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو - جدة - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوامة
- ٥٥- الكشف، للزمخشري ،تحقيق عبدالرزاق المهدي،دار إحياءالتراث العربي ،ط/١٤١٧هـ، بيروت
- ٥٦- لسان العرب لابن منظور (١٧٩/٣)، دار إحياء التراث ، ط/٢ ، ١٤١٣هـ بيروت.
- ٥٧- محاسن التأويل، للقاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٨هـ.
- ٥٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ط / ١، ١٤١٣هـ.

- ٥٩- مرقاة المفاتيح شرح المشكاة، للقاري. دار الكتب العلمية، بيروت،
- ٦٠- مسند الإمام أحمد، بتحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٦١- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث بيروت
- ٦٢- المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض.
- ٦٣- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الجليل بيروت، ضبط عبد السلام هارون.
- ٦٤- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم بيروت، ط ١٤١٨هـ.
- ٦٥- موسوعة نظرة النعيم، مجموعة من الباحثين، دار الوسيلة، جدة، ط ١٤١٨هـ.
- ٦٦- موطأ مالك. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- ٦٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١ / ١٤١٥هـ.
- ٦٨- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،
- ٦٩- النهاية في غريب الأثر، لابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ
- ٧٠- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار النشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركبي مصطفى.

* * *



خصائص السنة المطهرة

أ.د.د. / عبد الرحمن إبراهيم الخميسي

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية

جامعة صنعاء

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وإمام الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن السنة المطهرة المنقولة عن نبينا صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وتقريراً نحن متعبدون بها كما أننا متعبدون بالقرآن، وذلك لأنها وحي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في الجملة وتترل بها جبريل كما تترل بالقرآن ، إلا أن الفرق بينهما أن القرآن الكريم معجزة باقية حتى تقوم الساعة محفوظة من التغير والتبديل ، متواتر اللفظ والمعنى ، ونزل بوحي جلي ، بخلاف السنة فإن معناها من الله وأحياناً من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولفظها من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تكون بوحي وبغير وحي ، والقرآن الكريم متعبد بتلاوته وتعيين قراءته في الصلاة ، وتحرم روايته بالمعنى بخلاف السنة ، وللسنة خصائص أخرى شاركت فيها القرآن وخصائص انفردت بها عن سائر العلوم ، ولأهمية هذا الموضوع فقد أفردته بالبحث هنا تحت مسمى (خصائص السنة المطهرة) واتبعت في ذلك المنهج الاستقرائي وقد دفعني إلى الكتابة فيه ظهور ما يسمى بالقرآنيين اليوم الذين يقولون بالاكْتفاء بالقرآن عن السنة ومحاولتهم لتشويه السنة وإنكارها بالجملة ومحاوله بعضهم النيل منها بإيراد الشبه عليها للتقليل من شأنها فأجبت

بهذا البحث أن أظهر مكانة السنة في التشريع الإسلامي وبيان أنه لا استغناء للقرآن عنها شرحاً وتفصيلاً وتخصيصاً وتقييداً وتشريعاً وأن من ينكرها لا حظ له في الإسلام وقد قسمته إلى فصلين وخاتمة:

الفصل الأول: (الخصائص المشتركة بين السنة والقرآن) وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول : كون السنة وحياً من الله تعالى .

المبحث الثاني : تسمية السنة بالكتاب .

المبحث الثالث : نقل السنة بالإسناد المتصل .

المبحث الرابع : وجوب العمل بالسنة .

المبحث الخامس : كون منكر السنة كافراً .

المبحث السادس : حفظ السنة في الجملة .

المبحث السابع : خطر التهاون بالسنة .

الفصل الثاني : (خصائص السنة التي انفردت بها) وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : انفرد السنة بالتشريع .

المبحث الثاني : انفرداها ببيان القرآن الكريم .

المبحث الثالث : وضع قواعد وشروط لقبولها .

المبحث الرابع : تسميتها بالحكمة .

المبحث الخامس : كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من المشتغل بها .

المبحث السادس : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لمن يتعلمها بالنضارة .

وقد جاء الفصل الأول أطول من الفصل الثاني وذلك بسبب غزارة مادته العلمية ولو أراد الباحث أن يطيل النفس فيه لجاء أضعاف ما كتب ، بخلاف الفصل الثاني فما وجد فيه من مادة علمية كانت عزيزة جداً ، ولكون هذا مما قد ينتبه له القارئ الفطن فقد لزم التنبيه عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

(الخصائص المشتركة بين السنة والقرآن)

وفيه سبعة مباحث

المبحث الأول : (كون السنة وحياً من الله تعالى)

قبل الشروع في بيان هذا المبحث يجدر بنا التوقف عند معنى السنة لغة وشرعاً فهي تعني في اللغة الطريقة والسيرة، حسنة كانت أو قبيحة^(١).

وشرعاً تعني: قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره، وتطلق بالمعنى العام على الواجب وغيره في عرف أهل اللغة والحديث، وأما في عرف أهل الفقه فيطلقونها على ما ليس بواجب وتطلق على ما يقابل البدعة كقولهم: فلان من أهل السنة.^(٢)

السنة وحي أوحاه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وتنزل بها الأمين جبريل عليه السلام كما تنزل بالقرآن الكريم غير أنه تنزل بالقرآن الكريم بلفظه ومعناه من الله تعالى أما السنة فتتزل بمعناها في الجملة واللفظ من النبي صلى الله عليه وسلم وقد دل على هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤ قال الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) في تفسيره

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٢٥/١٣، مادة (سنن) دار صادر، بيروت.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني، ص ٣٣، دار المعرفة، بيروت.

في معنى هذه الآية [أي ما يقول قولاً عن هوى و غرض إنما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملاً موفوراً من غير زيادة ولا نقصان - ثم أورد ابن كثير من الأحاديث ما يدل على أن ما يقوله أو يفعله حق وليس عن هوى أو غرض]^(١)، وقال الإمام محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) في تفسيره : [وفيها أيضاً دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل]^(٢) ، وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) : [أي ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره ما هو الذي ينطق به إلا وحي من الله يوحيه إليه]^(٣) .

فهذه أقوال بعض أئمة التفسير تدل على أن السنة من الوحي المنزل وجزم بذلك بعض أئمة التابعين وهو حسان بن عطية المحاربي الدمشقي (ت ١٢٠ هـ) أو بعدها فقال : [كان جبريل يترل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما يترل عليه بالقرآن يعلمه إياها كما يعلمه القرآن]^(٤) .

وبنحو هذا قال قتادة بن دعامة السدوسي (ت بعد ١١٣ هـ) فقد روى

عنه ابن جرير في معنى الآية السابقة : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم ٢٦٤/٤ ، - دار المعرفة بيروت - ط الأولى ١٩٩٤ م .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٧ ، دار الكتاب العربي - القاهرة - ط الثالثة ١٩٦٧ م .

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ١٣٠/٥ ، عناية يوسف الغوش - دار المؤيد - الرياض - ط الأولى - ١٩٩٥ م .

(٤) رواة الدارمي في المقدمة باب السنة قاضية على كتاب الله ١١٧/١ ، حديث أكاديمي - باكستان - ١٩٨٤ م ، والخطيب في الكفاية في علم الرواية ص ١٢ - المكتبة العلمية .

قال : يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبريل ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم [(١)] .

ورأى بعض أئمة التفسير أن المقصود بالوحي فى الآفة هو القرآن خاصة ومن قال بهذا إمام أهل التفسير فى عصره محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) حيث قال : [يقول تعالى ذكره : وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ﴿ إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ يقول : ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحىه إليه] (٢) .

وقال به كذلك أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ) حيث قال : [قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ يريد تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم أنه ليس بمتكلم عن هواه ، أي بهواه وشهوته ، وقال بعض العلماء : المعنى : وما ينطق القرآن المنزل عن هوى وشهوة ، ونسب تعالى النطق إليه من حيث يفهم منه كما قال تعالى : ﴿ هَذَا كُنْزُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ الجاثية : ٢٩ وأسند الفعل إلى القرآن الكريم ولم يتقدم له ذكر لدلالة المعنى عليه وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ يراد به القرآن بإجماع [(٣)] .

وما ذهب إليه هؤلاء الأئمة من أن المراد بالوحي فى الآفة هو القرآن لا شك فيه ولا خلاف فيه أيضاً غير أنه لا يمتنع أن يراد به مطلق الوحي على النبي صلى

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٢/٢٧ ، دار الفكر - ١٩٨٨ م .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ٨٥/١٤ ، تحقيق عبد العال السيد إبراهيم - ط الأولى - قطر ١٩٩١ م .

الله عليه وسلم فيشمل القرآن والسنة ، وهذا المراد هو ظاهر الآية الذي لا يآتمل تأويلاً غيره ، وقد جاء تفسير هذا المراد عن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في أحاديث كثيرة تبين أن ما يقوله هو حق تلقاه من الله تعالى ومن هذه الأحاديث :

أولاً : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (ت ٦٣هـ) قال : (كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قریش وقالوا أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضى فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال : (اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق) وفي رواية عند أحمد : (إني أسمع منك أشياء أفأكتبها ؟ قال نعم قلت في الغضب والرضى قال نعم فإني لا أقول فيهما إلا حقاً)^(١) .

ثانياً : عن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه (ت ٥٧هـ) وقيل (٥٩هـ) قال : (قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : إني لا أقول إلا حقاً)^(٢) .

-
- (١) رواد أبو داود في العلم باب كتاب العلم ٣/٣١٨ رقم ٣٦٤٦ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر ، ورواه أحمد ٢/١٩٢، ١٦٢، ٢١٥ ، دار الفكر - بيروت - ط الثانية ١٩٧٨م ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١/٣٨٥ رقم ١٢٠٧ المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٩٨٢م .
- (٢) رواد الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في المزاح ٤/٣٥٧ رقم ١٩٩٠ وقال : حديث حسن صحيح ، تحقيق أحمد شاكر - المكتبة الإسلامية ، وأحمد ٢/٣٤٠ ، ٣٦٠ .

ثالثاً : عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (ت ٧٣هـ) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً)^(١) .

رابعاً : عن أنس بن مالك رضي الله عنه (ت ٩٣هـ) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً)^(٢) .

خامساً : عن أبي أمامة صدى بن عجلان رضي الله عنه (ت ٨٦هـ) أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ليدخلن الجنة بشفاعتي رجل ليس بنبي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ريعة ومضر فقال رجل : يا رسول الله أو ما ريعة من مضر فقال : إنما أقول ما أقول)^(٣) .

ومعنى قوله : (إنما أقول ما أقول) أي إنما أتكلم بما علمني الله وأنطقني وليس هو من عند نفسي ولا باجتهاد مني قال الإمام المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (٦٠٦هـ) في معنى قول سعيد بن المسيب (ت بعد ٩٠هـ) لما سئل ما تقول في عثمان بن عفان رضي الله عنه (ت ٣٥هـ) وعلي بن أبي طالب

(١) رواد الطبراني في الصغير ٧/٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ م ، وقال الميثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨٩/٨ - دار الكتاب العربي - بيروت - ط الثالثة ١٩٨٢ م : إسناده حسن ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٢٩/٢ رقم ٢٤٩٠ .

(٢) رواد الخطيب في تاريخ بغداد ٣٧٨/٣ ، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣٢٩/٢ رقم ٢٤٩٠ .

(٣) رواد أحمد ٢٥٧/٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٨٤/٥ رقم ٥٢٣٩ .

رضي الله عنه (ت ٤٠هـ) فقال : (أقول ما قولني الله) قال : يقال : قولتني وأقولتني أي علمتني ما أقول وأنطقتني وحملتني على القول (١) .

سادساً : عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه (ت ٨٧هـ) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، لا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل يقوم فعليهم أن يقرؤه فإن لم يقرؤه فله أن يعقبهم بمثل قراه) (٢) .

ومعنى قوله : (أوتيت الكتاب ومثله معه) كما قال أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) يحتمل وجهين من التأويل : أحدهما أن معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو ، والثاني : أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى وأوتي من البيان مثله ، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيهم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن (٣) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢٣/٤ ، نشر أنصار السنة المحمدية - باكستان .

(٢) رواه أبو داود في السنة باب في لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم ٤٦٠٤ ، وأحمد ١٣١/٤ ، وصححه الألباني في

صحيح الجامع الصغير ٣٧٥/٢ رقم ٢٦٤٠ .

(٣) انظر : جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ٢٨٢/١ ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - مطبعة الملاح

. م ١٩٦٩

ومعنى (يعقبهم بمثل قراه) أى يأخذ منهم عوضاً عما حرّمه من قرى. ^(١)

سابعاً : وعن المقدام بن معدى كرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرّم الله) ^(٢) .

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٦٩/٣ .

(٢) رواه الترمذي في العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم ٣٨/٥ رقم ٢٦٦٤ ، وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه . أهـ .

المبحث الثاني : (تسمية السنة بكتاب الله) .

إطلاق لفظ (كتاب الله) أول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود به هو (القرآن الكريم) وهذا لا شك فيه ، غير أنه قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن غيره عموماً يُستنبط منها شمولية هذا الإطلاق في بعض المواطن للقرآن والسنة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (لأقضين بينكما بكتاب الله) فقضى بالقرآن والسنة ، وذلك في قصة العسيف ^(١) التي رواها الشيمان فعن زيد بن خالد الجهني (ت ٦٨هـ أو ٧٨هـ) وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : (جاء أعرابي فقال يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقام خصمه فقال : صدق ، اقض بيننا بكتاب الله ، فقال الأعرابي : إن ابني كان عسيفاً على هذا فزني بامرأته فقالوا : على ابنك الرجم ففديت ابني منه بمائة من الغنم ووليدة ^(٢) ثم سألت أهل العلم فقالوا : إنما على ابنك جلد مائة وتغريب عام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأقضين بينكما بكتاب الله أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، وأما أنت يا أنيس - لرجل - فاغد على امرأة هذا فإن

(١) العسيف : هو لأجير وزناً ومعنى ويطلق أيضاً على الخادم وعلى العبد وعلى السائل . انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٢/١٤٢-١٤٣ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط الثانية ١٩٨٧ م .

(٢) الوليدة في الأصل هي المولودة وتطلق ، ويراد بها الأمة كما هنا . انظر : فتح الباري ١٢/٣٣ .

اعترفت فارجمها فغدا عليها أنيس فاعترفت فرجمها (١) والرجم والتغريب في السنة وليسا في القرآن فدل هذا على صحة تسمية السنة بكتاب الله .

قال ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في المراد بكتاب الله في الحديث : هو ما حكم به وكتب على عباده، وقيل المراد: القرآن وهو المتبادر، وقال تقي الدين ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ): [الأول أولى لأن الرجم والتغريب ليسا مذكورين في القرآن إلا بواسطة أمرا لله بإتباع رسوله ، قيل : وفيما قال نظر لاحتمال أن يكون المراد ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٥ فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن السبيل جلد البكر ونفيه ورجم الثيب . قلت - القائل ابن حجر - : [وهذا أيضاً بواسطة التبيين ، ويحتمل أن يراد بكتاب الله : الآية التي نسخت تلاوتها وهي : { الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما } وبهذا أجاب البيضاوي عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ أو ٦٩١هـ) ويبقى عليه التغريب وقيل المراد بكتاب الله : ما فيه من النهي عن أكل المال بالباطل لأن خصمه كان أخذ منه الغنم والوليدة بغير حق فلذلك قال :

(١) رواد البخاري في الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ٣٥٥/٥ رقم ٢٦٩٥ ، ٢٦٩٦ ، وفي الحدود باب الاعتراف بالزنى ١٢/١٤٠ رقم ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨ ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط الثانية ١٩٧٨ م ، ومسلم في الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى ٢٠٤/١١ رقم ٤٤١٠ ، تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٩٦ م .

(الغنم والوليدة رد عليك) والذي يترجح أن المراد بكتاب الله ما يتعلق بجميع أفراد القصة مما وقع به الجواب الآتي ذكره [(١)] .

قلت : والذي يترجح لي أن المراد بكتاب الله في هذه القصة هو القرآن والسنة ففيهما أمر الله وحكمه وما كتبه على عباده والأمر باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعته وجلد البكر والنهي عن أكل المال بالباطل وفي السنة وحدها نفي الزاني غير المحصن ورجم الزاني المحصن ، والآية المنسوخة الواردة في رجمه ، وقد ثبتت بالسنة ، ولم تثبت قرآناً .

وفي هذا المعنى أيضاً حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها (ت ٥٧ هـ) أن بريرة (هي مولاة عائشة ت ٦٣ هـ) جاءت تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من كتابتها شيئاً قالت عائشة لها: ارجعي إلى أهلك فإن أحبوا أن أقضي عنك كتابك ويكون ولاؤك لي فعلت فذكرت ذلك بريرة لأهلها فأبوا وقالوا: إن شاءت أن تحتسب عليك فلتفعل ويكون ولاؤك لنا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابتاعي فأعتقي فإنما الولاء لمن اعتق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ما بال أناس

(١) فتح الباري لابن حجر ١٢/١٤٢، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط الثانية

١٩٨٧ م .

يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن شرط مائة مرة، شرط الله أحق وأوثق^(١) .

فقول النبي صلى الله عليه وسلم (ليست في كتاب الله) يريد به القرآن والسنة بدليل قوله : (إنما الولاء لمن اعتق) لأن هذا اللفظ والحكم ثابت في السنة وليس في القرآن ، وإلى هذا نحى ابن بطّال علي بن خلف القرطبي (ت ٤٥٩هـ) فقال : [المراد بكتاب الله هنا حكمه من كتابه أو سنة رسوله أو إجماع الأمة]^(٢) .

ومن هذا القبيل كذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٢٣هـ) على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف)^(٣) .

(١) رواه البخاري في المكاتب باب ما يجوز من شروط المكاتب ومن اشترط شرطاً ليس في كتاب الله ٢٢٢/٥ ،

ومسلم في العتق باب إنما الولاء لمن اعتق ٣٨٠/١٠ رقم ٣٧٥٦ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢٢٢/٥ .

(٣) رواه البخاري في الحدود باب رجم الحبل من الزنا إذا أحصنت ١٤٨/١٢ رقم ٦٨٣٠ ، ومسلم في الحدود

باب رجم الثيب الزاني ١٩٢/١١ رقم ٤٣٩٤ .

فقوله (وإن الرجم في كتاب الله حق) أي أصله ثم بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، وقال ابن حجر في معنى قول عمر هذا : أي في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٥ فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد به رجم الثيب وجلد البكر كما تقدم التنبيه عليه في قصة العسيف (١) .

المبحث الثالث : (نقل السنة بالإسناد المتصل) .

الإسناد هو أحد ركني الحديث الذي يتوقف عليهما قبول الحديث أو رده ، وقد كان العلماء في بداية الأمر يتساهلون فيه فيقبلون الحديث بدونه حتى كثرت الأهواء بين الناس وتعددت مشاربهم وأوغلوا في الفتن وأدى ذلك إلى ظهور الكذب فيهم فعندها طالبوا كل محدث بالإسناد وامتنعوا عن قبول أي حديث لا يشتمل عليه ، قال محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) : [لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سمو لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم] (٢) ، وأجمع المحدثون على أن الرواية بالإسناد عن فلان عن فلان إلى منتهاه من الدين الذي أمر الناس به [قال محمد بن سيرين كذلك : [إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم] (٣) .

(١) فتح الباري ١٢/ ١٥٣ .

(٢) رواه مسلم في المقدمة باب بيان أن الإسناد من الدين ٤٤/١ رقم ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ٤٤/١ .

وقال عبد الله بن المبارك المروزي (ت ١٨١هـ) : [الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء] ^(١).

والإسناد من خصائص هذه الأمة إذ أننا لم نجد عند أي أمة من الأمم السابقة حدثنا فلان قال حدثنا فلان إلى أن يصل الإسناد إلى النبي أو إلى من دونه ، ونجد مثل هذا عند هذه الأمة منذ الصدر الأول إلى اليوم ونقلت جميع علوم ذلك الصدر فمن بعده إلى نهاية عصر الرواية بالإسناد المتصل ، فنقل القرآن بالإسناد المتواتر، ونقلت السنة بالإسناد المتواتر والآحاد ، وحتى الأخبار التاريخية والشواهد اللغوية نقلت بالإسناد ، فأين نجد مثل هذا عند أي أمة من الأمم السابقة ، قال ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) : [نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل ، وأما مع الإرسال والإعصال فيوجد في كثير من اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً ، وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه ، قال : وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق ، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى ، قال : وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي

(١) المصدر السابق ٤٧/١ .

أصلاً ولا إلى تابع له ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص^(١)

وقال أبو علي الجبائي الحسين بن محمد الأندلسي (ت ٢٧٧هـ) : [خص الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الإسناد ، والأنساب ، والإعراب]^(٢) .

وقال أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس الحنظلي (ت ٢٧٧هـ) : لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسول صلى الله عليه وسلم إلا في هذه الأمة^(٣) .

وقال محمد بن المظفر البغدادي (ت ٣٧٩هـ) : [إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد وإنما هي صحف بأيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تنهاى أخبارهم ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجهاً وأكثر ، حتى يهذبوه من الغلط والزلل ، ويضبطوا

(١) انظر : قواعد التحديث للقاسمي ، ص ٢٠١ ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٧٩ م .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠١ .

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٦٥ رقم ٧١ ، عناية أشرف خلف - دار البصرة -

الإسكندرية ٢٠٠٤ م .

حروفه وبعده عدداً ، فهذا من أعظم نعم الله على هذه الأمة نستوزع الله شكر هذه النعم (١) .

المبحث الرابع : (وجوب العمل بالسنة)

يتجه القول بوجوب العمل بالسنة مما تشتمل عليه السنة من استقلالية في الأحكام وبيان مفصل للقرآن الكريم ، إذ لو قال قائل أو نادى منادٍ بالاستغناء عنها والاكتفاء بالقرآن عنها لأبطل معظم الدين ولما اهتدى إلى القيام بكثير من فرائضه وأحكامه ، على أن مثل هذه المنادة لم تكن معروفة في السلف وإنما وجدت بعد ذلك بين الزنادقة ثم في عصرنا الحاضر من المستشرقين وأذناهم من المستغربين ومن يطلق عليهم بالقرآنيين ممن لا يعرف من القرآن إلا التلاوة التي تكاد لا تتجاوز حناجرهم بل إن كثيراً منهم لا يحسنها ، وإذا أحسنها فإنه لا يعرفها وإذا عرفها فإنه لا يعمل بها .

وقد دل على وجوب العمل بالسنة : القرآن ، والسنة ، والإجماع .

فأما القرآن فأياته الدالة على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته والاحتكام إلى سنته والرد إليها كثيرة جداً وهي تدل على وجوب العمل بالسنة منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ آل عمران : ٣١ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ آل عمران : ٣٢ ﴿ وَمَا

(١) المصدر السابق ص ٦٥ رقم ٧٢ .

ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَانِهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ الحشر: ٧ وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ النساء: ٥٩ فهذه الآيات وغيرها مما في معناها تدل دلالة واضحة على وجوب العمل بالسنة ، لكون ذلك من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومحبته والافتداء به والتسليم لأمره والانقياد لحكمه .

وأما السنة فقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم توجب العلم بسنته منها :

الحديث الأول : حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله، ومن أبي؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي).^(١)

الحديث الثاني : وعنه رضي الله عنه قال : (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال : ذروني ما تركتكم فإنما هلك من

(١) رواد البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الافتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٦٣/١٣ رقم ٧٢٨٠.

قبلكم بكثرة سؤلهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا فهمتكم عن شيء فدعوه^(١) .

الحديث الثالث : وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (ت بعد ٧٠هـ) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة^(٢) .

الحديث الرابع : وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه (ت بعد ٧٠هـ) قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل : إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلاف كثيراً ، وإياكم ومحدثات الأمور

(١) رواد مسلم في الحج باب فرض الحج مرة في العمر ١٠٥/٩ رقم ٣٢٤٤ .

(٢) رواد مسلم في الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٣٩٢/٦ رقم ٢٠٠٢ .

فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين عضوا عليها بالنواجذ^(١) .

الحديث الخامس : عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله^(٢) .

الحديث السادس : عن أبي رافع رضي الله عنه (ت ٣٦هـ) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا ألفين أحداً منكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)^(٣) .

الحديث السابع : وعن مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما :

-
- (١) رواد الترمذي في العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واحتساب البدع ٤٤/٥ رقم ٢٦٧٦ وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود في السنة باب في لزوم السنة ٢٠١/٤ رقم ٤٦٠٧ ، وابن ماجه في المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين ١٧-١٥/١ رقم ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر .
- (٢) رواد أبو داود في السنة باب في لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم ٤٦٠٤ ، وابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه ٦/١ رقم ١٢ وإسناده صحيح .
- (٣) رواد أبو داود في السنة باب في لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم ٤٦٠٥ ، وابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦/١ رقم ١٣ وإسناده صحيح .

كتاب الله وسنة نبيه^(١) .

الحديث الثامن : وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض^(٢) .

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون منذ الصدر الأول إلى اليوم على وجوب العمل بالسنة ، ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة ، وبعض الفرق الضالة ممن لا يعتد بها ولا بخلافها عند أهل العلم ، وممن نقل الإجماع على هذا الإمام ابن حزم فقال: [فصل فيه أقسام الأخبار عن الله تعالى: جاء النص ثم لم يختلف فيه مسلمان في أن ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله ففرض إتباعه، وأنه تفسير لمراد الله تعالى في القرآن وبيان لمجمله ثم اختلف المسلمون في الطريق المؤدية إلى صحة الخبر عنه عليه السلام بعد الإجماع المتيقن المقطوع به على ما ذكرنا وعلى الطاعة من كل مسلم لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ النساء: ٥٩^(٣) .

(١) رواه في الموطأ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر ٨٩٩/٢ ، بلاغاً تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١م وهو حديث حسن يشهد له ما بعده .

(٢) رواه الحاكم ٩٣/١ - دار الكتاب العربي - بيروت ، وقواه الألباني في السلسلة الصحيحة ٣٦١/٤ رقم ١٧٦١ - مكتبة المعارف - الرياض - ط الرابعة ١٩٨٨م ، وفي مشكاة المصابيح للبريزي ٦٦/١ رقم ١٨٦ - المكتب الإسلامي - بيروت - ط الثانية ١٩٧٩م .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ١١٦/١ ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز - مطبعة الامتياز - القاهرة ط الأولى ١٩٧٨م .

وكذلك العلامة محمد بن علي الشوكاني فقال : [اعلم أنه قد اتفق من يعتد به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ألا أي أوتيت القرآن ومثله معه ، أي : أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن ^(١) .

المبحث الخامس : (كون منكر السنة كافراً) .

لم يختلف العلماء فيما بينهم أن من أنكر السنة وردّها جملة وتفصيلاً وجحد ورودها عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية أنه كافر زنديق، وذلك لأنه مكذب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنكر لأمر قطعي معلوم من الدين بالضرورة، ومؤمن ببعض الكتاب وكافر ببعض، ومستهزئ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ومتبع لغير سبيل المؤمنين ، فأما كونه مكذباً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فلا أن الله تعالى أخبر أن السنة وحي من عنده وأنها مبينة للقرآن ومستقلة عنه في التشريع وأنه يجب الانقياد لذلك والأخذ به وأكد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وفعله ، فقال المنكر للسنة أن الأمر ليس كذلك ، وأما كونه منكراً لأمر قطعي فلا أنه لا خلاف بين المسلمين منذ الصدر الأول إلى اليوم في ورودها عن

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ٣٣ ، دار المعرفة - بيروت ، وانظر كذلك : المختصر الوجيز في علوم الحديث ص ٣٣ لمؤلفه الدكتور محمد عجّاج الخطيب فقد نقل كذلك إجماع الأمة الإسلامية على وجوب العمل بالسنة استجابة لله ولرسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم - مؤسسة الرسالة - ط الخامسة ١٩٩١ م .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الورود استفاض واشتهر وتواتر بينهم حتى أصبح معلوماً لكل أحد ، ومثل هذا هو الذي يسميه العلماء المعلوم من الدين بالضرورة الذي يحكم على منكره بالكفر .

وأما كونه مؤمناً ببعض الكتاب وكافراً ببعض فلا أنه فرق بين القرآن والسنة في الإيمان والعمل ، وهما عند المسلمين في هذا شيء واحد بالإجماع قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ٨٥ .

وأما كونه مستهزئاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فظاهر من عدم إيمانه بالسنة ، وعدم قبوله لها ، وتركه للعمل بها استخفافاً وهذا كفر كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ التوبة: ٦٥ - ٦٦ .

وأما كونه متبعاً لغير سبيل المؤمنين فلأن المؤمنين صدراً بعد صدر ، وجيلاً بعد جيل على الإيمان بالسنة والعمل بها ، فمن أنكرها لم يكن منهم ، ولا هو متبع لسبيلهم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولَٰئِكَ مَا تُولَٰئِي وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥ .

ونقل الإجماع على كفر منكر السنة غير واحد من أهل العلم منهم الإمام ابن حزم رحمه الله فقال : [مسألة : وكل من كفر بما بلغه وصح عنده عن النبي

صلى الله عليه وسلم أو أجمع عليه المؤمنون مما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام فهو كافر قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥^(١) . وقال كذلك : فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة ولو أن امرأً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة ، ولكن لا يلزمه إلا ركعة واحدة ما بين دلك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد للأكثر في ذلك ، وقائل هذا كافر مشرك ، حلال الدم والمال ، وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم^(٢) .

وقال أيضاً : وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ الشورى: ١٠ ، فوجدنا الله تعالى يردنا إلى كلام نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قدمنا آنفاً فلم يسع مسلماً يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع إلى غير القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يأبى عما وجد فيهما فإن فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق وأما من فعله مستحلاً للخروج عن أمرهما وموجباً لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك عندنا في ذلك ، وقد ذكرنا عن محمد بن نصر المروزي أن إسحاق بن راهويه كان يقول من بلغه عن رسول الله صلى الله عليه

(١) المحلى ١٢/١ ، تحقيق أحمد محمد شاكر - مكتبة دار التراث - القاهرة .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٢٥٣/٢ .

وسلم خبر يقر بصحته ثم رده بغير تقيه فهو كافر ، ولم نحتج في هذا بإسحاق وإنما أوردناه لئلا يظن جاهل أننا منفردون بهذا القول وإنما احتجنا في تكفيرنا من استحل خلاف ما صح عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى مخاطباً لنبيه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥ قال ابن حزم : [فهذه كافية لمن عقل وحذر وآمن بالله واليوم الآخر وأيقن أن هذا العهد عهد ربه تعالى إليه ووصيته عز وجل الواردة عليه فليفتش الإنسان نفسه ، فإن وجد في نفسه مما قضاه صلى الله عليه وسلم في كل خبر يصححه مما قد بلغه ، أو وجد نفسه غير مسلمة لما جاءه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد نفسه ماثلة إلى قول فلان وفلان ، أو إلى قياسه واستحسانه فليعلم أن الله قد أقسم وقوله الحق أنه ليس مؤمناً وصدق الله تعالى ، وإذا لم يكن مؤمناً فهو كافر ولا سبيل إلى قسم ثالث]^(١) .

ومنهم الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) حيث قال : [اعلموا رحمكم الله أن من أنكر كون حديث النبي صلى الله عليه وسلم قولاً كان أو فعلاً بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر وخرج عن دائرة الإسلام ، وحشر مع اليهود والنصارى أو من شاء من فرق الكفرة]^(٢) .

(١) المصدر السابق ١/ ١١٠ .

(٢) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٢ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٢هـ .

ومنهـم الإمام ابن حجر العسقلاني وذلك في بيان ضابط البدعة المكفرة التي ترد بها رواية قائلها حيث قال : [فالـمعتمد أن الذي ترد روايته من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة ، وكذا من اعتقد عكسه ، فأما من لم يكن بهذه الصفة وانضم إلى ذلك ضبطه لما يرويه مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله] (١) .

قلت : وعلى هذا فمنكر السنة كافر لأنها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم في العموم معلومة من الدين بالضرورة .

المبحث السادس : (حفظ السنة في الجملة)

لقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم من أن تمتد إليه يد التحريف بزيادة أو نقصان وتولّى هو سبحانه حفظه ولم يكل ذلك إلى أحد سواه فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ، ولما كان هذا القرآن الكريم يشتمل على أحكام وفرائض وحدود ونواه مجملة ومطلقة وعامة ومبهمة فقد أوجب الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم تبينها وتوضيحها للناس حتى لا يلتبس عليهم دينهم وكتاب ربهم فقام بذلك أحسن قيام وذلك فيما يعرف عند المسلمين بالسنة ، ولم يكن مجازفة - على هذا الاعتبار - القول أن من تمام حفظ القرآن حفظ السنة كذلك لأنه بدونها لا يعبد الله حق عبادته ولا يعبد كما شرع جل وعلا ، ولأجل هذا فقد حفظ الله تعالى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في الجملة

(١) نزهة النظر بشرح نخبه الفكر ص ٥٣ ، تعليق محمد كمال الدين الأدهمي - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

وذلك من خلال تسخيرها لها رجالاً يحفظونها في صدورهم وفي كتبهم وينفون عنها تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ، ويمكن أن نجمل عوامل حفظ السنة في الآتي :

أولاً : الكتابة : وتعني عند أهل الفن : كتابة الحديث وجمعه لا على سبيل الاستقصاء والتبويب .

وقد ابتدأت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأشهر من كان يكتب الحديث في هذا العهد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ويدل على ذلك قوله : [كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضى فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال : (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق) ^(١) .

وشهد له بهذا أبو هريرة فقال : (ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) ^(٢) .

(١) سبق تخريجه برقم ٩ .

(٢) رواد البخاري في العلم باب كتابة العلم ٢٤٩/١ رقم ١١٣ .

وقد جمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنه حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيفة سماها (الصادقة) وروي عنه أنه قال : [ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها) ^(١) .

ولم يكن هو الذي يكتب الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقط ، فقد كان يكتب عنه غيره من الصحابة كما يدل عليه حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت ٤٠هـ) الذي رواه عنه أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي (ت ٧٤هـ) قال : [قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . قال قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ^(٢) ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر ^(٣)] .

(١) رواه الدارمي في المقدمة باب من رخص في كتابة العلم ١٠٥/١ رقم ٥٠٢ ، والرامهرمزي في المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص ٣٦٦ رقم ٣٢٣ ، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - ط الأولى ١٩٧١هـ .

(٢) العقل : هو الدية ، وأصله : أن القاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول ، أي شدّها في عقلها ليسلمها إليهم ويقبضوها منه فسميت الدية عقلاً بالمصدر . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٨/٣ .

(٣) رواه البخاري في العلم باب كتابة العلم ٢٤٦/١ رقم ١١١ ، ومعنى (فكاك الأسير) كما قال الحافظ ابن حجر : أي : حكم تخليص الأسير من يد العدو والترغيب في ذلك . أه فتح الباري ٢٤٧/١ .

وحديث عبد الله بن عمرو نفسه قال : [بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب إذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أو رومية ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا ، بل مدينة هرقل أولاً)] ^(١) .

فقوله (نكتب) فيه دلالة على عدم اختصاصه بالكتابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان معه غيره يكتب ، ومما يدل على اشتهاار كتابة الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح - وفيه - [فقام أبو شاه : رجل من أهل اليمن - فقال : اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اكتبوا لأبي شاه) ، فقال الوليد بن مسلم الدمشقي (ت ١٩٥هـ) : [قلت للأوزاعي - عبد الرحمن بن عمرو (ت ١٥٧هـ) - : ما قوله اكتبوا لي يا رسول الله ؟ قال هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(٢) .

فهذه الخطبة كانت في فتح مكة سنة ثمان من الهجرة وقد سمعها آلاف من الصحابة ، وفي هذا الحديث وغيره مما سبق دلالة واضحة على نسخ النهي الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الحديث ، وهو ما رواه أبو سعيد الخدري

(١) رواه الدارمي في المقدمة باب من رخص في كتابة العلم ١٠٤/١ رقم ٤٩٢ ، إسناده حسن .

(٢) رواه البخاري في اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ١٠٤/٥ - ١٠٥ رقم ٢٤٣٤ ، ومسلم في الحج باب

تحريم مكة وصيدها وخلها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ١٣٣/٩ رقم ٣٢٩٢ .

سعد بن مالك بن سنان (ت ٧٤هـ) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)^(١).

وقيل في التوفيق بين هذا الحديث والأحاديث التي قبله غير ما ذكر : أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره ، والإذن في غير ذلك ، أو أن النهي خاص بكتابة غير القرآن مع القرآن في شيء واحد ، والإذن في تفريقهما ، أو أن النهي خاص بمن خشى منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ ، والإذن لمن أمن منه ذلك^(٢).

ولأجل هذا التعارض الظاهر بين الأحاديث وقع اختلاف في كتابة العلم بين السلف من الصحابة والتابعين فكرهها كثيرون ، وأجازها أكثرهم ، ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف كما قال القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ)^(٣).

ولولا كتابة العلم لا ندرس وذهبت معالمه وآثاره ، قال الحافظ ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ) : [بعد أن ذكر خلاف أهل العلم في الصدر الأول في جواز كتابة الحديث : ثم إنه زال ذلك الخلاف

(١) رواد مسلم في الزهد باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم ٣٢٩/١٨ رقم ٧٤٣٥ .

(٢) انظر : شرح مسلم للنووي ٣٢٩/١٨ ، تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة

١٩٩٦م ، وفتح الباري لابن حجر ٢٥١/١ .

(٣) انظر : شرح مسلم للنووي ٣٢٩/١٨ .

وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الآخرة [^(١)] .

ثانياً : الحفظ .

والمقصود به هنا حفظ السنة في الصدور ، وقد هيا الله تعالى لها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ثم في العصور التي بعده إلى نهاية عصر الرواية رجالاً حفظوها في صدورهم كما تحفظ السورة من القرآن وقد اشتهر هؤلاء في الأمة حتى عرفوا بين الناس بالحفاظ مع تفاوت بينهم في ذلك ، وكان باعثهم في ذلك عدة أمور :

الأول : قصد طلب العلم للفوز بنعيمه وثمرته وفائدته ورتبته في الدنيا والآخرة.

الثاني : قصد التبليغ الذي أمرت به الأمة في قوله صلى الله عليه وسلم : (بلغوا عني ولو آية) ^(٢) (ولبيلغ الشاهد الغائب) ^(٣) .

(١) علوم الحديث ص ١٦٢ ، تحقيق د/ نور الدين عتر - المكتبة العلمية - بيروت ١٩٨١ م .

(٢) رواه البخاري في الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٥٧٢/٦ رقم ٣٤٦٠ .

(٣) رواه البخاري في العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (رب مبلغ أوعى من سامع) ١٩٠/١ رقم ٦٧ ، ومسلم في الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلالها وشرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام ١٣٢/٩ رقم ٣٢٩١ .

الثالث : الفوز بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في قوله : (نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه) ^(١) .

الرابع : العمل بما اشتملت عليه الأحاديث من أمور الدين المختلفة وهذا هو غاية طلب العلم وفائده وثمرته .

ثالثاً : التدوين .

والمقصود به جمع السنة على سبيل الاستقصاء والتبويب لها على الأبواب أو على الأسماء .

وقد ابتدأ تدوين السنة بهذا المعنى في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز الأموي (ت ١٠١هـ) ، حيث كتب إلى عماله في الآفاق أن يكتبوا ما وصل إليهم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن هؤلاء عامله على المدينة : أبوبكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت ١٢٠هـ) فعن عبد الله بن دينار العدوي المدني (ت ١٢٧هـ) قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه

(١) رواه الترمذي في العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٣٤/٥ رقم ٢٦٥٦ وقال : حديث حسن .

وسلم ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يُعَلِّمَ من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً [(١)] .

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث : [قوله : (فاكتبه) يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي ، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ فلما خاف عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء رأى أن في تدوينه ضبطاً له وإبقاء وقد روى أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) في تاريخ أصبهان هذه القصة بلفظ : [كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه] (٢) .

ومن جمع السنة كذلك بأمر عمر بن عبد العزيز الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) فقد ورد عنه أنه قال : [أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا] (٣) .

(١) رواه البخاري في العلم باب كيف يقبض العلم ٢٣٤/١ ، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ص ٤٢٣ رقم ٧٨٢ ، تحقيق د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، والدارمي في المقدمة باب من رخص في كتابة العلم ١٠٤/١ مختصراً ، والرامهرمزي في المحدث الفاضل ، ص ٣٧٣ رقم ٣٤٦ .
(٢) فتح الباري ٢٣٥/١ .
(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٩٨ .

وبعد هذا التدوين الذي يعتبر التدوين الرسمي للسنة تتابع التصنيف فيها من قبل أفراد العلماء ، ومن أشهر من صنف على الأبواب ، أو على الأسماء ممن وصلت إلينا مصنفاتهم :

١- مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي أبو عبد الله المدني (ت ١٧٩هـ) إمام دار الهجرة وصنف الموطأ على الأبواب .

٢- عبد الرزاق بن همام الصنعاني أبوبكر الحميري مولا هم (ت ٢١١هـ) وله المصنف وغيره على الأبواب .

٣- أبوبكر بن أبي شيبة واسمه عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي الكوفي (ت ٢٣٥هـ) وله المصنف وغيره على الأبواب .

٤- إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه أبو محمد (ت ٢٣٨هـ) وله المسند على الأسماء .

٥- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي أبو عبد الله أحد الأئمة (ت ٢٤١هـ) وله المسند وغيره على الأسماء .

٦- محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله الجعفي مولا هم (ت ٢٥٦هـ) وله : الصحيح على الأبواب وهو أول من صنف في الصحيح المجرد ، وكتابه الصحيح أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

- ٧- مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري أبو الحسين (ت ٢٦١هـ)
وله الصحيح على الأبواب ويأتي في الرتبة بعد صحيح البخاري .
- ٨- سليمان بن الأشعث السجستاني أبو داود (ت ٢٧٥هـ) وله السنن
على الأبواب .
- ٩- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) وله
الجامع على الأبواب .
- ١٠- محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني أبو عبد الله (ت ٢٧٣هـ) وله
السنن على الأبواب .
- ١١- أحمد بن شعيب بن علي النسائي أبو عبد الرحمن (ت ٣٠٣هـ) وله
السنن على الأبواب .
- ١٢- عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي أبو محمد (ت ٢٥٥هـ)
وله السنن وتسمى المسند تجوزاً على اعتبار أن أحاديثه مسنده .
- ١٣- محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري أبو بكر
(ت ٣١١هـ) وله الصحيح على الأبواب .
- ١٤- أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) وله
المسند على الأسماء .

١٥- أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري أبوبكر البزار (ت ٢٩٢هـ) وله المسند المسمى البحر الزخار على الأسماء .

١٦- محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي أبو حاتم (ت ٣٥٤هـ) وله الصحيح على التقاسيم والأنواع .

١٧- علي بن عمر بن أحمد الدارقطني أبو الحسن (ت ٣٨٥هـ) وله السنن على الأبواب .

١٨- محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري أبو عبد الله ابن البيع (ت ٤٠٥هـ) وله المستدرك على الصحيحين على الأبواب .

١٩- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبوبكر (ت ٤٥٨هـ) وله السنن الكبرى وغيرها على الأبواب .

٢٠- سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ) وله المعجم الكبير على أسماء الصحابة والمعجم الأوسط والمعجم الصغير على أسماء شيوخه .

فهذه أهم كتب السنة وعليها مدار الإسلام وهناك كتب حديثة غيرها كثيرة تبلغ المئات ذكرها أصحاب الفهارس يصعب الإحاطة بها في هذه العجالة ، وقد حفظت لنا هذه المدونات السنة كما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : جرح الرواة وتعديلهم .

وهذا أحد العوامل البارزة في حفظ السنة فإنه يجرح الراوي أو تعديله تعرف حاله من عدالة أو ضعف ، ومن ثم يقبل حديثه أو يرد ، وعلى هذا الأساس قبل حديث الثقة والصدوق ، ورد حديث الضعيف والمتروك والكذاب .

وقد كان العلماء في هذا الجانب في غاية التزاهة والأمانة والإنصاف ، فلم يقبلوا جرحاً صادراً عن جهل ، أو هوى ، أو ضعف ، أو اختلاف في العقيدة ، أو كان مبهماً ، ولم يقتصروا على ذكر الجرح في الراوي إذا كان فيه تعديل بل يذكرونهما معاً ، ولم يحابوا أحداً من المجروحين ولو كان أقرب الناس إليهم قال الحافظ البيهقي : [ومن أنعم النظر في اجتهاد أهل الحفظ في معرفة أحوال الرواة وما يقبل من الأخبار وما يرد ، علم أنهم لم يألوا جهداً في ذلك حتى إذا كان الابن يقدر في أبيه إذا عثر منه على ما يوجب رد خبره ، والأب في ولده ، والأخ في أخيه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا تمنعه في ذلك شجنة رحم ولا صلة مال ، والحكايات عنهم في ذلك كثيرة^(١) .

ولأهمية هذا العلم في حفظ السنة فقد أفرده العلماء بالتصنيف ، فمنهم من صنف في حقيقته وضوابطه وعباراته وأقسامه ، ومنهم من صنف في المجروحين

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٤٧/١ ، تحقيق د/ عبد المعطي قلنجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأول ١٩٨٥ م .

والثقات من رواته وما قيل فيهم من جرح أو تعديل بإفراد كل نوع عن الآخر في بعض المصنفات ، وبدمج الجميع في البعض الآخر .

خامساً : نقد متن الحديث . أي : معرفة علله من شذوذ ونكارة ، ووقف ، وتصحيح ، وزيادة ، وإدراج ، ونحو ذلك إذ أن الحديث له شقان : الإسناد ، والمتن ، وقد يصح أحدهما دون الآخر ، وفي الأغلب إذا صح الإسناد صح المتن وأحياناً قد يصح الإسناد عند العلماء ولا يصح المتن ومن أمثلة ذلك الشذوذ في المتن ، وما وقع من تصحيح أو تحريف في متنه ، والمنسوخ ، ومختلف الحديث الذي لا يمكن الجمع بين لفظيه افتراضاً ، وما في متنه علة ، والمنكر من الأحاديث ، ومقلوب المتن ، والمدرج في أول المتن أو أثنائه أو آخره ، والمضطرب في متنه ^(١) ، ومما نقد العلماء متنه الموضوع قالوا : وله أمارات منها : مخالفته لمقتضى العقل بحيث لا يقبل التأويل ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة أو العادة ، وكمنافاته لدلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة ، أو الإجماع القطعي ، ومنها ركة لفظه ومعناه ، ومنها الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير أو بالوعد العظيم على الفعل اليسير ، ومنها : أن يروى الخبر في زمن قد استقرت فيه الأخبار ودونت فيفتش عنه فلا يوجد في صدور الرجال ولا في بطون

(١) انظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ٢٥٣/١ ، ١٨٠/٢ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ،

٣٨٦ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف — ط الثانية ١٩٧٩ م .

الكتب، ومنها : كون الراوي رافضياً والحديث في فضائل أهل البيت ، أو في ذم من حاربهم إلى غير ذلك ^(١) .

ولم أورد الأمثلة خشية الإطالة واستغناء بذكر العلماء لها في المصادر المشار إليها .

المبحث السابع : (خطر التهاون بالسنة)

لقد عظم الله تعالى السنة وذلك من خلال بيان كونها وحياً ، ومن خلال الأمر بإتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ، والأمر بطاعته استقلالاً ، أو مقرونة بطاعته جل وعلا ، ومن خلال التحذير من معصيته وبيان مغبة ذلك ، ومن خلال نفي الإيمان عمن لم يحكم شرعه وسنته وينقاد لذلك أتم الانقياد قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ النساء : ٥٩ ، (النور : ٥٦) ،

وقال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُثُ لَهُمْ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة لابن عراق الكناي ٨-٥/١ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٧٩ م .

وَمِيتٌ فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأَخِي الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ، وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿الأعراف: ١٥٧ - ١٥٨﴾ ، وقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ آل عمران: ٣١ ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ قَدْحُوهُ وَمَنْهَكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧ ، وقال : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣ ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، وقد جاءت أحاديث بعقوبات مختلفة في حق من يتهاون بالسنة ، ومن تلکم العقوبات :

١- تصلب اليد وعدم القدرة على تحريكها ، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه (ت ٧٤هـ) قال : [إن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : (كل بيمينك) قال : لا أستطيع ، قال : (لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر) قال : فما رفعها إلى فيه] ^(١).

٢- المسخ وهو تحويل الإنسان من صورته إلى صورة حيوان ، وقد حصل هذا في الأمم السابقة وسيحصل في آخر الزمان كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي عامر (ت في خلافة عبد الملك) أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه (ت ١٨هـ) أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، وليرتلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم

(١) رواد مسلم في الأشربة باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ١٩٢/١٣ رقم ٥٢٣٦ .

— أي ماشية — يأتيهم — يعني الفقير — لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ، ويضع العلم ، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة^(١) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما يخشى أحدكم — أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار^(٢) .

٣- الخسف — وهو انشقاق الأرض وابتلاعها وتغييبها لشخص فيها بأمر الله تعالى ، وقد خسف الله تعالى في الأمم السابقة بقارون وغيره وسيخسف في هذه الأمة بأقوام ، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه (ت ٤٢ هـ) قال : [اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال : (ما تذكرون ؟) قالوا : نذكر الساعة . قال : (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم]^(٣) .

(١) رواه البخاري في الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ٥٣/١٠ رقم ٥٥٩٠ .

(٢) رواه البخاري في الأذان باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام ٢١٤/٢ رقم ٦٩١ ، ومسلم في الصلاة باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما ٣٧١/٤ رقم ٩٦٢-٩٦٤ .

(٣) رواه مسلم في الفتن باب في الآيات التي تكون قبل الساعة ٢٣٤/١٧ رقم ٧٢١٤ .

٤- القذف بالحجارة ، وقد حصل مثل هذا لقوم لوط ، وأصحاب الفيل وسيحصل في هذه الأمة في آخر الزمان ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه (ت ٨٨هـ) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسوخ قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر)^(١) .

٥- الفشل والهزيمة والتراجع وذهاب الريح ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه (ت ٧٢هـ) قال : [لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله - هو ابن جبير استشهد في أحد - وقال : (لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا) ، فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتدن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة ، فقال عبد الله : عهد إليّ النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان - وهو ابن حرب (ت ٣٢هـ) - فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : (لا تجيؤه) ، فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : (لا تجيؤه) ، فقال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فقال : إن

(١) رواه الطبراني ١٥٠/٦ رقم ٥٨١٠ ، تحقيق حمدي السلفي - ط الثانية ١٩٨٥م ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣١٦/٣ رقم ٣٥٥٩ .

هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياءً لأجابوا . فلم يملك عمر نفسه فقال :
كذبت يا عدوا الله أبقي الله عليك ما يحزنك ، قال أبو سفيان : أعل
هبل . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أجيره) قالوا : ما نقول ؟
قال : (قولوا : الله أعلى وأجل) ، قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى
لكم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أجيوه) قالوا : ما نقول ؟
قال : (قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم) قال أبو سفيان : يوم بيوم
بدر ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم آمر بها ولم تسؤني [(١)] .

ف قوله (فلما أبوا) أي الطاعة والامتثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
أحد بأن يلزموا مكافهم ولا يبرحوه على أي حال كانت وجهة المعركة صرفت
وجوهم وعوقبوا بالقتل والتراجع والفشل وهو ما أشارت إليه الآيات في قوله
تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ بِهِ تَحِجُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران : ١٥٢

(١) رواه البخاري في المغازي باب غزوة أحد ٤٠٥/٧ رقم ٤٠٤٣ .

الفصل الثاني

(خصائص السنة التي انفردت بها)

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : (انفراد السنة بالتشريع)

استقلت السنة بأحكام كثيرة وجملة كبيرة من التشريعات لم ينص عليها القرآن ، وهي وإن كانت تدرج عند بعض العلماء تحت الأصول العامة للقرآن الكريم كالأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم ، واتباعه ، والاقتداء به ، والحذر من معصيته ومخالفته ، إلا أن أكثر العلماء يرون غير ذلك ، وأن العموميات لا تكفي في الدلالة على القضايا الخاصة والتي تحتاج في ثبوت حكمها إلى نص خاص بعينها ، ونجد من تلك التشريعات التي لم ترد في القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر :

١- في الطهارة : المسح على الخفين ، حرمة الصلاة ، والصوم ، والطواف ، والمكث في المسجد على الحائض والنفساء ، السواك .

٢- وفي الصلاة : صلاة الكسوف ، صلاة الاستسقاء .

٣- وفي الزكاة : زكاة الفطر .

٤- وفي الأطعمة : الأضحية ، والعقيقة ، وتحريم أكل لحوم الحمر الأهلية وأكل السباع وأكل كل ذي مخلب من الطيور .

- ٥- وفي الأنكحة : تحريم نكاح المتعة والتحليل ، والجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها ، ونكاح الشغار ، وإحداد المعتدة .
- ٦- وفي الحدود : حد الخمر ، وحد الرجم ، وحد الردة .
- ٧- وفي الجنايات : القسامة ، وغيرها .
- ٨- وفي البيوع : الحوالة ، والشفعة ، واللقطة ، والمساقاة ، وغيرها .
- ٩- والعمرى والرقي ، وإرث الجدة ، وغير ذلك .

قال الإمام الشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) مبيناً خلاف العلماء في استقلال السنة بالتشريع : [فلم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سنن النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا منها على وجهين ، والوجهان يجتمعان ويتفرعان :

أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما نص الكتاب .

والآخر : ما أنزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما أراد ، وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما .

والوجه الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ليس فيه نص كتاب ، فمنهم من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته وسبق في علمه من توفيقه لرضاه أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب .

ومنهم من قال : لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة ، وعملها على أصل جملة فرض الصلاة ، وكذلك ما سن من البيوع وغيرها من الشرائع لأن الله تعالى قال : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ النساء: ٢٩ ، وقال : ﴿ وَأَحْلَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ البقرة: ٢٧٥ ، فما أحل وحرم فإنما بين فيه عن الله كما بين الصلاة .

ومنهم من قال : بل جاءته به رسالة الله فأثبت سنته بفرض الله .

ومنهم من قال : ألقى في روعه كل ما سن ، وسنته الحكمة التي ألقى في روعه عن الله فكان ما ألقى في روعه سنته (١) .

وقد علق الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله (ت ١٩٦٤ م) على هذا الخلاف الذي ذكره الإمام الشافعي بعد أن ذكر حجج الفريقين بقوله : [ويتلخص الموقف بين الفريقين في أنهما متفقان على وجود أحكام جديدة في السنة لم ترد في القرآن نصاً ولا صراحة ، فالفريق الأول يقول : إن هذا هو الاستقلال في التشريع لأنه إثبات أحكام لم ترد في الكتاب ، والفريق الثاني مع تسليمه بعدم ورودها بنصها في القرآن يرى أنها داخلة تحت نصوصه بوجه من الوجوه ، وعلى هذا فهم يقولون : إنه لا يوجد حديث صحيح يثبت حكماً غير وارد في القرآن إلا وهو داخل تحت نص أو قاعدة من قواعده ، فإن وجد حديث ليس كذلك كان دليلاً على أنه غير صحيح ولا يصح أن يعمل به ، وأنت ترى

(١) الرسالة ص ٩١ ، تحقيق أحمد شاكر - ط الأول البائي الحلبي - مصر .

أن الخلاف لفظي وأن كلاً منهما يعترف بوجود أحكام في السنة لم تثبت في القرآن ولكن أحدهما لا يسمي ذلك استقلالاً ، والآخر يسميه والنتيجة واحدة^(١) .

المبحث الثاني : (انفراد السنة ببيان القرآن الكريم) .

لم يختلف العلماء في أن السنة جاءت مفسرة للقرآن ومبينة وشارحة له لقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٤٤ ، وما ورد عنهم في ذلك ما رواه أبو عمر يوسف ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) عن عمران بن حصين رضي الله عنه (ت ٥٢ هـ) أنه قال لرجل : [إنك أحق أتجد في كتاب الله : الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة ، ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال : أتجد هذا في كتاب الله مفسراً ، إن كتاب الله أهم هذا وإن السنة تفسر ذلك] ^(٢) .

وهذا الرجل اعترض على عمران وهو يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يقتصر على القرآن فلذلك غضب فعن الحسن - هو البصري (ت ١٢٠ هـ) - قال : [بينما عمران بن الحصين يحدث عن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال له رجل : يا أبا نجيد حدثنا بالقرآن . فقال له عمران : أنت وأصحابك تقرؤون القرآن أكنت تحدثني عن الصلاة وما فيها

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٣٨٥ ، المكتب الإسلامي - بيروت - ط الثالثة ١٩٨٢ م .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٤٩٥ .

وحدودها ، أكنت محدثي عن الزكاة في الذهب والإبل والبقر وأصناف المال ، ولكن قد شهدتُ وغبتَ أنت ثم قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزكاة كذا وكذا فقال الرجل : أحيتني أحياءك الله [(١)] .

وعن أيوب السخيتاني (ت ١٣١هـ) أن رجلاً قال لمطرف بن عبد الله الشخير (ت ٩٥هـ) : [لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال له مطرف : والله ما نريد بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا] (٢) .

وقال الأوزاعي : [الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب] (٣) .

وقال يحيى بن أبي كثير (ت ١٣٢هـ) : [السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة] (٤) .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) عن الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب فقال : [ما أجسر على هذا أن أقول أن السنة قاضية على الكتاب ، إن السنة تفسر الكتاب وتبينه] (٥) .

(١) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٢٣ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٤٩٦ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٤٩٦ .

قال أبو عمر ابن عبد البر : [والبيان منه صلى الله عليه وسلم على ضربين : بيان المحمل في الكتاب العزيز كالصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها ، وكيانه للزكاة وحدها ووقتها وما الذي تؤخذ منه الأموال ، وبيانه لمناسك الحج قال صلى الله عليه وسلم إذ حج بالناس : (خذوا عني مناسككم) ، لأن القرآن إنما ورد بجملة فرض الصلاة والزكاة والحج دون تفصيل ، والحديث مفصل وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم المرأة على عمتها وخالتها وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع إلى أشياء يطول ذكرها ^(١) .

وبيان السنة للقرآن على وجوه كما ذكر ذلك العلماء ، ومن هذه الوجوه :

١- تفصيلها لمحمل القرآن ، حيث فرض الله الصلاة ولم يبين عددها ولا كيفياتها ولا أوقاتها ولا شروطها فبين ذلك كله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، فبين أنها خمس صلوات في اليوم والليلة ، وبين عدد ركعات كل صلاة والكيفية التي تؤدي بها ، والأوقات ، والشروط التي لا تصح إلا بها ، وغير ذلك مما يتعلق بأحكامها ، وكذلك بالنسبة للحج فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم بين مواقيته الزمانية والمكانية ، وشروطه ، وكيفيته التي يجب أن يؤدي بها من إحرام وطواف وسعي ووقوف بعرفة ومبيت بمزدلفة ، ومن رمي للحمار ، ونحر ، وحلق ،

(١) المصدر السابق ص ٤٩٤ .

ووداع ، وغير ذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام مؤكداً هذا البيان (لتأخذوا مناسككم فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجلي هذه) ^(١).

٢- تخصيصها لعامة ، ومن ذلك تخصيص قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء: ١١ فهذا حكم عام في وراثة الأولاد آباءهم وأمهاتهم يثبت في كل أصل مورث وكل ولد وارث ، فنخصت السنة المورث بغير الأنبياء بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا نورث ، ما تركناه صدقة) ^(٢) ، وخصت الوارث بغير القاتل بقوله صلى الله عليه وسلم : (القاتل لا يرث) ^(٣) .

٣- تقييدها لمطلقه ، كقوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨ فهذا حكم مطلق لم يقيد بموضع خاص من اليد فيحتمل قطع اليد كلها من الكتف ، ويحتمل قطع جزء منها ، فجاءت السنة فقيدت هذا الإطلاق وبينت أن موضع القطع يكون من الرسغ ،

(١) رواد مسلم في الحج باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر ركباً ٤٩/٩ رقم ٣١٢٤ عن جابر رضي الله عنه .

(٢) رواد البخاري في فرض الخمس باب فرض الخمس ٢٢٧/٦ رقم ٣٠٩٤ ، ومسلم في الجهاد باب حكم الفبيء ٢٩٥/١٢ رقم ٤٥٥٢ .

(٣) رواد الترمذي في الفرائض باب ما جاء في إبطال ميراث القاتل ٤٢٥/٣ رقم ٢١٠٩ عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث لا يصح لا يعرف إلا من هذا الوجه ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ١٤٩/٤ رقم ٤٣١٢ .

فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قطع يد سارق من مفصل الكف^(١).

٤- توضيحها لمبهمه ومشكله ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُبْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢ فإنها لما نزلت شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : [أينما لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس هو كما تظنون ، إنما هو كما قال لقمان لابنه : ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ١٣] ^(٢) ، فوضح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المراد بالظلم في آية الأنعام هو الشرك وليس أي ظلم آخر ومثل هذا قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس: ٢٦ ، حيث فسر النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم (الحسنى) بالجنة و (الزيادة) بالنظر إلى وجه الله الكريم^(٣).

(١) رواد البيهقي في كتاب السرقة باب السارق يسرق أولاً فتقطع يده اليمنى من مفصل الكف ثم يحسم بالنار ٢٧١/٨ عن رجاء بن حيوة مرسلًا وعن عبد الله بن عمرو متصلًا ، والحديث بمجموعهما حسن لغیره ، دار الفكر - بيروت .

(٢) رواد البخاري في الإيمان باب ظلم دون ظلم ١٠٩/١ رقم ٣٢ ، ومسلم في الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ٣٢٣/١ رقم ٣٢٣ .

(٣) رواد مسلم في الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة رحم سبحانه وتعالى ١٩/٢ رقم ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، وابن جرير في جامع البيان ١٠٥/١١ .

المبحث الثالث : (وضع قواعد وشروط لقبولها)

اصطلح المحدثون على قواعد وشروط معينة لقبول السنة المطهرة لا يوجد مثلها في أي علم من العلوم ، ولا عند أي أمة من الأمم ، وقد ألهم الله تعالى العلماء وضع هذه الشروط والقواعد استنباطاً لها من عموميات الشريعة وذلك تحقيقاً لما وعد به سبحانه من حفظ كتابه العزيز ، ومن تمام حفظه عند العلماء حفظ السنة المطهرة لأنها المبينة له والشارحة له ، وبدونها لا يعرف الجمل ولا المطلق ، ولا العام ولا المشكل في القرآن كما سبق توضيحه ، بل إن وعد الله تعالى بحفظ الذكر يشملها لأنها من الذكر كما قال ابن حزم رحمه الله ^(١) ، ولقد سبق المسلمون الأمم الأخرى إلى بيان هذه الشروط فمهما فتشت وبحث في كتبهم فلن تجد شيئاً مثلها أو قريباً منها ، وهذا مما يدل على حقيقة هذه الخاصية وأهميتها وانفراد السنة بها ، وهذه الشروط التي اتفق العلماء عليها في قبول أي حديث هي :

أولاً : اتصال السند : ويقصد به أن كل واحد من رواة الحديث قد سمع من شيخه وشيخه سمع من شيخه وهكذا من أول السند إلى منتهاه بحيث يقول كل واحد منهم : سمعت أو حدثني أو أخبرني فلان ، أو يقول : قال فلان أو عن فلان أو أن فلاناً قال كذا بشرط أن لا يكون مدلساً في صورة العنونة هذه ويمكن لقائه بشيخه على ما هو رأي الجمهور وإن لم يثبت أنه اجتمع به ، وذهب الإمام

(١) الإحكام في أصول الأحكام ١/١٣٥ .

البخاري وعلي بن عبد الله المدني (ت ٢٣٤هـ) إلى أنه لا يحكم له بالاتصال إلا إذا ثبت أن الراوي لقي شيخه وسمع منه مباشرة ولو مرة في الدهر^(١)، والصواب رأي الجمهور، وقد شنع الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) على المخالفين لرأي الجمهور وبين أنه رأي مّطرح وقول مخترع مستحدث غير مسبوق صاحبه إليه ولا مساعد له من أهل العلم عليه ، وعقد في مقدمة كتابه باباً في صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن للرد عليهم^(٢) .

ثانياً : عدالة الرواة :

والعدالة عند العلماء : ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة ، والمراد بالتقوى :

اجتناب الأعمال السيئة من شرك ، أو فسق ، أو بدعة^(٣) ، والمراد بالمروءة : آداب نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، ويرجع في معرفتها إلى العرف وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والبلدان^(٤) .

(١) غير الحديث لابن الصلاح ص ٥٦ ، تدريب الراوي ٢١٤/١ - ٢١٨ .

(٢) مقدمة صحيح مسلم للإمام مسلم ٨٧/١ - ١٠٠ بشرح النووي ، تحقيق خليل مأمون شيخا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٩٦ م .

(٣) نزهة النظر ص ١٨ .

(٤) انظر : المصباح المنير للفيومي ٥٦٩/٢ مادة (مرأ) ، المكتبة العلمية - بيروت ، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي ٢٧٠/١ ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية - ط الثانية ١٩٦٨ م .

وإذا فالمراد بخوارم المروءة هي فعل كل ما يعيب الشخص فى دينه وخلقه شرعاً أو طبعاً ويمثل له بعض العلماء بالمهن التى تعارفت عليها بعض المجتمعات أنها حقيرة وكالأكل فى الطريق ، والبول فى الشوارع ، والتعري أمام الخلق ، ومصاحبة أراذل القوم ، والإفراط فى المزاح ، والإصرار على الصغائر ، وتطفيف حبة ، وسرقة لقمة ، ومصافحة أجنبية ونحو ذلك ^(١) ، والعدل هو : المسلم البالغ العاقل السالم من أسباب الفسق وخوارم المروءة ^(٢) ، ويكون الشخص فاسقاً بارتكابه للمعصية الكبيرة وإصراره على الصغيرة ^(٣) .

ولا بد أن يكون كل راو متصفاً بصفة العدالة على ما ذكر فى تعريف العدل ومتى ما انحرم شرط من شروطها الخمسة لم تقبل روايته ثم ليست البدعة على إطلاقها مما يخرج الراوى عن مسمى العدل فهناك رواة وصموا بها وهم مخرج لهم فى الصحيحين ، وإنما الذى يخرجهم عن كونه عدلاً هي البدعة المكفرة بلا خلاف ، والبدعة التى فى مرتبة الكبيرة على الراجح عندي ولم يتب منها ^(٤) .

ثالثاً : ضبط الرواة :

والمقصود به أن يكون كل راوٍ من رواته قد اتصف بكونه حافظاً لما يرويه إن حدث من حفظه ، غير مغفل ، قد جمع ما حفظه فى صدره بحيث يتمكن من

(١) انظر : المختصر الوجيز فى علوم الحديث لمحمد عجاج الخطيب ص ٩٠ .

(٢) علوم الحديث ص ٩٤ .

(٣) فتح المغيب للسخاوى ١/ ٢٧٠ .

(٤) انظر : نزهة النظر ص ٥٣-٥٣ ، وقواعد التحديث للقاسمى ص ١٩٤ .

استحضاره متى شاء مع علمه بما يحيل المعاني إن روى بالمعنى ، وإن حدث من كتابه فيصونه لديه منذ سمع فيه وصححه إلى أن يؤدي منه بحيث لا يدخله تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص^(١) .

والضبط : منه تام ومنه قاصر ، ومن تم ضبطه فحديثه صحيح ، ومن قصر عنه فحديثه حسن .

رابعاً : عدم الشذوذ في الإسناد أو في المتن :

والمراد به أن لا يخالف الراوي المقبول من هو أولى منه^(٢) ، وهذا هو المعتمد في تعريف الشاذ ، وعرفه الإمام الشافعي : [بأنه ما رواه الثقة مخالفاً فيه الناس]^(٣) ، وأبعد أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) في تعريفه فقال : [بأنه الحديث الذي يتفرد به ثقة من الثقات وليس للحديث أصل متابع^(٤)] والسبب في إبعاده أن تفرد الثقة لا يعتبر شذوذاً على الصواب لأنه توجد أحاديث أفراد كثيرة خرجها أصحاب الصحيح وليس لها متابعات مثل حديث

(١) انظر : فتح المغيث ٢٦٨/١ ، والمختصر الوجيز في علوم الحديث ص ٩٠ ، وضوابط الجرح والتعديل للدكتور عبد العزيز محمد العبد اللطيف ص ١٣ ، ط الأول ١٤١٢ هـ .

(٢) نزهة النظر ص ٢٩ .

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١١٩ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - ط الثانية ١٩٧٧ م .

(٤) المصدر السابق .

الأعمال بالنيات ^(١) ، وحديث النهي عن بيع الولاء والهبة ^(٢) ، وحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر ^(٣) وغيرها .

والفرق بين التعريف المعتمد للشاذ وتعريف الإمام الشافعي أن الأول يدخل فيه الثقة والصدوق بخلاف تعريف الشافعي فإنه يخرج الصدوق منه .

خامساً : عدم وجود علة في الإسناد أو في المتن :

والعلة عند العلماء سبب خفي غامض يقدر في صحة الحديث ، وقال ابن الصلاح : الحديث المعلل هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدر في صحته مع أن ظاهره السلامة منها ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات ، والجامع شروط الصحة من حيث الظاهر قال : [ثم قد تقع العلة في إسناد الحديث وهو الأكثر ، وقد تقع في متنه ، ثم ما يقع في الإسناد قد يقدر في صحة الإسناد والمتن جميعاً كما في التعليل بالإرسال والوقف ، وقد يقدر في صحة الإسناد خاصة من غير قدح في صحة المتن] ثم مثل ابن الصلاح لما وقعت العلة في إسناده من غير قدح في المتن بإبدال ثقة مكان ثقة كمن أبدل عبد الله ابن دينار (ت ١٢٧هـ) بعمر بن دينار (ت ١٢٦هـ) وكلاهما ثقة ، ومثل للعلة القادحة في المتن

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ٣/١ رقم ١ .

(٢) رواه مسلم في كتاب العتق باب النهي عن بيع الولاء وهبته ٣٨٧/١٠ رقم ٣٧٦٧ .

(٣) رواه البخاري في جزاء الصيد باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام ٧٠/٤ رقم ١٨٤٦ عن أنس بن مالك

رضي الله عنه .

بحديث نفي قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الذي رواه مسلم^(١) ، وختم كلامه عن العلة بقوله : [اعلم أنه قد يطلق اسم العلة على غير ما ذكرناه من باقي الأسباب القادحة في الحديث المخرجة له من حال الصحة إلى حال الضعف المانعة من العمل به على ما هو مقتضى لفظ العلة في الأصل ولذلك نجد في كتب علل الحديث الكثير من الجرح بالكذب ، والغفلة وسوء الحفظ ، ونحو ذلك من أنواع الجرح^(٢) .

المبحث الرابع : (تسمية السنة بالحكمة)

فسر كثير من الأئمة الحكمة التي وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم بالسنة كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٩ ، وقوله : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١ ، وقوله : ﴿ وَادْكُرُوا بِعَمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٣١ ، وقوله : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ آل عمران: ١٦٤ ، وقوله :

(١) رواه مسلم في الصلاة باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ٣٣١/٤ رقم ٨٨٨ عن أنس رضي الله عنه .

(٢) انظر : علوم الحديث ص ٨١-٨٤ .

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ النساء: ١١٣ .

ومن هؤلاء الأئمة الذين فسروا الحكمة بالسنة : الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت ما بعد ١١٣هـ) ، ومقاتل بن حيان البلخي (ت ١٤٩هـ) ، ويحيى بن أبي كثير اليمامي (ت ١٣٢هـ) ، والإمام الشافعي محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) ، وغيرهم ^(١) .

قال الشافعي : سمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول : [الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(٢) .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ آل عمران: ١٦٤ : [الحكمة السنة قال : ففعل ذلك بهم فبعث فيهم رسولا منهم يعرفون اسمه ونسبه يخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم] ^(٣) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٩٠ ، ومفتاح اللجنة في الاحتجاج بالسنة ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٦ .

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١/ ٣٣٥ ، دار الفكر - ط الأولى ١٩٨٣ م .

المبحث الخامس : (كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من المشتغل بهما).

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الأذكار وأحب الأعمال إلى الله تعالى ، ويكفي في بيان فضل هذا الذكر أن من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً^(١) ، وأهل الحديث كما قال السيد صديق حسن القنوجي (ت ١٣٠٧ هـ) لهم نسبة خاصة ومعروفة مخصوصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يشاركون فيها أحد من العالمين فضلاً عن الناس أجمعين لأنهم الذين لا تزال تجري ذكر صفاته العليا وأحواله الكريمة وشمائله الشريفة على لسانهم ، ولم يبرح تمثال جماله الكريم وخیال وجهه الوسيم ونور حديثه المستبين يتردد في حلق وسط جناهم ، فعلاقة باطنهم بباطنه العلي متصلة ونسبة ظاهرهم بظاهره النقي مسلسلة ، فهم أهل المواليده حقاً عدلاً وصدقاً ، فأكرم بهم من كرام يشاهدون عظمة المسمى حين يذكر الاسم ويصلون عليه في كل لحظة ولحظة بأحسن الحد والرسم ، ويروى عن بعض الصلحاء أنه قال : [أشد البواعث وأقوى الدواعي لي على تحصيل علم الحديث لفظ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(٢).

(١) رواه مسلم في الصلاة باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد ٣٤٨/٤ رقم ٩١١ .

(٢) الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ٣٧ ، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٨٥ م .

وأهل الحديث أكثر الناس صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لكثرة قراءتهم لأحاديثه عليه الصلاة والسلام فكلما ذكر اسمه في الحديث صلوا عليه واستحقوا بذلك أن يصلي الله عليهم وأن يكونوا أولى الناس به عليه الصلاة والسلام يوم القيامة كما جاء في الحديث : (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة)^(١) .

وقال محمد ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) عقب تخريجه هذا الحديث في صحيحه : [في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في القيامة يكون أصحاب الحديث إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه صلى الله عليه وسلم منهم]^(٢) .

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين الكوفي (ت ٢١٩هـ) : [هذه منقبة شريفة تختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكرأ]^(٣) .

وقال أبو القاسم بن عساكر (ت ٥٧١هـ) : [لِيَهْنَ أَهْلُ الْحَدِيثِ كَثْرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْبَشَرَى ، فَقَدْ أَتَمَّ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَهُ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ الْكُبْرَى ، فَإِنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِنَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرَبُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَسِيلَةَ يَوْمِ

(١) رواد الترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٣٥٤/٢ رقم

٤٨٤ ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن حبان ١٣٣/٢ رقم ٩٠٨ .

(٢) ١٣٣/٢ .

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ٥٩ رقم ٥٩ .

القيامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم يخلدون ذكره في طروسهم ، ويجددون الصلاة والتسليم عليه في معظم الأوقات في مجالس مذاكرتهم ودروسهم فهم إن شاء الله تعالى الفرقة الناجية^(١).

المبحث السادس : (دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لمن يتعلم السنة بالنضارة) .

والمقصود بالنضارة : هي الحُسْن في الوجه والبهجة والبهاء^(٢) ، وقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ت ٣٢هـ) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (نَضَّرَ الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع فرب مبلغ أوعى من سامع)^(٣).

وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه (ت ٤٥ أو ٤٨ هـ) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (نَضَّرَ الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه)^(٤).

(١) الحطة في ذكر الصحاح الستة ص ٤١ .

(٢) المصباح المنير ٦١٠/٢ مادة (نضّر) .

(٣) رواه الترمذي في العلم باب ما جاء في الخث على تبليغ السماع ٣٣/٥ ، ٣٤ رقم ٢٦٥٦ ، ٢٦٥٧ —

٢٦٥٨ ، وقال حديث حسن صحيح .

(٤) المصدر السابق ، وقال حديث حسن .

وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة عند جمع من العلماء منهم الحافظ أبو عبد الله ابن منده (ت ٣٩٥هـ) ، والحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ^(١) والشيخ محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٢٣هـ) ^(٢) وغيرهم.

قال الكتاني : [وذكر ابن منده محمد بن إسحاق الاصبهاني (ت ٣٩٥هـ) في تذكرته أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرون صحابياً ثم سرد أسماءهم نقله ابن حجر في أماليه المخرجه على مختصر ابن الحاجب عثمان بن عمر الكردي (ت ٦٤٦هـ) الأصلي ، وفي شرح المواهب اللدنية قال الحافظ : إنه مشهور وعده بعضهم من المتواتر لأنه ورد عن أربعة وعشرين صحابياً وسردهم وفي شرح التقريب للسيوطي أنه وارد عن نحو ثلاثين منهم] ^(٣) .

ومعنى الحديث كما قال أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ) : [الدعاء له بالنضارة ، وهي النعمة والبهجة ، ويقال : نضره الله بالتخفيف والتثقيل ، وأجودهما التخفيف ، وقيل ليس هذا من حسن الوجه ، إنما معناه حسن الجاه والقدر في الخلق] ^(٤) .

(١) انظر : قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ص ٢٨ رقم ٢ ، تحقيق خليل محي الدين الميس - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٩٨٥ م .

(٢) انظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٢٤ رقم ٣ ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٠ م .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٤) انظر : شرح السنة للبغوي ٢٣٦/١ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٩٧١ م .

قلت : وفي الحديث دلالة على فضل حفظ السنة واستظهارها والاشتغال بها واستنباط معانيها وفقهها ونشرها وتبليغها ، والإشارة إلى تكرار الحديث للحفظ والمحافظة على لفظ الحديث في الرواية لقوله : (فبلغه كما سمع) ، وأن لا يعتمد إلى اختصاره أو روايته بالمعنى دون حاجة إلى ذلك ، وفيه فضل التفقه ، وأن من الرواة من يفتح له في فهم الحديث واستخراج أسرار وفقهه ، ومنهم من ينغلق عليه فهمه فلا يصل إلى شيء من معانيه البتة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

الخاتمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأصلي وأسلم على خير خلق الله وأفضل رسله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فقد تحدث هذا البحث عن خصائص السنة المطهرة التي شاركت فيها القرآن والتي انفردت بها عنه وعن سائر العلوم وبين الباحث فيه في الخصائص المشتركة كون السنة وحياً أوحاه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم في الجملة لدخولها في عموم قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤ ، وذكر فيه أدلة أخرى من السنة تدل على ذلك أيضاً ، وبين فيه كذلك أن السنة تسمى بالكتاب كما يسمى به القرآن وأنها منقولة إلى الأمة بالإسناد المتصل ، وأنها وإن وجد بعض الأسانيد غير المتصلة فلا ينفي وجود هذا الاتصال الذي نقل بالتواتر في مجموعه ، وبين أيضاً وجوب العمل بالسنة وأنه لا فرق بينها وبين القرآن في ذلك ، وأن منكرها جملة كافر زنديق بإجماع العلماء ، وأنها محفوظة في الجملة ، وأن من يتهاون بها فهو على خطر عظيم قد تناله بعض العقوبات في الدنيا قبل الآخرة .

ثم تطرق الباحث بعد ذلك إلى الخصائص التي انفردت بها السنة من التشريع الذي لا يوجد في القرآن ، ومن البيان للقرآن الكريم ، ومن وضع شروط لقبولها وليس لأمة من الأمم مثلها أو ما يقاربها ، ومن تسميتها بالحكمة ، وكون من يشتغل بها أكثر الناس صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن النبي صلى الله

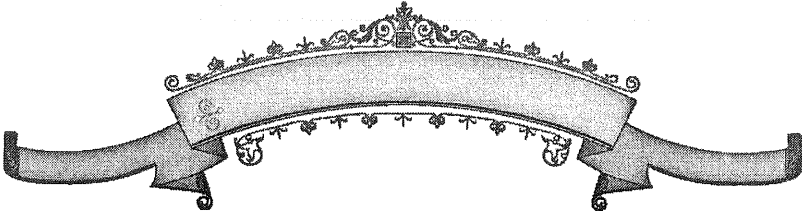
عليه وسلم قد دعا له بالنضارة ، ودعاؤه عليه الصلاة والسلام مستجاب لمن
تحققت فيه شروطه ، والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم - تحقيق محمد أحمد عبد العزيز - مطبعة الامتياز - القاهرة - ط الأولى ١٩٧٨ م .
٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني - دار المعرفة - بيروت .
٤. أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم الظاهري - تحقيق سيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٩٢ م .
٥. تاريخ بغداد - للخطيب البغدادي - المكتبة السلفية - المدينة المنورة .
٦. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - ط الثانية ١٩٧٩ م .
٧. تذكرة الحفاظ للذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٨. تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - دار المعرفة - بيروت - ط الأولى ١٩٩٤ م .
٩. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة والموضوعة لابن عراق الكفائي - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٧٩ م .
١٠. جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - مطبعة الملاح ١٩٦٩ م .
١١. جامع البيان عن تأويل القرآن - للطبري - دار الفكر ١٩٨٨ م .
١٢. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر - مراجعة عبد الرحمن حسن محمود - دار الكتب الحديثة - القاهرة .
١٣. الجامع لأبي عيسى الترمذي - تحقيق أحمد شاكر - المكتبة الإسلامية .
١٤. الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي - دار الكتاب العربي - القاهرة - ط الثالثة ١٩٦٧ م .
١٥. الحطة في ذكر الصحاح الستة للفتوح - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٨٥ م .
١٦. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي - دار الفكر - ط الأولى ١٩٨٣ م .
١٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي - تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٨٥ م .
١٨. الرسالة للإمام الشافعي - تحقيق أحمد شاكر - ط الأولى - البابي الحلبي - مصر .

١٩. السلسلة الصالحة للألباني - مكتبة المعارف - الرياض - ط الرابعة ١٩٨٨ م.
٢٠. السنة لابن أبي عاصم تخريج الألباني - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٩٨٠ م.
٢١. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي - بيروت - ط الثالثة ١٩٨٢ م.
٢٢. السنن الكبرى للبيهقي - دار الفكر - بيروت .
٢٣. السنن لابن ماجه - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر .
٢٤. السنن لأبي داود السجستاني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر .
٢٥. السنن للدارمي - حديث أكاديمي - باكستان ١٩٨٤ م.
٢٦. سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن هشام - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر .
٢٧. شرح السنة للبخاري - تحقيق شعيب الأرناؤط - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٩٧١ م.
٢٨. شرح مسلم للنووي - تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٩٦ م.
٢٩. شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي - عناية أشرف خلف - دار البصرة - الإسكندرية . ٢٠٠٤ م.
٣٠. صحيح الجامع الصغير للألباني - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٩٨٢ م.
٣١. الصحيح للإمام البخاري بشرحه فتح الباري - ترفيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط الثانية ١٩٨٧ م.
٣٢. الصحيح للإمام مسلم بشرح النووي - تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٩٦ م.
٣٣. ضوابط الجرح والتعديل للدكتور عبد العزيز محمد العبد اللطيف - ط الأولى ١٤١٢ هـ .
٣٤. علوم الحديث لابن الصلاح - تحقيق د/ نور الدين عتر - المكتبة العلمية - بيروت ١٩٨١ م.
٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - ترفيم محمد فؤاد عبد الباقي - دار الريان للتراث - القاهرة - ط الثانية ١٩٨٧ م.
٣٦. فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني - عناية يوسف الغوش - دار المؤيد - الرياض - ط الأولى ١٩٩٥ م.
٣٧. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي - تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - المكتبة السلفية - ط الثانية ١٩٦٨ م.
٣٨. كطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للسيوطي - تحقيق خليل محي الدين الميس - المكتب الإسلامي - ط الأولى ١٩٨٥ م.

٣٩. قواعد التحديث للقاسمي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٧٩ م .
٤٠. الكفاية في علم الرواية - للخطيب البغدادي - المكتبة العلمية .
٤١. مجمع الزوائد ومنيع الفوائد للهيتمي - دار الكتاب العربي - بيروت - ط الثالثة ١٩٨٢ م .
٤٢. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي - تحقيق د/محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - ط الأولى ١٩٧١ هـ .
٤٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - لابن عطية - تحقيق عبد العال السيد إبراهيم - ط الأولى - قطر ١٩٩١ م .
٤٤. المحلى لابن حزم - تحقيق أحمد محمد شاكر - مكتبة دار التراث - القاهرة ١٩٩١ م .
٤٥. المختصر الوجيز في علوم الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب - مؤسسة الرسالة - ط الخامسة .
٤٦. المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي - تحقيق د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .
٤٧. المسند للإمام أحمد - دار الفكر - ط الثانية ١٩٧٨ م .
٤٨. مشكاة المصابيح للتبريزي - تحقيق الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط الثانية ١٩٧٩ م .
٤٩. المصباح المنير للفيومي - المكتبة العلمية - بيروت .
٥٠. المعجم الصغير للطبراني - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ م .
٥١. المعجم الكبير للطبراني - تحقيق حمدي السلفي - ط الثانية ١٩٨٥ م .
٥٢. معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري - المكتبة العلمية - المدينة المنورة - ط الثانية ١٩٧٧ م .
٥٣. مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة للسيوطي - مكتبة الدار بالمدينة المنورة ١٤٠٢ هـ .
٥٤. مقدمة صحيح مسلم للإمام مسلم مع شرح النووي - تحقيق خليل مأمون شبيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٩٦ م .
٥٥. الموطأ للإمام مالك - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١ م .
٥٦. نزهة النظر بشرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني - تعليق محمد كمال الدين الأدهمي - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة .
٥٧. نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٠ م .
٥٨. النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير - نشر أصحاب السنة المحمدية - باكستان .



**عز الدين بن الوزير
اجتهاده وجهوده الحديثة
في ميزان أهل السنة**

د. / علي حسن مثنى هادي

رئيس قسم علوم القرآن

كلية التربية

جامعة أرحب

المقدمة :

الحمد لله القائل في محكم التنزيل ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١ والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله. القائل: (العلماء ورثة الأنبياء)^(١) والقائل: (الإيمان يمان والحكمة يمانية)^(٢).

وبعد:

لقد حاز اليمن شرف السبق بشهادة الإيمان والحكمة ورقة الأفئدة^(٣)، فحري بأمة وصفت بهذا الوصف أن تنجب أعلاماً أفذاذاً يملأ علمائها طباق الأرض علماً ويكونون شامة الزمان ببركة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ودفاعهم عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم. ومقارعتهم للبدعة وأهلها. وإن كلفهم ذلك فراق أهلهم وأمواهم وأوطانهم فلا يذوق حلاوة الإيمان وبرد العيش إلا من ذاق مر الحياة وشظف العيش

(١) فتح الباري (١/١٩٤) باب العلم قبل القول والعمل تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز - دار التقوى .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/٣١) باب تفاضل أهل الإيمان الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ - ١٩٧٢م دار الفكر بيروت.

(٣) إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الإيمان يمان والفقہ يمان والحكمة يمانية " رواه البخاري في المناقب، باب قول الله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى "، فتح الباري (٦/٥٨٩) ح ٣٤٩٩، تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز - دار التقوى .

وبما أن عز الدين^(١) بن الوزير قد نال شرف تحمل العلم وتعليمه والذود عن سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم فإن هذا البحث المتعلق بحياته العلمية ومواقفه الصادقة الصارمة التي تنبئ عن سعة اطلاعه وطول باعه في جميع العلوم الشرعية والفلسفية والتي سوف يتناول الباحث جانبين اثنين مما قام به وقدمه لهذه الأمة وهو اجتهاده وجهوده الحديثة في ميزان أهل السنة، فقد تتبعت ما قام به فبهر خاطري - مع قلة علمي - وشدت إليه علماء مجتهدين لم يتمالكوا أن سطوروا بأقلام يراعهم ما قدمه هذا العلم من علم في مجال الدفاع عن السنة وأصحابها ولم تزل نواطف أقلامهم تسطر المزيد عما قصر فيه الأوائل لبعدهم عن الديار اليمنية ولعدم تمكنهم من معرفة ما في صحائف هذا الإمام من جواهر مكنونة محبوسة في غرف مغلقة منتظرة الخطاب لها من ذوي الكفاءات العالية

حيث الشروط لازمة للكفاءة فلربما وقعت هذه الجواهر على يد عابث افقدها قيمتها فصارت بعد ذلك غير مرغوبة لمخاطب.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

(١) طبقات الزيدية الكبرى القسم الثالث (٩٠٣/٢) تأليف السيد العلامة إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد - ١١٥٢هـ ، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه ، الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، مؤسسة الإمام زيد بن علي .

أولا المقدمة:

ذكرت فيها أهمية هذا البحث بما يمثله من جدة لم يسبق إلى مثله في هذا المجال في حد علمي، وبينت فيه حياة ابن الوزير العلمية ومواقفه الشجاعة والصارمة والصادقة أمام من خالف الكتاب والسنة النبوية ووقف ضد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثانيا المباحث:

المبحث الأول: التعريف بابن الوزير - اسمه ومولده ودراسته وشيوخه.

المبحث الثاني: تحوله إلى علم الكتاب والسنة ورحلاته العلمية.

المبحث الثالث: تأثير ابن الوزير وتأثيره.

المبحث الرابع: اجتهاد ابن الوزير ومؤلفاته.

المبحث الخامس: موقف علماء الزيدية منه .

المبحث السادس: دفاع ابن الوزير عن كتب السنة.

المبحث السابع: دفاعه عن المحدثين من أهل السنة.

الخاتمة: وفيها خلاصة ما توصل إليه الباحث .

التوصيات : حيث ركز الباحث على ما ينبغي للباحثين أن يقدموه لإخراج

التراث المحبوس في أقفاصه اليمينية .

المراجع:

المبحث الأول

التعريف بابن الوزير

اسمه :

هو السيد محمد بن إبراهيم بن علي المرتضى بن المفضل بن المنصور، يصل نسبه إلى الحسن ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه.

مولده:

ولد على القول الصحيح^(١) في شهر رجب سنة ٧٧٦هـ بمجر الظهراوين من شطب^(٢)

(١) ذكر الإمام الشوكاني أن الإمام السخاوي ترجمه فغلط في نسبه وقال : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الهادي بن يحيى بن الحسين بن القاسم وذكر النسب إلى علي رضي الله عنه فجعل المرتضى ابن الهادي وجعل الهادي بن يحيى بن الحسين وهذا غلط بين ثم ذكر أن السخاوي ارجح لولادته ٧٦٥ خمس وستون وسبعمئة تقريباً وقال وهذا التقريب بعيد والصواب ما ذكره البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٨١/٢) الشوكاني - دار المعرفة بيروت لبنان .

(٢) وشطب. جبل من بلد بني حجاج من ناحية السود شمال غرب صنعاء على مسافة (١٠٠) كم تقديراً وقد خربت هجرة الظهراوين ولم يبق منها إلا بيتان أ.هـ، انظر أعلام اليمن المجتهدين القاضي الأكوخ ص ١٠. دار البشير عمان الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م، وانظر هجر العلم ومعاقله في اليمن (١٣٦٧/٣) القاضي إسماعيل بن علي الأكوخ - الطبعة - دار الفكر .

نبوغه ونباهته:

من خلال تتبعنا لحياته وجدنا أنه اتجه للتعليم في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم أولاً ثم اتجه لدراسة عدد من العلوم المختلفة اكتشف من خلالها ما كان يتمتع به من ذكاء فطري دل على علو همته في طلبه للعلم حيث بدأ بالمتون في جميع الفنون، فكان سريع الحفظ سريع الفهم ساعده على ذلك تحدره من أسرة عريقة النسب، ومحافظة سلالة الطيبة على التعلم والتعليم، فصار يتقلب في العلوم ويرقى فيها حتى كاد يصير وحيد عصره. كما أشار إلى ذلك الإمام الشوكاني عند عتبه على ابن حجر والسخاوي عن تقصيرهما عند ترجمتهما له فقال: "ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحر في العلوم لأطال عنان قلمه في الثناء عليه فإنه يثني على من هو دونه بمراحل ولعلها لم تبلغ أخباره إليه^(١)

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٨٣/٢).

شيوخه والفنون التي درسها

درس في اللغة العربية على أخيه الهادي بن إبراهيم الوزير^(١) ومحمد بن حمزة بن مظفر^(٢)، وفي علم الكلام على القاضي العلامة علي بن عبدالله بن أبي الخير اليميني^(٣).

وفي أصول الفقه وعلم التفسير على السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم^(٤).

(١) الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى ابن المفضل بن المنصور يصل نسبه إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً ولد يوم الجمعة السابع والعشرين من محرم سنة ٧٥٨ ثمان وخمسين وسبعائة هجرة الظهراويين من شطب، له مؤلفات تنبئ عن سعة علمه وطول باعه فهو من أكابر علماء الزيدية له نظم في غاية الحسن وبينه وبين علماء عصره مراسلات ومكاتبات مات يوم عرفه سنة ٨٢٣ اثنين وعشرين وثمان مائه بذي مار آخر تاسع عشر ذي الحجة يقول الشوكاني وأظنه تاسع ذي الحجة ، لأنه قال بعد هذا أن موت صاحب الترجمة كان مانعاً لفعل ما يعتاد في العيد فيمكن أن تكون الزيادة من الناسخ ا.هـ ، البدر الطالع (٣١٦/٢) .

(٢) محمد بن حمزة بن مظفر ، قاض ، حافظ ، من علماء الزيدية المحققين ، شارك في عدة علوم ، وصنف في أنواع العلوم ، توفي سنة ٨٣٨ هـ وأرخ زيارة وفاته سنة ٧٩٦ هـ . انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ٨٩٥ تأليف عبد السلام الوجيه ، الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، مؤسسة الإمام زيد بن علي عمان الأردن .

(٣) علي بن عبد الله بن أحمد بن أبي الخير الصائدي من أعيان علماء الزيدية في القرن الثامن الهجري ، عالم أصولي زاهد ، ورع مجاهد مشارك في حرب الباطنية وهو من شيوخ الزاهد المشهور إبراهيم الكنعني ، وشيخ العلامة محمد بن إبراهيم الوزير ، صنف في كل فن توفي سنة ٧٩٣ هـ بصنعاء وقبره بمقبرة باب اليمن ا.هـ . انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ٦٩٢ .

(٤) علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن الناصر بن الهادي يحيى بن الحسين (جمال الدين) العلامة الكبير مؤلف (تجريد الكشاف) التفسير المشهور =

وفي علم الفروع على القاضي العلامة عبد الله بن حسن الدواري^(١) وغيره من مشايخ صعدة.

وفي علم الحديث علي نفيس الدين العلوي^(٢) والعلامة محمد بن عبد الله بن ظهيرة^(٣) وقرأ على علماء آخرين.

= وروي أن له تفسيراً حافلاً في ثمانية مجلدات ومن جملة تلامذته محمد بن إبراهيم الوزير صاحب الترجمة . ا.هـ. البدر الطالع (٤٨٥/١).

(١) عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي الزيدي الملقب (الدواري) باسم احد أجداده وهو دوار بن أحمد المعروف بسلطان العلماء ولد سنة ٧١٥ خمس عشر وسبعمائة قرأ على علماء عصره وتبحر في غالب العلوم وصنف التصانيف الحافلة منها في الأصول (شرح جوهرة الأصول) للرصاص وله في الفروع (الديباج النصير) كتاب حافل ممتع وله مصنفات أخرى فكان ناشراً للعلوم مكباً على التصنيف حتى توفاه الله في صبح يوم الأحد سادس شهر صفر سنة ٨٠٠ ثمان مائه . ا.هـ. البدر الطالع (٣٨١/١-٣٨٢).

(٢) هو سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي بن عمر بن نفيس الدين العكي العدناني الزبيدي التعزي الحنفي ويعرف بنفيس الدين العلوي ولد في ظهر يوم الثلاثاء سادس عشر رجب سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة وأخذ عن والده والشماسي وعلى بن راشد والمجد صاحب القاموس وغيرهم وأجاز له البلقيني وابن الملحق والعراقي والهيتمي والمناوي وبرع في الحديث وصار شيخ المحدثين ببلاد اليمن وحافظهم واخذ عنه الناس طبقه بعد طبقه وارتحلوا إليه من الأفاف ووصفه شيخه صاحب القاموس فقال : إمام السنة ، مات في سابع عشر جمادى الأولى سنة ٨٢٥ خمس وعشرين وثمان مائه ، ا.هـ. البدر الطالع (٢٦٥/١) .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن سليمان الجمال أبو حامد القرشي المخزومي المكي الشافعي ولد ليلة عيد الفطر سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة بمكة ونشأ بها ، طوف كثيراً من البلدان لطلب العلم وبرع في الفنون وانتهت إليه رئاسة الشافعية ببلده ولقب بعالم الحجاز ومن جملة من أخذ عنه العلامة محمد بن إبراهيم الوزير مات في ليلة الجمعة سادس عشر من رمضان سنة ٨١٧ سبع عشرة وثمان مائه . ا.هـ. ، البدر الطالع . بحاسن من بعد القرن السابع (١٩٦/٢).

والحاصل أنه قرأ على أكابر مشايخ صنعاء وصعدة وتعز وسائر المدائن اليمنية التي وجد فيها علماء مبرزين وختم ذلك بمكة المكرمة كما سيأتي بيانه.

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من المحرم سنة (٨٤٠ هـ) أربعين وثمانمائة وقد بلغ من العمر أربعاً وستين سنة ونصف السنة، توفي بمرض الطاعون الذي انتشر في اليمن في سنة ٨٣٩ هـ - ٨٤٠ هـ وقد دفن في الرويات بمسجد الروية، المعروف اليوم بمسجد فروة بن مسيك^(١) رضي الله عنه، قبلي مصلى العيد بجوار المسجد.

ولشمس الحور بنت أخيه الهادي بن إبراهيم الوزير فيه أبياتا فيها:

رحم الله أعظما دفنوها بالرويات عن يمين المصلى.

وقال يحيى بن الحسين^(٢) في طبقاته، وروي أن الوزير حسن باشا الوالي العثماني في اليمن من غرة ذي الحجة سنة ٩٨٨ - ١٠١٣ م لما عمر المسجد الذي

(١) فروة بن مسيك بن الحارث بن سلمه بن الحارث بن دويد بن مالك بن منبه بن غطفان المرادي الغطفاني قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر فاسلم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فارق ملوك كنده مباعداً لهم، وكنيته أبو سيره، ١ هـ أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٥٧/٣) تأليف علي بن محمد بن الأثير، دار إحياء التراث العربي بيروت توزيع دار الباز.

(٢) يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد أحد علماء آل الإمام القاسم كان إماماً محققاً له تصانيف جليلة وصلت إلى أربعين مؤلفاً تدل على تمكنه وإطلاعه في جميع العلوم ولد تقريباً كما يقول الشوكاني سنة ١٠٣٥ =

بفروة وجدده، وعمر قبة أكيدة البناء الباقية إلى الآن وجد قبر السيد جنب الموائر^(١) على حاله فأبقاه مكانه^(٢).

= خمس وثلاثين وألف وأرخ موته بعض المتأخرين في سنة نيف وثمانين وألف ، ا.هـ البد الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٣٢٨/٢) .

(١) والمراد بالموائر هو اساس البناء

(٢) المصدر السابق. وانظر كتاب (الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم للقاضي إسماعيل الأكوخ ص ٧٨. دار البشير عمان الطبعة الأولى ٢٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

المبحث الثاني

تحوله إلى علم الكتاب والسنة

رحل ابن الوزير في طلب العلم إلى أماكن مختلفة في داخل اليمن وخارجها وهذا هو دأب طالب العلم الذي يريد أن يُفيد ويستفيد، قدوته في ذلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم الذين سطوروا أنصع صفحات التاريخ الإسلامي بما بذلوه في سبيل العلم تعلماً وتعليماً، وكتب العلم شاهدة على ذلك مثل كتاب "الرحلة في طلب الحديث" للإمام الخطيب البغدادي^(١)، والذي زبر^(٢) فيه من الشواهد على الرحلة ما بجر به العقول وتقف أمامه حائرة من تلك الجهود التي لا يكاد يوجد مثلها في عصرنا الحاضر بل منعدم، فمن قرأه شهد لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بالسبق في جميع مجالات العلوم.

وابن الوزير من هذا الصنف الذي سطر برحلاته أنصع الصفحات.

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب الحافظ الكبير الإمام محدث الشام والعراق كان من الحفاظ المتقنين في علم الحديث وأسانيده وإمام أهل الصنعة، صنف قريباً من مائه مصنف منها الرحلة في طلب الحديث وتاريخ بغداد والكفاية وشرف أصحاب الحديث، توفي في ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ، ١هـ. انظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان (٩٣، ٩٢/١) تأليف أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق الدكتور حسان عباس، دار صادر بيروت، وانظر تذكرة الحفاظ (١٣٥/٣) محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي. (٢) المراد بالزبر الكتابة. انظر مختار الصحاح ص ٥٥ باب الراي مادة زبر، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

فقد رحل من صنعاء إلى تعز، ومكة المكرمة وطوف كثيراً في الأماكن اليمنية بحثاً عن العلماء للقراءة عليهم فكان يبحث عن اتصال السند الذي يوصله مباشرة برسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن رحلاته التالي:-

أولاً: تعز

رحل رحمه الله إلى الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي الحنفي للقراءة عليه في الحديث النبوي وعند رحلته بعث معه أخوه العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير رسالة منه إلى الإمام نفيس الدين يصف علم أخيه جاء فيها:
وأما محمد أخي فإنه أخذ من علم الحديث ما جذب إليه القلوب ورققها ودعاه إلى طائفة من العلماء وشوقها وهو بحمد الله ممن جود في علم الكلام وصنف وبرز فيه وشنف^(١) وجالس في نقله الأفاضل ومارس في العلم فأفحم كل مناضل - ثم سرد كلاماً فيما لا يقل عن عشرة أسطر يسطر بما الذهب لولا ضيق المقام لنقلته ولكني أحيل القارئ عليه^(٢).

وبعد ذلك ذكر النفيس العلوي ما أجاز لتلميذه محمد من الكتب التي درسها عليه بعد مدح يفوق الوصف فذكر الكتب التي درسها في الحديث ومنها سلسلة

(١) الشنف القرط الأعلى والشنف الذي يلبس في أعلى الأذن ومعناه التزيين، شنف الأذن زينها ١. هـ لسان العرب مادة شنف (٢١٥/٧) .

(٢) ابن الوزير وكتابه العواصم والقواصم للقاضي الأكوخ ص ١٤ .

منه إلى مصنفه الإمام الحميدي^(١) وبعد ذكره جميع السلسلات ذكر نفيس الدين أن بينه وبين البخاري سبعة رجال وللمجاز ثمانية رجال وقال وهذه غاية العلو^(٢).

كما أجازته أيضاً رواية صحيح مسلم ابن الحجاج وسنن أبي داود وسنن الترمذي وكتابه الشمائل، وسنن النسائي، وصحيح ابن حبان وصحيح ابن خزيمة، ومسند الإمام الشافعي، ومسند أبي حنيفة وسمع من لفظ الشيخ أيضاً الأربعين النووية في مجلس واحد وأجازته ذلك.

كما أجازته العلامة سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي الحنفي خادم السنة النبوية^(٣).

رحلته إلى مكة المكرمة:

ازداد ابن الوزير شوقاً للرحلة في طلب الحديث بعد رحلته المباركة إلى تعز وما ظفر به من علم في تلك الرحلة وما شعر فيه من لذة أخذت بتلايب قلبه وغيرت من اتجاه تفكيره، فيمم قلبه إلى أفضل بقاع الأرض على الإطلاق بإجماع الأمة

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي الأزدي الأندلسي الإمام الحافظ الثبت شيخ الحديثين مات سنة ٤٨٨ هـ - ١٠٨٨ م. انظر تذكرة الحفاظ (٤/ ١٢١٨).

(٢) ابن الوزير وكتابه العواصم والقواصم للقاضي الأكوخ ص ١٧.

(٣) نفس المصدر ص ١٧.

كي تكون فائدته ممزوجة ببركة العلم وبركة المكان وبركة الزمان في أيام الحج كما هو مدون في ترجمته.

رحل إلى مكة مرتين إحداهما سنة ٨٠٧ فأخذ فيها على قاضي القضاة محمد ابن عبد الله بن ظهيرة الشافعي^(١)، فلما رأى مكانته العلمية وجلال قدره قال ما أحسن يا مولانا أن تنتسب إلى الإمام الشافعي، فأجاب عليه: وقال سبحانه الله أيها القاضي إنه لو كان يجوز لي التقليد لم أعدل عن تقليد الإمام القاسم بن إبراهيم أو حفيده المهادي^(٢).

وأخذ في مكة عن الشيخ زين الدين محمد بن أحمد الطبري^(٣)، والشيخ علي بن مسعود بن علي بن عبد المعطي^(٤)، الأنصاري المالكي، والشيخ علي بن أحمد بن سلامة السلمي المكي الشافعي^(٥)،

(١) انظر الترجمة ص ٦.

(٢) ابن الوزير وكتابه العواصم والقواصم للقاضي الأكوخ ص ١٨.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري زين الدين أبو الخير بن زين الدين أبي الطاهر بن جمال الدين ابن الحافظ محب الدين ١٠٠هـ. انظر إنباء الغمر بأبناء العمر (٤٠١/١) ابن حجر العسقلاني .

(٤) علي بن مسعود بن علي بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي بن مكي بن طراد نور الدين أبو الحسن الأنصاري الخزرجي المكي المالكي. ولد سنة تسع وثلاثين وسبع مائة ، مات في تاسع المحرم سنة ثلاث عشرة بمكة. (الضوء اللامع (١٥٩/٣) محمد بن عبد الرحمن السخاوي .

(٥) علي بن أحمد بن محمد بن سلامة بن عطف بن يعلى النور، أبو الحسن السلمي المكي الشافعي ويعرف بابن سلامة. ولد في سابع شوال سنة ست وأربعين وسبع مائة بمكة ونشأ بها، مات في رابع عشر شوال سنة ثمان وعشرين بمكة (الضوء اللامع (٣٦/٣) .

وجار الله بن صالح الشيباني^(١)، - فهؤلاء الأربعة وعلى رأسهم ابن ظهيرة كانوا أشهر علماء مكة في ذلك الوقت، وقد أجازوا للسيد محمد كل ما يجوز لهم روايته من كتب الحديث والفقه والتفسير والسيرة واللغة العربية والمعاني والبيان والأصول الفقهية وكتب الكلام على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم، وذلك شروط الإجازات المعروفة المشهودة^(٢).

وكانت هذا الإجازات في مكة المشرفة في أيام الحج المفضلة سنة ٨٠٧ هـ.

نلاحظ من خلال أخذه أنه ورد الموارد المختلفة في تلقيه العلوم بداية من الرحلة الأولى إلى تعز والرحلتين الأولى والثانية إلى مكة المكرمة فلم يكتف بمذهب معين، بل جمع بين المذاهب الإسلامية المختلفة الحنفي والمالكي والشافعي - كما أسلفت عنه، علماً بأنه لم يذهب إلى هذه الطرق إلا بعد أن درس وأستكمل وتشبع من كتب قومه - مذهب الزيدية - فلم ينحصر مقلداً لمذهب واحد ولم ينكفى لطائفة معينة بفعل ما شاهده من مشايخه الذين تربوا وربوا على ذات الاتجاه ولكنه بعقله المستنير وفكره الثاقب استطاع أن يتخطى تلك الحواجز المانعة والفجوات

(١) جار الله بن صالح بن أبي المنصور احمد بن عبد الكريم بن أبي المعالي يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن الحسين بن محمد بن شيبه بن إياد بن عمرو بن العلاء بن مسعود جلال الدين الشيباني الطبري الأصل المكي الحنفي (الضوء اللامع (٨/٢) .

(٢) طبقات الزيدية الكبرى القسم الثالث (٩٠٣/٢)، وانظر كتاب العواصم والقواصم ص(٣٢/١)، وانظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ٨٢٥ ، عبد السلام الوجيه ، الطبعة الأولى - ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م مؤسسة الإمام زيد بن علي.

العميقة إلى بر أمان، شعر بالأمان إلى جواره والدفء في أحضانه على الرغم مما قاساه من أصحاب مذهبه - أهل وطنه - فلقد جاور الليل وحيداً والبوم أنيساً والوحشة صديقاً يأنس بالذئب والوحوش ويستمتع بأصوات العصافير في أثير الليل البارد ووهج الحر اللافت وكأن لسان حاله يقول

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيّر

بل لقد وصف حالته هذه بوصف يكون عِظَةً وعبرة لأصحاب الأقلام الشريفة والآراء السديدة والفكر المستنير فلقد رأى ما حوله من قنوم وما أمامه من هموم وما خلفه من غيوم فقرر قراراً تجاوز معه كل هذه الشرور ببركة الاحتماء بالقرآن والسنة.

يصف حالته هذه عندما كان يذهب إلى المفاز وشعاف^(١) الجبال، وبطون الأودية فيقول:

أشم منيف بالغمام مؤزر	فحيناً بطود تمطر السحب دونه
حشا قلم تمسي به الطير تصفر	وحيناً بشعب بطن وادٍ كأنه
فجيرتها للمرء أولى وأجدر	أجاور في أرجائه البوم والقطا

(١) شعاف الجبال أعلاها ومنه حديث أبي سعيد الذي رواه البخاري يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن، انظر فتح الباري (١/ ٨٢) باب من الدين الفرار من الفتن ح ١٩.

هنالك يصفو لي من العيش ورده
فإن يبست ثم المراعي وأجدبت
ولا عار أن ينجو كريم بنفسه
فقد هاجر المختار قبلي وصحبه
وإلا فورد العيش رنق مكدر
فروض العلا والعلم والدين أخضر
ولكن عاراً عجزه حين ينصر
وفر إلى أرض النجاشي جعفر^(١)

وما أرى من خلال هذه السطور إلا أن ابن الوزير قد بلغ من الإيمان ذروته، ومن اليقين دقته، وما حصل له بعد ذلك يعتبر ضريبة دأبه دأب من سبقه من العلماء المبطلين بظلم السلطان أو حسد الأقران أو متبعي الهوى والشيطان من أصحاب البدع الجسام كما حدث لأحمد بن حنبل في مسألة خلق القرآن أو ابن تيمية في سجنه بعد انتصاره على التتار.... الخ.

(١) مقدمة العواصم (٦٧/١).

المبحث الثالث

تأثير ابن الوزير وتأثيره

إذا كان الإمام الشوكاني يصف حال العلماء السابقين في مصر والشام بالجنوح إلى التقليد - مهما بلغ علمهم إلا القليل النادر - كابن تيمية وغيره فهذا يدل على أن ابن الوزير لم يكن له سابق تأثير به في عصره اللهم إلا ما كان من ابن تيمية وغيره يستشف ذلك من كتابات ابن الوزير حيث نجد أنها غير متأثرة بأحد وإن كنا نلاحظ تشابهاً في بعض المواقف كالذي حدث بين ابن تيمية والخوارج^(١) والروافض^(٢) من جهة والإمام ابن الوزير والزيدية^(٣) المتعصبة من

(١) الخوارج جمع خارج ، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق وأعلن عصيانه وألب عليه بعد أن يكون له تأويل ، وعلماء الشريعة يسمونهم (بغاة) ١. هـ الفرق بين الفرق تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٩١ ، وقال أبو الحسن الأشعري : أجمعت الخوارج على الكفار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن حكم ١. هـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ص ٨٦ ، الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، الطبعة الرابعة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٢) الروافض ومنهم السنية أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه فقال بعضهم لعلي : أنت الإله فاحرق علي قوماً منهم ونفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن وهذه ليست من فرق الإسلام لتسميتهم علياً إلهاً ، ١. هـ الفرق بين الفرق ص ٤١ ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث القاهرة .

(٣) ظهر مصطلح (الزيدية) بعد مقتل الإمام زيد رضي الله عنه وأصبحت تتبناه فرق نسبت إلى أصحابها مع تباين وجهات النظر ، ولم يكن أصحاب هذه الفرق من العلويين بل كانوا من غيرهم بينما كان الاسم العام هو (الزيدية) إلا أن الفروق كبره بين ما كان عليه الإمام زيد بن علي وبين ما كانوا هم عليه ، علماً بأن فرق الزيدية الناشئة بعد الإمام زيد هي : =

١. الجارودية وهي فرقة من الزيدية الشيعة نسبت إلى الجارود زياد بن أبي زياد وأبو الجارود هو الذي سماه الإمام الباقر سرحوباً وفسره بأنه شيطان يسكن البحر وقد زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي بن أبي طالب بالوصف دون الاسم وزعموا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي ، وقالوا أيضاً إن الحسن بن علي كان هو الإمام بعد علي ثم أخوه الحسين كان إماماً بعد الحسن .١-هـ الفرق بين الفرق ص(٥١-٥٢) .

٢. السليمانية :هؤلاء إتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي قال :إن الإمامة شورى ، وإنما تعتقد بعقد رجلين من خيار الأمة وأجاز إمامة المفضول واثبت إمامة أبي بكر وعمر ، وزعم أن الأمة تركت الأصلح في البيعة لهما ، لأن علياً كان أولى بالإمامة منهما إلا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً وكفر سليمان بن جرير (عثمان) بالأحداث التي نقمها الناقمون منه ،وأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضي الله عنه .١-هـ الفرق بين الفرق ص٥٣-٥٤ وانظر مقالات الإسلاميين ص٦٨ .

٣. البترية : هم أتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حيي والأخير كثير النواء الملقب بالابتز ، وقولهم كقول سليمان بن جرير في هذا الباب غير أنهم توقفوا في عثمان ولم يقدموا على ذمه ولا على مدحه وهؤلاء أحسن حالاً عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير ، قال عبدالقاهر البغدادي هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية يكفرون الجارودية من الزيدية لإقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر وأجمعت الفرق الثلاث على القول بأصحاب الكبراء من الأمة يكونون مخلصين في النار .١-هـ الفرق بين الفرق ص٥٤-٥٥ وانظر مقالات الإسلاميين ص٦٨-٦٩ .

٤. الحسينية : هي فرقة من الرافضة يزعمون أن أبي منصور أوصى إلى ابنه الحسين بن منصور وهو الإمام بعده، إما الحسينية المنسوبة إلى الحسين بن القاسم العياشي تـ (٤٠٤هـ) فكان في اعتقاداته إماميه اثنا عشرية يقولون إنه حي لم يموت وأنه لا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً إذ هو المهدي المنتظر في زعمهم وللحسينية اعتقادات خطيرة إذ يرون أن الحسين بن القاسم أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم .١-هـ انظر مقالات الإسلاميين ص٢٤- والحسبة عند الزيدية ص٤٧- ٤٨ تأليف الدكتور يحيى حسين النونو الطبعة الثانية ٢٠٠٤م-١٤٢٥هـ = .

٥. المطرفية : هم أصحاب مطرف بن شهاب العبادي الشهابي الذي أعلن مذهبه عام ٣٨٨هـ فهم يعتبرون أنفسهم تابعين للإمام الهادي بل يسمون أنفسهم يحيويين نسبة إلى اسم الهادي يحيى بن الحسين وقد يوافقونه في الفروع والإمامة، ولكنهم يخالفونه في أمور اعتقادية أخرى مثل حدوث العالم وأن الله فاعل مختار خلق الأصول الأربعة وهي : الماء والنار والهواء والثرى وهي التي تدير العالم وكذبوا^١هـ نظام الحسبة عند الزيدية ص٤٧ .
٦. المخترعة : جاءت المخترعة لتعارض المطرفية ، وكان على رأسها علي بن شهر ، وشهرته سلاح المناظرة مع المطرفية وقد سميت (مخترعة) لقولها باختراع الله الأعراض والأجسام ويقولون بإمامة علي بالنص الخفي وخطأ المشايخ بالتقدم عليه ومخالفة ذلك النص، والتوقف في تفسيرهم^١هـ المصدر السابق ص٤٧ .
- والزيدية أعدل الفرق وأقربها إلى مذهب أهل السنة والجماعة وهي تنسب في اليمن إلى الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي الحسيني (ت ٢٤٤) الذي وضع أصول مذهبه على مذهب زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . أما الذي استولى على اليمن وأسس فيها الدولة الزيدية فهو حفيده الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم أخرج الهادي إلى اليمن بطلب من أهله سنة ٢٨٠هـ ثم عاد إلى الحجاز لما خذله ، ثم أخو عليه في الخروج مرة أخرى وناشده مساعدته للقضاء على فتنة القرامطة ، فخرج سنة ٢٨٥هـ ويفيض الزيدية في الحديث عنه ويصفونه بالشجاع والورع وشدة البأس والقوة والعلم ويعدونه أكبر نعمه على اليمن بعد الإسلام .^١هـ انظر كتاب الشافي للإمام عبد الله بن حمزة (٣٤٢/١) الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، وكتاب الإمام الشوكاني مفسراً، الدكتور الغماري ص٤٤ ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، دار الشروق جدة ، وكتاب الزيدية نشأتها ومعتقداتها للقاضي الأكوخ ص٢٦ دار البشير عمان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، وقد حصل تطور للزيدية كفرقه في خطين متقابلين: خط عقدي وخط فقهي، تمثل الخط العقدي في مبادئ التوحيد والعدل ، والوعيد والإمامة.
- ومثل الخط الفقهي بالفقه وأصوله ، فمنهم من وافق الإمام زيد ومنهم من يخالفه ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الزيدية يعتقدون بوجوب الاجتهاد ويرجعون إلى الإمام زيد نفسه الفضل في فتح باب الاجتهاد وإنارة سبيله^١هـ ، نظام الحسبة عند الزيدية دراسة مقارنه بالمذاهب الأربعة ص٤٣، ٥٠ .
- ما ذكرته هو الزيدية المعتدلة أما الزيدية المتعصبة فهو ما ستراد في موضوع البحث موقف الزيدية منه .

جهة أخرى فنجد أن هناك تشابهاً في الأسلوب، سيف الشام مسلط على الخوارج والروافض وسيف اليمن مسلط على متعصبة الزيدية.

وذلك واضح من كتابات الإمام الشوكاني عن ابن الوزير في أغلب كتاباته عنه ومنها البدر الطالع عند استدراكه على الإمام ابن حجر والإمام السخاوي^(١) لتقصيرهما في ترجمة صاحب العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم. حيث أشار إلى ذلك بقوله "ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحر في العلوم لأطال عنان قلمه في الثناء عليه فإنه يثني على من هو دونه بمراحل ولعلها لم تبلغ أخباره إليه، وكذلك الإمام السخاوي وقف على العواصم والقواصم لرأى فيها ما تملأ عينيه وقلبه، ولطال عنان قلمه في ترجمته لكن لعله بلغه الاسم دون المسمى^(٢)

أما تأثيره - رحمه الله - فقد كان له أعظم الأثر بمن لحقه من علماء الزيدية

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين السخاوي الأصل القاهري الشافعي، ولد في ربيع الأول سنة ٨٣١ إحدى وثلاثين وثمان مائه، برع في الفنون وفاق الأقران وحفظ من الحديث ما صا ربه متفرداً عن أهل عصره له عدد من المؤلفات تنبئ عن طول باعه وسعة اطلاعه، كانت وفاته في المدينة الشريفة في عصر يوم الأحد سادس عشر شعبان سنة ٩٠٢ اثنان وتسعمائة هـ. البدر الطالع (٨٤/٢، ٨٦).

(٢) البدر الطالع (٨١/٢).

أمثال ابن الأمير^(١) والشوكاني^(٢) والجلال^(٣) والمقبلي^(٤) وغيرهم فهؤلاء الأئمة كانوا أعمدة المذهب الزيدي في اليمن على تفاوت فيما بينهم في مراتب الاجتهاد

(١) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين بن شرف الدين بن صلاح بن الحسن بن المهدي بن محمد بن إدريس بن علي بن محمد المعروف بالأمير يصل نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان إماماً كبيراً مجتهداً مطلقاً صنف التصانيف . ولد ليلة الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩ تسع وتسعين وألف بكحلان ثم انتقل مع والده إلى مدينة صنعاء سنة ١١٠٧ واخذ عن علمائها ثم رحل إلى مكة وقرأ الحديث على أكابر علمائها وعلماء المدينة وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران ونفرد برئاسة العلم في صنعاء توفي رحمه الله سنة ١١٨٢ هـ اثنتين وعشرين ومائة وألف في يوم الثلاثاء ثالث شهر شعبان رحمه الله . ١ هـ البدر الطالع (١٣٣/٢-١٣٩) .

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، كان مولده يوم الاثنين ٢٨ ذي القعدة سنة ١١٧٣ في قرية شوكان وهي من بني حبشة من قبيلة بني سحام من حولان العالية وتبعد عن صنعاء شرقاً بنحو خمسة عشر كيلومتر تقريباً ، ١ هـ هجر العلم ومعاقله في اليمن (٢٢٥١/٤) القاضي الأكو ع ، يعتبر الشوكاني من الأئمة المجتهدين الذين خلعوا ربة التقليد وأتقن مراجع الحديث رواية ودراية ألف في التفسير والحديث والفقه وسائر العلوم الإسلامية شهرته وصلت إلى جميع الأقطار جمع الله به كلمة المسلمين في اليمن ، مات رحمه الله في سنة ١٢٥٠ هـ ودفن بصنعاء . ١ هـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢١٥/٢) .

(٣) الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح بن أحمد بن الهادي الجلال يصل نسبه إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولد في شهر رجب سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف بمجرة رغافة قرية بين الحجاز وصعدة ونشأ بها ثم رحل إلى صعدة وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى شهاة وصنعاء واخذ عن أكابر علمائها وبرع في جميع العلوم العقلية والنقلية ، وصنف التصانيف الجليلة من أشهر مؤلفاته (ضوء النهار) جعله شرحاً للأزهار حرر اجتهاداته على مقتضى الدليل ولم يعأ بمن وافقه من العلماء أو خالفه وهو شرح لم تشرح الأزهار بمثله . كان موته ليلة الأحد لثمان بقين من ربيع الآخرة سنة ١٠٨٤ أربع وعشرين وألف في الجراف بصنعاء . ١ هـ البدر الطالع (١٩١/١-١٩٣) .

(٤) ترجم له شيخ الإسلام الشوكاني - رحمه الله - فقال : (صالح بن مهدي بن علي بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن أسعد بن منصور المقبلي الصنعائي ثم المكّي . ولد سنة ١٠٤٧ هـ =

ودرجات العلم إلا أنهم وبقراءتهم وتبعهم لابن الوزير قادم ذلك إلى أن يخلعوا ربة التقليد ويتجهوا نحو الاجتهاد والتجديد.

يذكر الأستاذ الدكتور العلمي: أن الإمام الشوكاني تأثر بعدد من الشخصيات اليمنية العملاقة والتي كان لها أعظم الأثر في تشكيل معارفه وسلوكه ومنهج إخلاصه، ومن هذه الشخصيات التي تأثر بها هو الإمام محمد بن إبراهيم الوزير. (ت ٨٤٠هـ)^(١).

ومما يدلنا على تأثر الشوكاني به قوله عنه (فهو إمام الناس في التبحر في جميع المعارف والوقوف على الدليل، وعدم التعويل على ما يخالفه من القال والقليل، وقد نفع الله به من جاء بعده)^(٢) ويقول الدكتور الغماري^(٣) يلاحظ أن أولئك الذين سبقوه أي الشوكاني بالدعوة إلى السنة وعقيدة السلف الصالح ورفض التقليد، كان لهم الفضل في تخليه عن المذاهب التي كانت تسيطر على مجتمعه،

= سبع وأربعين وألف في قرية المقبل من أعمال كوكبان، وأخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن ثم ارتحل إلى مكة ووقعت له امتحانات هنالك، واستقر بها حتى مات في سنة ١١٠٨هـ ثمان ومائه وألف. انظر البدر الطالع (٢٨٨/١)، الأعلام للزركلي (١٩٧/٣) خير الدين الزركلي، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٥، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

(١) الشوكاني محدثاً ص ٤٧ الدكتور/ أحمد بن محمد العلمي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤ م.

(٢) المصدر السابق ص ٤٧.

(٣) الشوكاني مفسراً ص ٣٣٨، الدكتور/ محمد بن حسن الغماري، طبعة دار الشروق جده.

كما كان لهم الفضل في اتساع مداركه واتجاهه السليم نحو التمسك بالكتاب والسنة حتى أصبح إماماً متضلعا بأنواع العلوم^(١) أ.هـ.

(١) يذكر الشوكاني استنكار ابن الوزير على العلماء المقلدين، فيقول: ((وإني لأكثر التعجب من جماعة من أكابر العلماء المتأخرين الموجودين في القرن الرابع وما بعده، كيف يقفون على تقليد عالم من العلماء ويقدمونه على كتاب الله وسنة رسوله مع كونهم قد عرفوا في علم اللسان ما يكفي في فهم الكتاب والسنة بعضه؟ فإن الرجل إذا عرف من لغة العرب ما يكون به فاهماً لما يسمعه منها صار كأحد الصحابة الذين كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم ومن صار كذلك وجب عليه التمسك بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التعويل على محض الآراء فكيف بمن وقف على دقائق اللغة وجلالها أفراداً وتركيباً وإعراباً وبناءً؟ أ.هـ... البدر الطالع (٨٤/٢).

المبحث الرابع

اجتهاد ابن الوزير ومؤلفاته :

كان ابن الوزير - رحمه الله - من أبرز علماء اليمن المجتهدين حيث كان له المحل الأعلى والقدح المعلى بلغ به مبلغ الأوائل كما وصفه به أحمد بن علي الوزير^(١) بقوله " فزاد عليهم واستدرك، واختار وصنف وألف وأفاد وجمع وقيد وبني وشيد وكان اجتهاده اجتهاداً كاملاً مطلقاً تبحر في علم الرواية والدراية ومعرفة الرجال وأحوالهم في النقد والاعتدال، والوفيات والأنساب والشيوخ، والتعمق في علم الأصوليين والعربية^(٢) .

وهذه الصفات هي أهم ما يمكن أن يتمكن بها العالم من وصول رتبة الاجتهاد سيما أن بناء الاجتهاد لا يكون إلا بعد فهم القرآن، وصحيح السنة، كي يتم في ضوء ذلك الجمع والتقريب والتصويب والتضعيف، وبغير معرفة هذين المصدرين وغيرهما من الفنون الأخرى يصعب أن تصف أي عالم بالاجتهاد.

(١) أحمد بن علي بن المرتضى بن الفضل، الوزير، عالم، أصولي، شاعر، بليغ، اشتهر بفضلته، وجوده، وطهارته، وولع بطلب العلم، له عدد من المؤلفات منها منظومة الأدلة في معرفة الله، درر أصداف القلوب في معرفة علام الغيوب ١هـ، انظر إعلام المؤلفين الزيدية ص ٨١٤ عبد السلام الوجيه ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مؤسسة الإمام زيد بن علي

(٢) مقدمة العواصم والقواصم (١/١٧).

وهو ما أشار إليه الإمام الشوكاني بقوله "وهو- أي ابن الوزير- من سبر الاجتهاد وكان على ذروته والذي يغلب على الظن أن شيوخه لو جمعوا في ذات واحدة لم يبلغ علمهم إلى مقدار علمه. وبعد كلام طويل ومشوق ورضين استقاه من نواص الكلمات قال: (ولو قلت أن اليمن لم تنجب مثله لم أبعد عن الصواب)^(١).

وقد سبب هذا النبوغ ثورة عارمة ضده، طرد على أثرها إلى شغاف الجبال سيما بعد بلوغه من العلم هذه الدرجات العالية وخاصة في علوم القرآن والسنة النبوية التي برز فيها، وأقبل على العلم والعمل بهما.

فلم يقف ابن الوزير بعد بلوغه هذه المبلغ موقف المتفرج مما يراه من المقلدين فقد انبرى مندداً بعلماء عصره الذين التزموا التقليد، وعدم نبذ ما ألفوه، ثم الرجوع إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وناصبوه على ذلك العداء.

وقد أوضح ابن الوزير- رحمه الله - أصول الاجتهاد وبنائه والكلام في صعوبته أو سهولته، ثم ذكر بعد ذلك شرائطه عند الفريقين المعسرين والميسرين والرد على من زعم أنه قد صار متعذراً على الإطلاق.

(١) البدر الطالع (٩٢/٢).

وذكر عشرين تنبيهاً اشتملت على بيان غلط من أوهم تعذره، أو شكك في ذلك. أو دعا الناس إلى الإعراض عن طلبه، فذكر النصوص في القرآن والسنة والآثار وأقوال الصحابة والتابعين وعلماء الأمة الذين يقولون بالاجتهاد.

نذكر بعض النماذج التي ساقها عن علماء المذهب الزيدي المتقدمين في إمكان الاجتهاد وعدم تعسره. على النحو التالي:

١- الإمام يحيى بن حمزة^(١) قال في كتابه "المعيار"^(٢) في صفة المجتهد - ما لفظه - "وأما السنة فلا يلزم أن يكون حافظاً لها في ظاهر قلبه، بل لا بد أن يكون معتمداً على كتاب فيها يكون مستنداً له في فتواه"^(٣).

٢- الفقيه علي بن يحيى^(٤) قال في "اللمع" وقال أبو العباس: لا تكون عالماً بما تقضي حتى تكون عالماً بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

(١) هو يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الطالبي، من أكابر أئمة الزيدية وعلمائهم في اليمن، صنف التصانيف الكثيرة الحافلة في جميع الفنون، وكان - كما قال الشوكاني - له ميل إلى الإنصاف مع طهارة لسان وسلامة صدر، وعدم إقدام على التكفير والتفسيق والتأويل، ومبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وهو كثير الذب عن إعراض الصحابة المصونة - رضي الله عنهم - وهو صاحب كتاب (الطراز) المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. هـ، البدر الطالع (٣٣٢/٢) وحاشية العواصم والقواصم (٢٨٧/١).

(٢) المعيار لقرائح النظر منه نسخه مخطوطة بمكتبة د/ مهدي محمد يوسف.

(٣) العواصم (٢٨٧).

(٤) الفقيه العلامة المحقق علي بن يحيى بن حسن بن راشد الوشلي اليمني ينتهي نسبه إلى سلمان الفارسي ولد سنة ٦٦٢ هـ وأخذ عن السيد محمد بن عبد الله الحسيني الموسوي وغيره وكان عالماً محققاً حجة في كل مطلب، =

الفقيه - رحمه الله - ما لفظه: قال الغزالي^(١): وحد ذلك أن يعلم من الكتاب مما يتعلق بالأحكام الشرعية، وهو قدر خمسمائة آية، ويكون بظهر الغيب بحيث إذا عرضت الحادثة أمكنه الرجوع إلى موضعها^(٢).

قال ابن الوزير قلت: قوله " بظهر الغيب، فيه تسامح في العبارة، لأنه أراد أن يكون قريباً من الغيب لكثرة درسها، وأنه لا يجب غيبها بدليل قوله " بحيث إذا عرضت الحادثة أمكنه الرجوع إلى موضعها " وبدليل أنه حاكٍ لكلام الغزالي وكلام الغزالي مشهور نص فيه على أنه لا يجب الغيب وقد حكاه السيد عن الغزالي في كتابه على الصواب^(٣).

ثم ذكر الكتب التي ينبغي على المجتهد معرفتها، فقال " قال الفقيه " ومن السنة " الموطأ " أو سنن " أبي داود " ومن الفروع "الإجماع"، وأن يكون قد قال في المسألة قائل، ومن أصول الدين أن يعرف الله تعالى، وما يجوز عليه وما لا يجوز

= نفح الفروع وبين التأويل والتعليل، وأتى بالفرق والجمع بين المسائل بما لم يأت به غيره، مات بصعدة سنة ٧٧٧هـ. ملحق البدر الطالع (١٨٣/٢).

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام ، الفقيه الشافعي الأصولي من أشهر مصنفاته (المستصفى والمنحول وشفاء الغليل والوسيط وإحياء علوم الدين وغيرها مات سنة ٥٠٥هـ انظر وفيات الأعيان (٢١٦/٤) وطبقات الشافعية لابن السبكي (١٠١/٤) تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفي سنة ٧٧١هـ ، تحقيق مصطفى عبدالقادر أحمد عطا ، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

(٢) انظر المستصفى في علم الأصول (٣٥٠/٢-٣٥١) أبو حامد الغزالي الطبعة الأولى الأميرية سنة ١٣٢٤هـ .

(٣) العواصم (٢٨٩/١).

ومن أصول الفقه ما يمكنه أن يرد الفروع إلى الأصول، ويعرف المجمل والمبين، والعام والخاص، والناسخ والمنسوخ، وأن يكون معه طرف من النحو ليعرف الأوامر والنواهي وطرف من اللغة، هذا كلام الفقيه علي بن يحيى في تعليقه على "اللمع" والذي هو مدرس أفاضل علماء الزيدية^(١).

٣- القاضي العلامة عبد الله بن حسن الدواري - رحمه الله - قال في "تعليق الخلاصة" في صفة المجتهد: والعلم بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم يكفي في ذلك كتاب مما يشمل الأحاديث المتعلقة بالأحكام كأصول الأحكام أو أحد الكتب الصحيحة المشهورة أ.هـ.

يقول ابن الوزير: وفيه ما نرى من نص هذا العالم الجليل على ما بالغ السيد - أي جمال الدين شيخه - في إنكاره من صحة هذه الكتب، وعلى خلاف ظاهر كلامه في وجوب الإحاطة بصحيح الأخبار أ.هـ^(٢).

٤- الفقيه العلامة "علي بن عبد الله بن أبي الخير - رحمه الله - قال في تعليقه على الجوهرة" ما لفظه أما الكتاب، ففيه تحقيقان:

أحدهما: أنه لا يجب أن يعلم جميع ما يتعلق بالكتاب وإنما الواجب مقدار خمس مئة آية وهي التي تتعلق بالأحكام الشرعية.

(١) المصدر السابق (٢٨٩/١).

(٢) المصدر السابق (٢٩١/١).

الثاني: أنه لا يجب علمها بل إذا علم بمواضعها وتمكن من النظر فيها عند الحادثة كفى ذلك.

وأما السنة فيكفيه منها كتاب جامع لأكثر الأخبار الشرعية كسنان أبي داوود وغيره". ولا يجب أن يعلمه بالغيب كما تقدم في الكتاب.

وأما الإجماع فلا يلزمه أن يعلم جميع مسائله غيباً، بل يكفيه إذا وردت الحادثة أن يطلب وينظر في حكمها، فإن وجد فيها إجماعاً لم يخالفه وإن لم يجد فيها إجماعاً حكم بما أداه إليه اجتهاده^(١) أ.هـ.

ومما تقدم نجد أن ابن الوزير يقرر ما قاله أسلافه من الزيدية ثم يستنكر على مخالفيهم فيقول: وفيه ما ترى من التمثيل "بسنان أبي داوود"، وهذا فرع على صحتها فهؤلاء علماء الزيدية وأهل التدريس في مساجدها متطابقون على خلاف ما ذكره السيد من تحريم الرجوع إلى كتب الحديث وتحريم الاجتزاء بها.

ولم يقف ابن الوزير عند شيخه في الرد عليه بل تعدى ذلك إلى الوقوف أمام المتساهلين في الترخيص بأن يكون المجتهد من عوام الناس فيقول "وأما غيرهم، فإنه أكثر ترخيصاً منهم، وقد اشتهر عن شيوخ المعتزلة^(٢) البغدادية تحريم التقليد

(١) العواصم والقواصم (١/٢٩١).

(٢) هم أتباع واصل بن عطاء البصري المتكلم ولد بالمدينة في سنة ثمانين ومات في سنة ١٣١هـ، ويعتبر قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمتزلة بين المتزلتين كان يجلس في سوق الغزالين فلقب لذلك بالغزال، انضم إليه في بدعته هذه وفي القدر عمرو بن عبيد بن باب البصري الزاهد العابد، فطردهما الحسن عن =

على العامة، وتسهيل الاجتهاد لهم، فإنهم زعموا أن العامي متى سمع من العالم الدليل في المسألة وفهمه الدليل مثل ما يفهمه الفتوى، صار مجتهداً في المسألة فجعلوا الاجتهاد ممكناً للبداء من الحراثين والعبيد والنساء وجميع المكلفين، كما جعلت المعتزلة كلها معرفة الله - عز وجل - بالبراهين الصحيحة واجبة ممكنة لأؤلئك أجمعين أ.هـ^(١).

وبهذا - والكلام لابن الوزير - يظهر أن الاجتهاد أمر خفي غير ضروري ولا قطعي، وأن كل مجتهد في تفسيره واعتبار شروطه مصيب لعدم النص الجلي المتواتر في تفسيره - والله الحمد - أ.هـ^(٢).

ويستطرد ابن الوزير داعياً إلى الاجتهاد وإن حدث خطأ وجب الرجوع عنه فيقول: وقد ذكر العلماء قديماً وحديثاً حكم القاضي والمجتهد إذا خالفا النص ثم وجداه وهذا مسألة مشهورة وقد رجع كثير من العلماء عن أقوالهم، ورجع علي - عليه السلام - عن قوله في أم الولد - وكان يقول: إن بيعها حرام، ورجع إلى

= مجلسه فاعتزلا إلى سارية من مسجد البصرة فقبل لهما ولأتباعهما معتزله لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر أ.هـ الفرق بين الفرق ص (٤٠، ٤٢).

(١) العواصم والقواصم (١/٢٩١، ٢٩٢).

(٢) المصدر السابق (١/٢٩٢، ٢٩١).

القول بجواز بيعها، وقال له عبيدة السلماني: رأيك مع الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك^(١).

وقد يكون رجوع العالم للوقوف على النص، ولغير ذلك في انكشاف ضعف دليhle المتقدم، وقد رجع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن رأيه في دية الأصابع وعن المنع من توريث المرأة من دية زوجها^(٢). فورثها لرواية الضحاك بن سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم توريثها^(٣).

وأحتج بذلك الإمام المنصور^(٤) بالله - عليه السلام - في الصفوة^(٥): فقال - ما لفظه - وما كان يذهب إليه من التفضيل في دية الأصابع فإنه كان يجعل في

(١) أخرجه البيهقي (٣٤٨/١٠) من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين به، انظر السنن الكبرى للبيهقي (٢٩٢/١) مطبعة مجلي، دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.

(٢) العواصم والقواصم (٢٩٢، ٢٩١/١).

(٣) أخرجه أحمد (٤٥٢/٣) انظر المسند، أحمد بن حنبل، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م، بيروت وأبو داود (٢٩٢٧/٣) انظر سنن أبي داود، دار إحياء السنة النبوية بيروت.

(٤) عبدالله بن حمزة بن سليمان الحسيني دعا لنفسه وبويع بالخلافة سنة ٥٩٤ حوضر وتوفى محصوراً بكوكان سنة ٦١٤ له كتاب "الشافي" ذكر فيه أنه يحفظ خمسين ألف حديث "انظر مقدمة شرح الأزهار (٢٠/١) ومقدمة كتابه الشافي وتاريخ الفكر الإسلامي في اليمن (ص ٥٣٨) مطبوع مكتبة اليمن الكبرى، "مقدمة علوم الحديث المسمى الفلك الدوار" ص ٦٤، أعلام المؤلفين الزيدية ص ٥٧٨.

(٥) صفوة الاختيار في أصول الفقه ص (١٨٢) تأليف الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان، تحقيق إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي وهادي بن حسن الحمزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م منشورات مركز آل البيت للدراسات الإسلامية اليمن صعده.

الإبهام خمس عشرة وفي البنصر تسعاً وفي الخنصر ستاً وفي الباقيتين في كل واحدة عشراً فرجع عنه لكتاب عمرو بن حزم.

وأفتى ابن عباس أنه لا ربا إلا في النسبة ثم وجد النص، كما ذلك مشهور عنه^(١)

ثم يضيف ابن الوزير نصوص الأئمة المجتهدين من أئمة الزيدية فيقول: وقد نص "المنصور"^(٢) على أنه قد يخفى على المجتهد بعض النصوص، ولا يقدر ذلك في الاجتهاد وكذلك أبو الحسين^(٣) وغيرهما من الأصوليين.

وقد نص الهادي عليه السلام - في غير حديث في الأحكام^(٤) أنه لا يدري: أهو صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ وذلك يقتضي اعترافه بأنه لم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢٦/٦) باب الربا، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ-١٩٢٧م، دار الفكر بيروت، لبنان.

(٢) صفوة الاختيار ص ٣٧٤.

(٣) أبو الحسين البصري هو: محمد بن علي بن الطبيب البصري من الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة ومن أصحاب قاضي القضاة درس ببغداد وكان جدلاً حاذقاً مليح العبارة غزير المادة إمام وقته له الكثير من المؤلفات منها: المعتمد في أصول الفقه وكتاب تصفح الأدلة في مجلدين وشرح الأصول توفي يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة ٤٣٧هـ انظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان (٢٧١/٤) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت.

(٤) كتاب الأحكام في بيان الحلال والحرام (٣٢/٢) تأليف الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، يقع في مجلدين طبعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مكتبة دار اليمن الكبرى - صنعاء.

يخط بمعرفة الصحيح، ولو كان محيطاً به لقطع بأن ذلك الحديث غير صحيح، مستدلاً بأنه لو كان صحيحاً لوجب أن يكون فيما قد عرفه^(١).

وكذلك الشافعي قد توقف في أحاديث كثيرة، ووقف القول على صحة بعض الأخبار وقد أشتهر عن البغدادية القول بوجوب الاجتهاد على المكلف، حكاها الحاكم في "شرح العيون"^(٢) ثم يقرر ابن الوزير - رحمه الله - أنه لا يحتاج إلى الاجتهاد الكامل فيقول: ثم إنا لا نحتاج إلى الاجتهاد الكامل في الانتفاع بمعرفة الحديث النبوي، بل يكفينا الاجتهاد فيما تمس إليه الحاجة في بعض المسائل وذلك يبنى على القول بتحري الاجتهاد، وهو مسلك ظني اجتهادي صحيح، قال به كثير من أهل العلم وكما وضحته في مصنف مفرد في ذلك^(٣).... والله أعلم

مؤلفاته^(٤)

- إيثار الحق على الخلق في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته على مناهج الرسل والسلف .

(١) العواصم (١/٢٩٥، ٢٩٦).

(٢) شرح عيون المسائل اختصر منه الإمام المهدي كتاب القلائد، مخطوط في جزأين برقم ٩٩ مكتبة الأوقاف ا.هـ - أعلام المؤلفين الزيدية ص ٨٢٢ .

(٣) العواصم (١/٢٩٨) ولم أقف على مصنفه هذا وقد أشار الإمام الشوكاني أنه وقف على عدد كثير من مصنفاته في المسائل وهي في مجلد وما لم يقف عليه أكثر مما وقف عليه ا.هـ - البدر الطالع (٢/٢٩١) .

(٤) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ص (٦٨-٧١) ، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، وانظر العواصم والقواصم ص (٧٣-٧٦) ، وانظر البدر الطالع ص (٢/٩٠-٩١) .

- البرهان القاطع في معرفة الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع .
- التأديب الملوكوتي وهو مختصر ، وفيه عجائب وغرائب .
- تحرير الكلام في مسألة الرؤية وما دار بين المعتزلة والأشعرية .
- التحفة الصفية في شرح الأبيات الصوفية لأخيه الهادي بن إبراهيم الوزير .
- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان في أصول الأديان .
- تنقيح الأنظار في علوم الآثار .
- الحسام المشهور في الذب عن دولة الأمام المنصور .
- حصر آيات الأحكام .
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم .
- الروض الباسم وهو مختصر لكتابه العواصم .
- قبول البشرى في تيسير اليسرى .
- كتاب في التفسير من الكلام النبوي .
- نصر الأعيان على شر العميان .
- كتاب الأمر بالعزلة في آخر الزمان .
- مجمع الحقائق والرقائق في ممدوح رب الخلائق .
- مختصر في علم المعاني والبيان .
- رسالة في عدم اشتراط الإمام الأعظم في صلاة الجمعة .
- كتاب في علم المعاملة .
- ديوان شعره .
- رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقطار والعلماء الأبرار .

المبحث الخامس

موقف علماء الزيدية منه

لما بلغ عز الدين ابن الوزير من العلم أعلى درجاته وبخاصة في علوم القرآن والسنة التي برز فيهما وأقبل على العمل بهما داعياً إلى الاجتهاد، ومننداً بعلماء عصره الذين التزموا التقليد كعادة أسلافهم الذين يرون أن الخروج عن المذهب فرية يعاقب فاعلها ويناصب العداء، وتحاك ضده حبائل الفتن وشراك حمالة الخطب، ليكون عبرة لمن سولت له نفسه أن يسلك هذا الطريق، ولقد قرأنا فواجع ومصائب حلت به وبكثير من غيره كما حدث للإمام أبن الأمير والإمام الشوكاني من بعده أيضاً^(١)

فقد ناصبوا العداء لهذا الإمام وشنعوا عليه وشككوا في دعوته وصدوا الناس عن سلوك منهجه.

والمصيبة الكبرى أن أول من تصدر هذه المعارضة هو شيخه العلامة جمال الدين علي بن محمد بن أبي القاسم الذي يقول عنه الإمام الشوكاني "ولكنه لما أجتهد السيد محمد المذكور ورفض التقليد وتبحر في المعارف قام عليه صاحب الترجمة في جملة القائمين عليه وترسل عليه برسالة تدل على عدم إنصافه ومزيد

(١) أنظر أدب الطلب ومنتهى الأرب ص(٩٧-٩٨) محمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -

١٩٩٨م ، دار ابن حزم ، بيروت لبنان .

تعصبه - سامحه الله - ويضيف الشوكاني قائلاً " وأجاب السيد محمد عن هذه الرسالة " بالعواصم والقواصم " الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في هذه الديار اليمنية مثله..^(١) إ.هـ .

كما ذكر صاحب الفضائل^(٢) ما جرت بين الإمام محمد وشيخه من منازعات فيقول: وكان من شيخه طرفٌ من الحيف في السؤالات وتحويل لما يرويه الإمام محمد بن إبراهيم على صفة أنه يأخذ من كلامه مفهوماً لم يقصده أو قد صرح بنفيه، والإجماع منعقد على عدم اعتبار مفهوم وقع التصريح بخلافه، وما كان ذلك إلا لمكان دعوى الاجتهاد أ.هـ.

وهكذا استمر العداء يتسع والعلاقة تضعف بين الفريقين ، يذكر محمد بن عبدالله بن الهادي^(٣) في ترجمته للإمام محمد بن إبراهيم فيقول: وقد نسب أي جمال الدين علي بن محمد بن القاسم في رسالته إلى محمد بن إبراهيم القول بالرؤية وبقدم القرآن ولمخالفته لأهل البيت، وقد بناها على مجرد التوهيمات الواهية والتخيلات الباردة^(٤).

(١) انظر أدب الطلب ومنتهى الأرب ص ٩٧ - ٩٨ .

(٢) انظر مقدمة العواصم (١٩/١) قسم الدراسة .

(٣) ابن الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير، كان عالماً مبرزاً في علوم العربية وله معرفة قوية بالأنساب، ولد بصعدة في شعبان سنة ٨١٠ هـ، وتوفي سنة ٨٩٧ هـ ملحق البدر الطالع (٢٠٢/٢).

(٤) انظر عنوان كتابه "إثبات الحق على الخلق في معرفة الله ومعرفة صفاته على منهاج الرسل والسلف" يعتبر هذا الكتاب آخر مؤلفاته ففيه الدليل القاطع أنه مات على منهج أهل السنة والجماعة في الرؤية .

وهنا ستربرز مشكلة ثانية مع الإمام محمد بن عبد الله بن الهادي الذي ادعى أن الإمام محمد لم يقل بالرؤية وإنما بناها السيد على مجرد التوهّمات وهو يشير بهذا صراحة إلى أنه لم يقل بالرؤية وهذه مخالفة صريحة لرأيه الذي نحى فيه - أي مسألة الرؤية - منحى أهل السنة فقد أشار في كتابه "العواصم" رحمه الله إلى مسألة الرؤية ودافع عن الإمام الشافعي ورد على من قدح في اعتقاده في هذه المسألة ثم ضمن مسألة الرؤية قواعد كباراً كلامية ثم تكلم في فصلين في الرؤية أحدهما في إمكانها وإحالتها وثانيهما فيما ورد من السمع في أنها تقع في الآخرة عند أهل السنة - وهو منهم - وذكر أدلة الفريقين مستوفاة بألفاظهم^(١)...

ولكي تكون الصورة أوضح فإننا نجد ابن الوزير يقرر ما قرره أئمة أهل السنة في أمور العقيدة حيث يقول " فإن الجواب في كل مسألة يسأل عنها: ما قاله الإمام مالك - رحمه الله - في مسألة الاستواء، إذ قال " الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"^(٢).

ويقول رحمه الله " البرهان الثاني وهو التفصيلي، وهو أن نقول، ادعينا أن الحق هو مذهب السلف وأن مذهبهم هو توظيف الوظائف السبع وقد ذكرنا برهان كل وظيفة منها، فمن خالف فليت شعري أيخالف في قولنا الأول: إنه يجب تقديس الله وتزيهه في المخلوقات ومشابقتها، أم في قولنا الثاني: إنه يجب عليه

(١) العواصم (١/٢٨٩).

(٢) انظر فتح الباري (٣/٤٥٠ - ٤٥١) ذكره عن مالك بطرق مختلفة وجود أسانيد.

التصديق والإيمان بما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم على المعنى الذي أراده؟ أم في قولنا الثالث: إنه يجب عليه الاعتراف بالعجز عن كنه ذات الله تعالى وصفاته؟ أم في قولنا الرابع: إنه يجب عليه السكوت عن السؤال والخوض فيما وراء طاقته؟ أم في قولنا الخامس: إنه يجب عليه إمساك اللسان عن تعبير الظواهر بالزيادة والنقصان؟ أم في قولنا السادس: إنه يجب عليه كف القلب عن التفكير فيه مع عجزه عنه وقد قال لهم "عليه السلام" تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله^(١).

أم في قولنا السابع: إنه يجب عليه التسليم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الناقلين عنه لوازم الشريعة^(٢).

ومع هذا الوضوح نجده يحتاط ويقول "وقد سلكت في هذا الجواب مسالك الجدليين فيما يلزم الخصم على أصوله ولم أتعرض في بعضه لبيان المختار عندي وذلك لأجل التقية من ذوي الجهل والعصية فليتنبه الواقف على ذلك فلا يجعل ما أجب به الخصم مذهباً لي^(٣).

أبعد هذا الكلام يقبل القول "أنه لم يقل بالرؤية وأن الخصم قد بنى ذلك على توهمات"؟

(١) فتح الباري (١٣/٤٢٤) باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل.

(٢) العواصم (٣/٣٧٦).

(٣) العواصم (١/٢٢٥).

المبحث السادس

دفاع ابن الوزير عن كتب السنة

بدأ الحديث بقوله أقول (قد شرع السيد^(١) - أيده الله يبين وجوه التعسر في معرفة السنة وأخذ يتفنن في أساليب التنفير عن قراءة كتب الحديث، وقد تمسك في ذلك بوجوه)

الوجه الأول: دعوى التعذر أو التعسر في صحة كتب الحديث عن أهلها -
دع عنك صحتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أراد السيد - أيده الله - أن يحرم نسبة ما في هذه الكتب إلى أربابها، والجواب عليه في ذلك من وجوه.
وقبل أن أبدأ بكلام ابن الوزير أريد التنبيه إلى أنه أورد كلاماً طويلاً يطول نقله مع أن فوائده كثيرة وموارده غزيرة والنظر فيه يزيد العقل حكمة والقلب عظة والفؤاد رقة وبناء على ذلك أستقطع منه أجزاءً تظهر بها الفائدة ويتبين بها الموافق والمخالف ويجد الواقف عليها طول باع علم الأعلام الذي نحن بصدد النقل عنه فأقول:

وقال رحمه الله (الأول: أنه لا فرق بين كتب الحديث وبين غيرها من سائر مصنفات علماء الإسلام، بل كتب الحديث مختصة بصرف العناية من العلماء إلى سماعها وضبطها وتصحيحها، وكتابة خطوطهم عليها شاهد لمن قرأها بالسماع،

(١) جمال الدين المتقدم ذكره ص ٥ .

ناطقاً لمن سمعها بالأذن في روايتها، ولا يوجد في شي من كتب الإسلام مثل ما يوجد فيها من العناية الكثيرة في هذا الشأن حتى صار كأن هذا خصيصة لها دون غيرها من العلماء، - رضي الله عنهم - وتعظيم لشعارها، ورفع لمنازلها ومعرفة أنها أساس العلوم الإسلامية، وركن الفنون الدينية أ.هـ^(١)

الوجه الثاني: أجمعت الأمة على جواز إسنادها في كتب الحديث إلى أهلها بعد قراءة من يوثق به من الشيوخ، والدليل على ذلك أن العلماء مازالوا يقولون في كتبهم: هذا الحديث رواه البخاري أو رواه مسلم ما علمنا أن أحداً من المسلمين حرم على من قرأها من العلماء أن ينسب ما وجد فيها إلى مصنفها، ولا خرج في هذا - حتى السيد أيده الله - فإنه مع تحريمه لهذا روى عن البخاري ما زعم أنه يدل على أنه من الجبرية^(٢)، كما سيأتي بيانه في موضعه، وبيان الغلط على البخاري في ذلك المأخذ^(٣) أ.هـ بنصه.

الوجه الثالث: أن العترة - عليهم السلام - أجمعت على جواز نسبة مذاهب الفقهاء إليهم من غير ذكر إسناد وذكر عدالة رجاله، ومن عدل فكما المعدل، مع

(١) العواصم (٣٠٢/١-٣٠٣).

(٢) الجبر هو: نفي الفعل عن العبد حقيقة وإضافته إلى الرب تعالى والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً. والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثره أصلاً. أ.هـ الملل والنحل (٨٥/١) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة الثانية، دار المعرفة بيروت لبنان.

(٣) العواصم (٣٠٤/١).

إن بيننا وبين الفقهاء وغيرهم مثل ما بيننا وبين المحدثين من غير فرق، فكما يجوز إسناد فقه الفقهاء إليهم ولم يكن ذلك الاحتمال مانعاً منه، فكذلك يجوز نسبة ما في كتب المحدثين إليهم، ولا يكون الاحتمال مانعاً^(١)

الوجه الرابع: أن كلام السيد-أيده الله- مبني على أن المرسل غير مقبول، وما أدري لم بني كلامه على هذا، فالظاهر من كلام الجماهير من العترة أنه مقبول، وهو الذي نص عليه المنصور بالله في (الصفوة) والسيد أبو طالب^(٢) في (المجزي) والإمام يحيى في (المعيار) وجميع المصنفين من شيعهم، وهو قول المالكية، وروى أبو عمر بن عبد البر^(٣) في كتاب (التمهيد) عن ابن جرير الطبري^(٤) - العلامة-

(١) المصدر السابق (٢٠٤/١).

(٢) هو يحيى بن الحسين الماروني الإمام بويج له بالخلافة بعد موت أخيه سنة ٤١١ هـ كان عالماً من أعلام الفقه الزيدي له تخریج على قواعد مذهب الهادي وكان يرى أن ما لم يوجد للهادي فيه نص فمذهبه فيه كافي حنيقة، له عدة مؤلفات منها: ((التحريز)) وشرحه و((الامالي)) ١ هـ انظر مقدمة البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (ص ١٢٩) أحمد بن يحيى المرتضى، الطبعة الأولى، ١٣٦٦ هـ دار الحكمة اليمنية، وتاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ص (٢٣٠-٢٣١). وانظر أعلام المؤلفين الزيدية ص ١١٢.

(٣) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي إمام زمانه في الحديث والأثر ألف في الموطأ مؤلفات عديدة مفيدة منها التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وغيرها توفي سنة ٤٦٣ هـ ١ هـ انظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان (٦٦/٧). تذكرة الحفاظ (١١٢٨/٣).

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري كان إماماً مجتهداً لم يقلد أحداً، وله مصنفات مليحة تدل على طول باعه في العلم وغزارة فهمه، منها كتاب التفسير المشهور، وتذويب الآثار، وتاريخ الأمم. توفي سنة ٣١٠ هـ انظر تذكرة الحفاظ (٧١٠/٢) وفيات الأعيان (١٩١/٤).

أنه إجماع التابعين، وهو المختار على تفصيل فيه وهو قبول مراسيل الصحابة وبعض التابعين، والأئمة المعروفين بالتحري في الرواية^(١)....

الوجه الخامس: أن المختار القوي ما ذهب إليه أبو عمر ابن عبد البر، و أبو عبد الله المواق، وهو أن كل حامل علم معروف بالعناية فيه فإنه مقبول في علمه، محمول أبداً على السلامة حتى يظهر ما يحرمه، وقد ذهب المنصور بالله - عليه السلام - إلى مثل كلام ابن عبد البر، بل إلى أوسع منه، فإنه قضى بقبول من ظاهره السلامة- وكذلك عبد الله بن زيد، والسيد أبو طالب.....

الوجه السادس: إن كلام السيد- أيده الله- مما يجب عليه النظر في نقضه، لأنه ليس مما يختص بمحمد ابن إبراهيم، بل هو تشكيك في القواعد الإسلامية، وتشكيك على أهل الملة المحمدية، وذلك أنهم أجمعوا على حسن الرجوع إلى الكتاب والسنة في جميع الأحوال على الإطلاق، وأجمعوا على وجوب ذلك على جميع المكلفين في بعض الأحوال^(٢)

ويضيف الإمام محمد بن إبراهيم على ذلك قوله (والسيد- أيده الله- بالغ في التشكيك على من أراد الرجوع إلى الكتاب والسنة بحيث لو تصدى لذلك بعض الفلاسفة للتشكيك على المسلمين في الرجوع إلى كتاب ربهم الذي أنزل عليهم، والاعتماد على سنة نبيهم الذي أرسل إليهم ما زاد على ما ذكر السيد، فإنه

(١) العواصم والقواصم (٣٠٥/١) .

(٢) المصدر السابق (٣٢٧/١).

شكك في صحة الأخبار النبوية، وطعن في جميع طرقها، وطرق الشك في إسلام رواتها، وفي إسلام من استطاع أن يشكك في إسلامه، حتى شكك في إسلام الإماميين الكبيرين، مالك والشافعي، فمنع من معرفة حديث الفقهاء وأوجب معرفة رجال الأسانيد ومعرفة عدالتهم وعدالة من عدلهم، وعدالة من عدل المعدل، وهذا غير موجود في حديث أهل البيت -عليهم السلام- لقبولهم للمرسل، ولهذا لم يصنفوا في الجرح والتعديل، ومعرفة الرجال واختصروا ذكر الأسانيد^(١).....

الوجه السابع: قال الله تعالى في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم: ٣.

وقال تعالى فيما أوحاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩

وهذا يقتضي أن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال محفوظة، وسنته لا تبرح محروسة فكيف يكثر السيد -أيده الله- في تشويش قلوب الراغبين في حفظها ويوعر الطريق إلى معرفة معناها ولفظها^(٢)

الوجه الثامن: أن كتب الحديث وغيرها من كتب الإسلام موجودة بحمد الله في خزائن الأئمة والعلماء رضي الله عنهم - فلو قدرنا موت أهل العلم والعدالة،

(١) العواصم (٣٢٧/١).

(٢) العواصم والقواصم (٣٣٠/١).

لجاز لنا أن نعمل بما في الكتب التي كتب العلماء الثقات عليها خطوطهم بالصحة والسماع متى عرفنا أنها خطوطهم، أو غلب صحة ذلك على ظنوننا بالقرائن، أو أخبرنا بذلك من نثق به، وهذه إحدى طرائق الرواية وهي المسماة بالوجدادة وقد ذكرها الأصوليون والمحدثون^(١)

هذه لقطات مما قاله ابن الوزير في رده على السيد جمال الدين عند تشويشه على الأمة فيما كتب في كتب الحديث، علماً بأن ابن الوزير - كما أسلفت في أول الكلام قد أطال في الردود وفرع الفروع على الردود وذكر الآثار الواردة في ذلك ثم بعد ذلك استدل على ما يقول من جهة النظر مثل صنيعه بما تقدم فهو واسع النظر حافظ للآثار استطاع أن يقدم للسنة ما لم يقدمه غيره بهذا الأسلوب المبدع الذي يحتاج إلى وضع دراسات عليه وهذا ما جعل الإمام الشوكاني يثني عليه ويقول (وبالجملة فصاحب الترجمة ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهادهم ويضايق أئمة الأشعرية^(٢) والمعتزلة في مقالاتهم ويتكلم في الحديث بكلام أئمتهم المعترين مع إحاطة بحفظ غالب المتون ومعرفة رجال الأسانيد شخصاً

(١) المصدر السابق (١/٣٣٠، ٣٣١).

(٢) أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ومن عجب الاتفاق بينهما أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه علماً أن الأشاعرة يثبتون للباري سبحانه سبع صفات فيقولون : الباري تعالى : عالم بعلم قادر بقدرة حي بخياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله في البقاء اختلاف رأي ا.هـ . انظر الملل والنحل للشهرستاني (١/٩٤، ٩٥).

وحالاً وزماناً ومكاناً وتبحره في جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف، ومن رام أن يعرف حاله ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته فإنها شاهد عدل على طبقته فإنه يسرد في المسألة الواحدة من الوجوه ما يبهر لب مطالعه ويعرف قصر باعه بالنسبة إلى علم هذا الإمام^(١)

(١) البدر الطالع (٢/٩٠).

المبحث السابع

دفاعه عن المحدثين من أهل السنة

من خلال ما تقدم ذكره عرفنا مواقف ابن الوزير وكيف سل قلمه للدفاع عن السنة النبوية وهنا نورد دفاعه عن المحدثين من أهل السنة الذين تعرضوا للإساءة من قبل المتعصبين للهوى فقد ذكر منهم عدداً غير قليل ونخص بالذكر منهم الإمام أحمد والإمام الشافعي والإمام البخاري.

فقد ذكر - يقصد المتعصب - ما نصه: (أن التشبيه مستفيض عن أحمد بن حنبل، وقصد بذلك القدح في كتب الحديث بكونه من رجالهم، كما قدح فيها - أي الكتب - بكون الشافعي والبخاري من رجالهم..) هذا نص ابن الوزير - رحمه الله - معلقاً عليه بقوله " فما أفحش هذا الجهل وأزراه، وأخسه وأجرأه فيا هذا ليتك - يقصد الذي تعرض بالإساءة لأهل السنة - عرفت عمن يروي أئمتنا وأئمة المسلمين أجمعين من أهل البيت المطهرين الذين خالفتهم في كلامك هذا مع اعتقادك - بجهل - أنك فيه لهم مناصر وتابع وموافق ومشايخ حتى تعرف أنهم قد أثنوا على من ذمته وردوا عمن جرحته، فهذا السيد الإمام أبو طالب - عليه السلام - قد روى عن أحمد بن حنبل في " أماليه " وكذلك روى عنه الإمام المنصور بالله - عليه السلام - وغيره من أهل البيت وشيعتهم، - ولا سيما علماء الحديث من شيعة أهل البيت - عليهم السلام - كالحاكم أبي عبد الله

صاحب " المستدرک " علی " الصحیحین " وأبی عبد الرحمن النسائی صاحب " السنن " وابن عقدة.^(١)

وكذلك روى أهل البيت في مصنفاتهم الحديث الكثير عن مذهبه مذهب هؤلاء فروى السيد أبو طالب الآنف الذكر - أحاديث أبي داود صاحب " السنن " عن محمد بن عبدالله الأسدي، عن علي بن الحسين بن العبد، عن أبي داود.

ثم سرد عددا من الأحاديث لا يتسع المقام لذكرها، إلى أن قال: وكل هؤلاء إلى أمثال لهم كثير، من حفاظ الحديث وأئمة أهلها، حفظاً واعتقاداً، لكن أحمد بن حنبل بإجماعهم مع طائفة من الشيعة وافرة أحفظهم للحديث وأتقنهم فيه^(٢) أ.هـ.

هذه مواقف شاهدة على دفاع ابن الوزير عن كتب السنة وأهلها، ودليل صادق على حبه لأهل الحديث، لحبهم لسنة النبي صلى الله عليه وسلم. ولو أردت أن أسترسل في سرد الشواهد لا نقطع مداد القلم وسودت الدفاتر، ولكن وضعت ما يكون به للمنصف دليل وللمتعصب رادع وللأمة جميعاً وازع وشاهد.

(١) الأمام الحافظ أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي مولى بني هاشم المعروف بابن عقدة كانت كتبه ستمائة حملة وكان يجيد في ثلاثمائة ألف حديث بأسانيدها وقيل كان يذاكر في ستمائة ألف حديث انظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال (٦٠٠/٢) محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢ م.

(٢) انظر العواصم والقواصم (٣/٣٠٠، ٣٠٤).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً كما يحب ربنا ويرضاه الذي أعاني بفضلة وكرمه وجود عطائه على إنجاز بحثي هذا والذي توصلت فيه إلى النتائج التالية :

- ١ - إن علم الحديث ومصطلحه أهم العلوم وأولاها بالعناية والرعاية وبالتالي فإنه يجب الاهتمام بإبراز العلماء الذين كان لهم قصب السبق بالدفاع عن السنة النبوية لما قدموه لهذه الأمة من خير لم يقدمه غيرهم .
- ٢ - إن ما قام به ابن الوزير من جهود كان لها أعظم الأثر في الأمة حيث تحول بسبب منهجه المتفرد كثير من العلماء المشهورين في اليمن أمثال الإمام ابن الأمير والشوكاني والمقبلي والجلال وآخرين أمثالهم .
- ٣ - إن ما قام به بعض متعصبة الزيدية أمثال شيخ ابن الوزير كان مجرد افتراء على السنة وأهلها سيرنا ذلك في مواقف ابن الوزير في ردوده على من ذكر.

- ٤ - من خلال البحث رأينا أن ابن الوزير لم يكن يوماً ما جانحاً لأهل مذهبه ولا لمذاهب أهل السنة ، بل كان متحرر الفكر نابذ التقليد ، صادعاً بالحق على أي طرف يخالف الدليل.

كما عرفنا ذلك من خلال موافقه مع بعض مشايخه في مكة حيث لم يستسلم لهم ورد عليهم بأنه لو أراد التمدد لم تبع مذهب جده القاسم بن إبراهيم

٥ - لم يقدم أحد من الشيعة اليمنيين قبل ابن الوزير مثلما قدمه في الدفاع عن الصحابة وغيرهم فقد بذل جل وقته وكتابات في الدفاع عن السنة المطهرة وأصحابها فدافع عن المحدثين والفقهاء والأصوليين بما رآه موافقاً للكتاب والسنة .

٦ - عرفنا من خلال بحثنا سعة صدر ابن الوزير واطلاعه وتحمله المشاق الذي لا يقدر على تحملها إلا من منحه الله أيماناً راسخاً رسوخ الجبال الرواسي لا يتزعزع قيد أنملة في سبيل دعوته التي رسمها على بصيرة، له ولمن اتبعه بإحسان من علماء الأمة.

التوصيات:

١ - يجب على الباحثين أن يقوموا بواجبهم كما قام أسلافهم الأوائل للدفاع عن السنة وأصحابها لكي يذودوا عنها فساد المفسدين وغلو المغالين وزيف المبطلين .

٢ - ينبغي أن يدرس منهج ابن الوزير في الجامعات والمعاهد فهو منهج فريد من نوعه قلما يحذقه كثير من العلماء فضلاً عن طلاب العلم .

٣ - ينبغي على القائمين على دور المخطوطات تسهيل الإطلاع على كنوز المخطوطات ليخرجوا للأمة تلك الكنوز التي لا زالت حبيسة الأرفف قضى على معظمها تتابع السنون واكل الأرضة لها .

٤ - ينبغي على المراكز البحثية في الجامعات وغيرها توجيه الباحثين ومساعدتهم مالياً ومعنوياً في إخراج تلك المخطوطات .

٥ - ينبغي على وسائل الإعلام المختلفة توعية القائمين على دور الكتب وخاصة المكتبات الخاصة بأهمية تحقيق تلك الكنوز وإشهارها للعالم لتكون خير سفير لأرضنا الحبيبة للتعرف على علمائنا من خلالها .

٦ - التوعية المتواصلة لأهمية هذه المخطوطات وعدم التسرع في بيعها لجهات أجنبية تسرق ما فيها من كنوز على أنها من نتاجها بثمن بخس دراهم معدودة .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

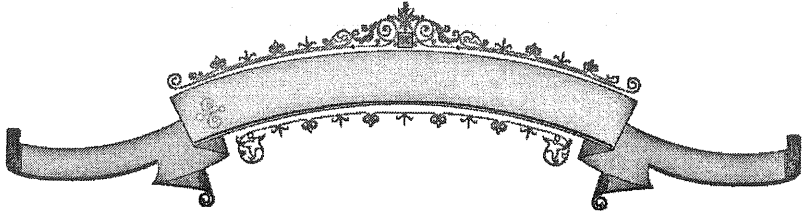
المراجع:

١	القرآن الكريم
٢	إبراهيم بن محمد الوزير: مقدمة علوم الحديث المسمى (الفلك الدوار)، رسالة ماجستير جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، تحقيق: علي حسن مثنى.
٣	إبراهيم بن القاسم : طبقات الزيدية الكبرى، تحقيق عبدالسلام الوجيه، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مؤسسة الإمام زيد بن علي.
٤	أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، الذخائر ٦١، الطبعة الرابعة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٥	أحمد بن الحسين البيهقي : السنن الكبرى ، مطبعة مجلي دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، الطبعة الأولى - ١٣٥٤هـ .
٦	أحمد حسين شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن ، الطبعة الثانية- ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، مطابع الرياض.
٧	أحمد بن حنبل الشيباني: المسند، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨	أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ .
٩	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني : فتح الباري، الشيخ عبدالعزيز بن باز- د/محمد فؤاد عبد الباقي - دار التقوى للتراث .
١٠	أحمد بن علي بن حجر العسقلاني :إنباء الغمر بأبناء العمر ، الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
١١	أحمد بن محمد العليمي: الشوكافي محدثاً: الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، دار ابن حزم .
١٢	أحمد بن محمد بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان : تحقيق الدكتور حسان عباس ، دار صادر - بيروت .
١٣	أحمد بن يحيى المرتضى:البحر الزخار الجامع للمذاهب علماء الأمصار، الطبعة الأولى-١٣٦٦هـ ، دار الحكمة اليمنية.

١٤	إسماعيل الأكوع : الأمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم، الطبعة الأولى - دار البشير عمان-١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
١٥	إسماعيل الأكوع : أعلام اليمن المجتهدين ، الطبعة الأولى - دار البشير عمان-١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
١٦	إسماعيل بن علي الأكوع : الزيدية نشأتها ومعتقداتها ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار البشير عمان.
١٧	أبو داود سلمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود، تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث بيروت ، الطبعة الأولى-١٣٨٨هـ .
١٨	ابن أبي شيبة: المصنف، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية الهند .
١٩	تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق: مصطفى عبد القادر أحمد عطا ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان .
٢٠	خير الدين الزركلي : الأعلام ، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٥، دار العلم للملايين بيروت- لبنان .
٢١	عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية- ١٤٠٣هـ.
٢٢	عبد السلام الوجيه : أعلام المؤلفين الزيدية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، مؤسسة الإمام زيد بن علي .
٢٣	عبدالله بن حمزة بن سليمان الإمام المنصور بالله : الشافي، الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان .
٢٤	عبدالله بن حمزة بن سليمان الإمام المنصور بالله : صفوة الاختيار في أصول الفقه، الطبعة الأولى- ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، منشورات مركز آل البيت للدراسات الإسلامية- اليمن صعده .
٢٥	علي بن محمد بن الأثير: أسد الغابة في معرفة أئصاله، دار إحياء التراث العربي بيروت توزيع دار ألباز.
٢٦	محمد بن إبراهيم الوزير: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، تحقيق: شعيب الارنؤوط ، الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ ١٩٨٩م ، دار اليسر عمان .
٢٧	محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار الحديث- القاهرة .
٢٨	محمد بن احمد الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد الجاوي ، دار المعرفة بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م .
٢٩	محمد بن احمد الذهبي: تذكرة الحفاظ : دار إحياء التراث العربي .

٣٠	محمد بن حسن الغماري : الشوكاني مفسراً: طبعة دار الشروق - جده .
٣١	محمد بن سورة الترمذي : سنن الترمذي، تحقق: احمد محمد شاكر ، مطبعة مصطفى البابي مصر، الطبعة الثانية-١٣٩٧هـ.
٣٢	محمد بن عبدالرحمن السخاوي : الضوء اللامع ، مكتبة القدس القاهرة — ١٣٤٤هـ.
٣٣	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني : الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني: الطبعة الثانية ، دار المعرفة بيروت - لبنان .
٣٤	محمد بن علي الشوكاني : أدب الطلب ومنتهى الأرب ، دار ابن حزم للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
٣٥	محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، دارا المعرفة بيروت .
٣٦	محمد بن محمد أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول : الطبعة الأولى الأميرية سنة ١٣٢٤هـ .
٣٧	محمد بن مكرم بن علي بن منظور : لسان العرب ، دار المعارف بيروت .
٣٨	مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧١م، دار الفكر بيروت .
٣٩	محمد بن يحيى زبارة: ملحق البدر الطالع، دار المعرفة بيروت .
٤٠	المادي إلى الحق يحيى بن الحسين: كتاب الأحكام في بيان الحلال والحرام ، يقع في مجلدين طبعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م مكتبة دار اليمن الكبرى - صنعاء .
٤١	يحيى حسين النونو: نظام الحسبة عند الزيدية دراسة مقارنة بالمذاهب الأربعة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ .





العلاقة مع غير المسلمين دعوىً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً

أ.د. / عبد الله قاسم الوشلي

أستاذ مشارك الفقه المقارن

كلية التربية

جامعة صنعاء

الْمُقَدِّمَةُ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين:

وبعد: الإسلام دين أنزله الله للبشرية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ ساء: ٢٨ وشريعته خالدة شاملة كاملة تنظم كل شئون الحياة، فهي نظام شامل كامل يعالج ما تحتاجه البشرية مسلمين وغير مسلمين في حياتها سواء كانت عقدية، أو عبادية، أو ثقافية، أو اجتماعية، أو سياسية، أو اقتصادية وغيرها، ومما أشتمل عليه هذا النظام تنظيم علاقة المسلمين بغيرهم باعتبارهم أمة الدعوة التي تشكل أحد ركني الأمة الواحدة بقسميها (أمة الإجابة وأمة الدعوة) ﴿ يَتَأَيَّمُوا لِلنَّاسِ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ المحرات: ١٣ وأمة الإسلام ليست منعزلة عن الآخرين بل هي أمة مفتوحة ومؤثرة لأنها تحمل أعظم رسالة وهي رسالة الإسلام التي يراد لها أن تسود وأن تصل للناس جميعاً.

ولذلك كان لا بد لهذه الأمة المسلمة أفراداً أو جماعة أو دولة أن تنشئ علاقات مع غيرها وفقاً للقواعد والأسس التي أرسنها شريعة الإسلام في تنظيم علاقات جميع الأمم بعضها ببعض، وحين تقيم هذه الأمة هذه العلاقات لا تقيمها لتحقيق مصالح مادية وإبطال مفسد خطيرة فقط. بل الأولوية فيها تهدف إلى تبليغ رسالة الإسلام، ونشرها والسعي للتمكين لها، وإعزاز أهلها. وفي سيرة

الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وتاريخ المسلمين في أيام قوتهم خير شاهد ودليل على ممارسة هذه العلاقة المفتوحة والمنفتحة على كل الناس، إلا أن فقه هذه العلاقة غاب عن الكثير، والتعرف على أحكامها قصر فيه أكثر الدارسين والمثقفين والمعنيين فكيف بالعامّة والمتعلمين، ونتج عن ذلك سوء تعامل وأخطاء في التصرفات انعكست أثارها سلباً على الإسلام والمسلمين وعلى الدعوة والدعاة الذين ينشدون العودة إلى الإسلام، ويسعون إلى إعادة سلطانه والتمكين لشريعته، وكم من مشروع لحركة إسلامية قارب النجاح فكان سوء التعامل في العلاقة وعدم الالتزام بالهدى المستقيم فيها أدى إلى تأخره أو إلغائه، وكم علاقة جانب أصحابها فيها الحكمة والبصيرة فتأخر وصولهم إلى الهدف. لذلك كان البيان عن هذه العلاقة من الأهمية بمكان، والكشف عن أحكامها من الحاجة إليه خصوصاً للعاملين للإسلام وقيادات الحركة الإسلامية في المرتبة المتقدمة على ما سواها.

ومع هذه الأهمية نلاحظ أن الكتابة عنها، والكشف عن حقائقها من كتاب العصر وفقهاء الحاضر قليلة، وإن كانوا قد تسابقوا في توضيح العلاقة الدولية في الإسلام، وكتبوا من الكتب والرسائل والأبحاث الكثير، إلا أن أحكام العلاقة العامة بجميع أنواعها وعلاقة الحركات الإسلامية بغير المسلمين لا نجد من اهتم بها إلا القليل من كتاب العصر الذين كتبوا عنها في موضوعات ضمن موضوعات أخرى، والقليل جداً خصّها بالتأليف دون استيعاب لهذه العلاقات، لذلك كانت

الحاجة ملحة إلى الكتابة استقلالاً، وباستيعاب أكثر في موضوع العلاقة مع غير المسلمين وبيان أحكامها، فكان هذا البحث المتواضع الذي أرجو من الله قبوله، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وأن يكون واقعياً لمن وفقه الله للكتابة في هذا الموضوع وبالأخص طلاب الدراسات العليا في بحوثهم العلمية وأن يعطوه حقه، والله المعين والمهادي إلى سواء السبيل.

وقد ضمنت خطته في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة تناولت فيها: الأهمية، ومدى الاحتياج إليه، والأسباب الدافعة إلى الكتابة، ومفردات الخطوة.

والمبحث الأول يشتمل على تعريف العلاقة ومفهومها.

والمبحث الثاني: التأصيل الشرعي للعلاقة، وأسس إقامتها مع غير المسلمين.

والمبحث الثالث: في أنواع العلاقات مع غير المسلمين وحكم كل نوع.

الخاتمة: وتشمل النتائج التي توصل إليها الباحث.

المبحث الأول

تعريف العلاقة ومفهومها

أ - العلاقة في اللغة:

بالعودة إلى قواميس اللغة للفظه علق نجد أنها: علق بالشيء علقاً وعلقة: نشب فيه وعلّق به علاقة وعلوقاً: لزمه، وعلقت به: لهجت به والعلوق: الحب، والشغف وفي الحديث ((فعلقت منه كل معلق))^(١) أي أحبها وشغفها والعلاقة: ما تبلغ به من العيش والنبيل . والعلاقة: المعلق الذي يعلق به الإناء، وعلاقة السيف والسوط^(٢) .

إذاً مفهوم العلاقة في المدلول اللغوي تعني: الصداقة، والحب اللازم للقلب، وما تبلغ به البهائم من الشجر، وما يكتفى به من العيش، وما تعلق به الإنسان من صناعة وغيرها^(٣) .

ب - العلاقة في الاصطلاح:

هي أساليب التعامل بين الناس وتفاعلهم في المجتمع الذي يعيشون فيه بشتى جوانب حياته الاجتماعية، والثقافية والسياسية، والاقتصادية وغيرها، ومواقفه

(١) رواه النسائي كما في النهاية: ٢٨٩/٣

(٢) انظر لسان العرب : ٢٦١/١٠ وما بعدها.

(٣) المعجم الوسيط : ٦٢٢ .

العملية والتعليمية والأسرية، وينطبق ذلك بطبيعة الحال على كل مؤسسة أو منظمة قائمة على نظام معين تسعى لتحقيق أهداف معينة^(١).

ج - مفهوم العلاقة مع غير المسلمين:

العلاقة مع غير المسلمين لم ترد لها في مؤلفات ومصنفات علماء المسلمين القديمة - حسب علمي - تعريف واضح بهذا الاسم المصطلح عليه في عصرنا، مع أن المطلع على هذه المؤلفات يجد: أن فقهاء المسلمين قد أولوا من حيث المضمون هذه العلاقات اهتماماً كبيراً، وخصوه بالتأليف ووضعوا له نظرية متكاملة، سواءً في علاقات الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، أم بعلاقات الأمة بغيرها من الأمم على مستوى الأفراد، والجماعات، والمجتمع، مستهدين بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وأعمال الخلفاء الراشدين وضعوها تحت أبواب واسعة في كتب الفقه: كالجهاد، وأسلاب الحرب، والأمان، والصلح، والخراج، وأحكام أهل الذمة، وفي أبواب المعاملات كالبيوع، والأنكحة، والأقضية، والعقوبات، وغير ذلك. وفي العلاقات الإنسانية: الأسرية والعشائرية، والجوار، وصلة الرحم، والبر والإحسان، والتعاون على ما هو خير في المصالح المشتركة إلى غير ذلك، بل يكاد علم السير والمغازي الذي احتل علاقة خاصة يمثل من حيث مضمونه هذا المصطلح (العلاقة مع غير المسلمين) بل يذكر أن الإمام أبا حنيفة

(١) انظر الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية النظرية والتطبيق - نحو مدخل إسلامي لتطوير وتنظيم العلاقات الإنسانية لمحي الدين عبد الشكور: ١٢٢.

رحمه الله أطلق على دروسه التي كان يلقيها عن الإسلام في الحرب والسلام (سير) ونقحها تلاميذه في كتب (السير الصغير)، (والسير الكبرى) لمحمد بن الحسن، وكتاب (الرد على سير الأوزاعي) لأبي يوسف.

ومن ثم يبدو أن كلمة (سير) قد صارت مصطلحاً فنياً يشيع استعماله بين الفقهاء وفي مختلف العصور، وقد نص السرخسي على هذا الفهم فقال في المبسوط: اعلم أن السير جمع سيرة وبه سمي هذا الكتاب: يعني كتاب السير الذي جاء ضمن كتب المبسوط لأنه يبين سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب، ومع أهل العهد منهم من المستأمنين وأهل الذمة، ومع المرتدين الذين هم أنحبث الكفار بالإنكار بعد الإقرار، ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين^(١).

ونخلص من هذا بتعريف للعلاقة مع غير المسلمين - اصطلاحياً بأنها: مجموعة القواعد التي يتعين على المسلمين التمسك بها في معاملة غير المسلمين في حالتي السلم والحرب سواء كانوا أشخاصاً أم دولاً في دار الإسلام أو غيرها.

د - كيف يفهم الولاء في مدلول العلاقة مع غير المسلمين:

(١) انظر المبسوط ١٠ / دار المعرفة بيروت ط ٢.

الولاء في المدلول اللغوي يعني: القرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة، والنصرة، والاعتقاد، والولي ضد العدو، والموالاة ضد العداوة، والموالاة المحبة^(١).

في ضوء هذه المعاني اللغوية للولاء عرف العلماء الموالاة بأنها: التقرب، وإظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا لمن يتخذه الإنسان ولياً^(٢).

والولاء والموالاة في القرآن الكريم التي أثبتتها للمؤمنين ومنعها عن الكافرين والمنافقين جاءت بلفظ عام مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا إِلَٰهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مِّمَّنَا﴾ النساء: ١٤٤ .

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: ٥١ قال ابن كثير: ينهى الله عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى والذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة: ٥١ ثم ذكر أن عمر رضي الله عنه انتهر أبا موسى الأشعري لما استعمل نصرانياً في الكتابة^(٣).

(١) انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ٥٢٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٨٨/٢.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في مسنده كما في تفسير القرآن العظيم: ٨٩/٢.

وجاءت بلفظ عام مع استثناء حالة معينة وهي حالة الخوف من الكافرين، مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ آل عمران: ٢٨.

قال ابن كثير: (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّهُ) أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيتة، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم^(١).

ويقول الشنقيطي: في هذه الآية الكريمة بيان لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً وإيضاح، لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية فيرخص في موالاتهم، وبقدر المداراة التي يكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة^(٢)، وهذا يعطي رخصة في حق المؤمنين في واقعنا المعاصر الذي وصل فيه حال المسلمين مع غيرهم - مما يعرفه كل إنسان - من سيطرة الكافرين على المسلمين وبلادهم وقوة سلطاتهم وضعف سلطان الإسلام إلى حد أن كثيراً من المسلمين يخافون شر هؤلاء الأعداء ولا يجدون قدرة على المقاومة وإن كانت المغالبة حاصلة وما النصر إلا من عند الله .

وجاءت مقيدة بصفة العداوة، والكفر بالحق، وإخراج المؤمنين من ديارهم بسبب الإيمان، مع وصف الولاء بالمودة والمتضمن إفشاء أسرار المؤمنين للأعداء

(١) الجامع الصحيح للبخاري : ١٠٢/٧ في الترجمة تعليقاً.

(٢) أضواء البيان : ٣١٤/١.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَآيَاتِي مَرَضَاتِي تُشِرُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المتحنة: ١.

وجاءت بعضها ناهية عن موالاته الكافرين دون المؤمنين طلباً للقوة والغلبة منهم، والرضا بما يقولون ويفعلون من كفر واستهزاء وسخرية، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُتَفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَغُوتُ عَنْهُمْ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْهُمُ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٣٨ - ١٤٠.

وآيات أخرى تربط الموالاته الممنوعة بتفضيل الكفر على الإيمان، وأخرى بالمحاده لله ورسوله لا لكونهم كافرين فحسب، ولو كان هؤلاء أقرب الأقربين قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ التوبة: ٢٣ وقوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة: ٢٢.

فهذه الآيات وغيرها التي جاءت في الولاء للمؤمنين ومنعه على غير المسلمين

بهذا الإطلاق، والتقييد، والعموم والتخصيص، تبين لنا أن الموالة المحذر منها لغير المسلمين ليست على العموم وإنما هي التي:

١- تكون بوصفهم جماعة متميزة بديانتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها أي بوصفهم يهوداً أو نصارى أو مجوساً أو نحو ذلك لا بوصفهم أقارب أو جيراناً أو زملاء أو مواطنين، والمفروض أن يكون ولاء المسلم للأمة المسلمة وحدها.

٢- المادة التي نمت عنها الآيات ليست هي مادة من هو مخالف في الدين، ولو كان مسلماً للمسلمين وذمة لهم، إنما هي مادة من آذى المسلمين وحاد الله ورسوله، وهذا هو الذي يمكن الجمع به بين الآيات التي ورد فيها الامتناع عن موالة غير المسلمين على وجه الإطلاق أو العموم فتحمل على الآيات التي ورد فيها تخصيص أو تقييد على الآيات التي ورد فيها الإطلاق والعموم ويكون المعنى أن الموالة والمودة ممتنعة عن الكافر المعادي المحاد لله ورسوله المشاق للحق الواقف في وجهه والمؤذي لأهله بقتالهم أو إخراجهم من ديارهم أو غير ذلك، لكونهم يقولون ربنا الله ويؤمنون بالله وحده، إلا في حالة الخوف منهم فله أن يواليهم بلسانه لا بأفعاله يفعل ذلك تقية وتكون ممتنعة ممن يطلب بولائه للكافرين العزة والغلبة لقوتهم وهيمنتهم والرضى بما يقولون ويفعلون، وبهذا نضبط علاقة المسلمين بغير المسلمين في الولاء والمودة بهذه الضوابط والقيود.

المبحث الثاني

التأصيل الشرعي للعلاقة وأسس إقامتها

أ - الأصل في مشروعية العلاقة مع غير المسلمين:

الأصل في مشروعية العلاقة مع غير المسلمين آيات كثيرة منها الصريح المنطوق، ومنها المضمون المفهوم الذي يغلب على فهم أهل العلم أنه لا يدل على سوى ذلك، وأحاديث نبوية موضحة لهذه العلاقة لفظاً منطوقاً صريحاً وتطبيقاً عملياً في مختلف جوانب العلاقة الإنسانية الدعوية والعقدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي مختلف المجالات التي يكون عليها المسلمون: حالة الضعف، أو حالة المغالبة، أو حالة القوة والسلطان، أو حالة السلم، أو حالة الحرب وهذه أدلة ذلك:

أولاً: آيتان من القرآن الكريم مثلنا قاعدة ذهبية في علاقة المسلمين بغيرهم هما:

قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَقُولُوا أَن نُّقَاتِلَهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿المنحنة: ٨ - ٩﴾

يقول الشيخ عطية سالم: اعتبر بعض المفسرين الآية الأولى رخصة من الآية في

أول السورة - يعني قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ

إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ ﴿ المتحنة: ١ ، ولكن في هاتين الآيتين صنفان من الأعداء وقسمان من المعاملة:

الصنف الأول: عدو لم يقاتلوا المسلمين في دينهم ولم يخرجوهم من ديارهم فهؤلاء يقول تعالى في حقهم: ﴿ لَا يَنْهَكُكُمْ اللَّهُ ﴾ المتحنة: ٨ ﴿ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَنُقْصِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ المتحنة: ٨

الصنف الثاني: قاتلو المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم، وهؤلاء يقول تعالى فيهم: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ ﴾ المتحنة: ٩ ﴿ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ﴾ المتحنة: ٩ إذاً فهما قسمان مختلفان، وحكمان متغايران، وإن كان القسمان لم يخرجوا عن عموم عدوي وعدوكم المتقدم في أول السورة إلى أن قال: فالقسمان قسم: مسلم لم يقاتل المسلمين ولم يخرجهم من ديارهم فلم ينه الله المسلمين عن برهم والإقسط إليهم .

وقسم غير مسلم يقاتل المسلمين ويخرجهم من ديارهم ويظاهر على إخراجهم فنهى الله المسلمين عن موالاتهم، وفرق بين الإذن بالبر والقسط وبين النهي عن الموالاة والمودة، ويشهد لهذا التقسيم ما في الآية الأولى من قرائن وهي عموم الوصف بالكفر، وخصوص الوصف بإخراج الرسول وإياكم، ومعلوم أن إخراج الرسول ﷺ — والمسلمين من ديارهم كان نتيجة لقتالهم وإيذائهم، فهذا القسم هو المعني بالنهي عن موالاته لموقفه المعادي، لأن المعادة تنافي الموالاة .

ثم ذكر اختلاف المفسرين في المعنى بها، وفي نسخها ورجح أنها محكمة، وقال ويؤيد عدم النسخ ما نقله القرطبي عن أكثر أهل التأويل أنها محكمة^(١)، ومما ينفي النسخ عدم التعارض بين هذا المعنى وبين آية السيف لأن شرط النسخ التعارض وعدم إمكان الجمع ومعرفة التاريخ والجمع هنا ممكن والتعارض منفي، وذلك لأن الأمر بالقتال لا يمنع الإحسان قبله كما أن المسلمين ما كانوا ليفاجئوا أهل قوم بقتال حتى يدعوهم إلى الإسلام، وهذا من الإحسان قطعاً، ولأنهم قبلوا من أهل الكتاب الجزية، وعاملوا أهل الذمة بكل إحسان وعدالة، وقصة الظعينة في صحيح البخاري صاحبة المزدتين فبعد أن استقوا من مائها، أكرموها وأحسنوا إليها وجمعوا لها طعاماً وأرسلوها في سبيلها، ولم يقتلوها ولا أسروها^(٢)، وقصة ثمامة لما جيء به أسيراً وربط في سارية المسجد والإحسان إليه، حيث كان يخرج عليه كل يوم بحلب سبع نياق حتى فك أسره وأسلم طواغية^(٣)، ونص الله عز وجل في هذا ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيئًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان: ٨ ولم يكن ثم أسير بيد المسلمين إلا من الكفار.

ومما يدل على ذلك أيضاً استقبال الوفود بعد سنة تسع، وفيهم المشركون، وكانوا يقابلون بالإحسان كوفد نجران^(٤) وغيرهم، ووفد تميم الذي جاء مفاخرًا

(١) انظر تفسير القرطبي: ١٩/١٨.

(٢) صحيح البخاري: ٨٩/١ في التيمم.

(٣) صحيح البخاري: ١١٧/٥ في الغازي، وانظر فتح الباري: ٨٨/٨.

(٤) صحيح البخاري: ١٢٠/٥.

ومفاوضاً في أسرى، وأذن الرسول واستمع إلى مفاخرتهم، وأمر من يرد عليهم من المسلمين^(١)، كل هذه الشواهد دالة على عدم النسخ^(٢).

وقد رجح إمام المفسرين الطبري عدم النسخ وعموم الآية في جميع أصناف الملل والأديان^(٣)، وقد فصل القول الإمام الشافعي رضي الله عنه في تفسيره لهذه الآية حيث قال رحمه الله: وكانت الصلة بالمال، والبر، والإقسط، ولين الكلام، والمراسلة، بحكم الله غير ما نكروا عنه من الولاية لمن نكروا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين، وذلك أنه أباح بر من لم يظهر عليهم - من المشركين - والإقسط إليهم، ولم يحرم ذلك إلى من أظهر عليهم، بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم وكان الولاية غير البر والإقسط^(٤).

ثانياً: إن من سنة الله في الاجتماع البشري أن يتجاوز الناس فيه على اختلاف مللهم ونحلهم، كما يتجاوز فيه مختلف الألسنة والألوان، وهم جميعاً إخوة لأب وأم وإن تباعد بمعاني الأخوة الإنسانية طول الأمد بين الأصول والفروع، قرر القرآن هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣.

(١) انظر سيرة ابن هشام: ٥٦٢/٢، ٥٦٧. وزاد المعاد: ٥١٠/٣ - ٥١٢.

(٢) أضواء البيان: ٣٢٥/٥.

(٣) انظر تفسير الطبري: ٤٣/١٠.

(٤) أحكام القرآن للشافعي: ١٩٣/٢.

والسنة النبوية أيدت هذه الحقيقة بالبيان والتفصيل حيث ورد في خطبة النبي ﷺ _ في حجة الوداع: ((أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب^(١)، وفي الترمذي عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ _ خطب بمكة فقال: يا أيها الناس : إن الله قد أذهب عنكم عبية^(٢) الجاهلية وتعاضمها بآبائها فالناس رجلان: رجل تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣^(٣).

ثالثاً: يقول الله عز وجل: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٦) فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ

(١) رواد أحمد من حديث رجل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ٤٧٤/٣٨ رقم ٢٣٤٨٩ قال الحنفي الأرنؤطي: إسناده صحيح وقال أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠٠/٣ من حديث جابر ، وأنظر سيرة ابن هشام: ٣٥٤.٤١/٤.

(٢) العيبة: الكبر والنخوة.

(٣) جامع الترمذي رقم ٣٢٧٠ وقال حسن غريب، وهو في سنن أبي داود رقم ٥١١٦ ومسنند احمد ٣٤٩/١٤ رقم ٨٧٣٦، وقال الأرنؤطي في الهامش: إسناده حسن.

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿البقرة: ١٣٦ - ١٣٨﴾ قال سيد قطب رحمه الله: تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعاً وبين الرسل جميعاً هي قاعدة التصور الإسلامي، وهي التي تجعل من الأمة المسلمة، الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق السائرة في الدرب على هدى ونور، والتي تجعل من النظام الإسلامي النظام العالمي الذي يملك الجميع الحياة في ظله دون تعد ولا اضطهاد والتي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً مفتوحاً للناس جميعاً في مودة وسلام^(١).

رابعاً: آيات السلم دعوة، وجنوحاً إليه، وتركاً للقتال من أجله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿البقرة: ٢٠٨﴾، قال قتادة: المودعة^(٢). وقال الجوهري: الصلح^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الأنفال: ٦١. وقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ بِكُمْ أَلْسَلَمٌ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ النساء: ٩٠.

ويتقرر من هذا أن السلام مبدأ من مبادئ الإسلام التي عمق الإسلام جذورها في نفوس المسلمين، فأصبحت جزءاً من كيانهم وعقيدة من عقائدهم، كيف لا

(١) في ظلال القرآن ١/١١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٠٨/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣/٣.

والإسلام مأخوذ من مادة السلام، لان السلام والإسلام يلتقيان في توفير الطمأنينة والأمن والسكينة، والله من أسمائه السلام لأنه يؤمن الناس بما شرع من مبادئ وما رسم من خطط ومناهج، وحامل هذه الرسالة هو حامل راية السلام لأنه يحمل إلى البشرية الهدى والنور والخير والرشاد فالقرآن يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، وهو يقول عن نفسه: ((إنما أنا رحمة مهداة))^(١)، وانطلاقاً من هذه النصوص والمعاني التي قررها الإسلام قال بعض العلماء القدماء كسفيان الثوري وابن شبرمة^(٢) وجمهور العلماء المعاصرين كأبي زهرة، والبنّا^(٣)، ومحمد عزة دروزة^(٤)، وسيد سابق^(٥)، ووهبه الزحيلي^(٦)، ويوسف القرضاوي، ومحمد الغزالي، وعبدالله عنوشة^(٧)، وغيرهم من الكتاب المعاصرين أن الأصل في العلاقة مع غير المسلمين ودولهم السلم، بل نسب أبو زهرة هذا القول إلى الجماهرة العظمى من الفقهاء، فقال بعد أن استعرض واقع الجهاد في عصور الإسلام الأولى

(١) الجامع الصغير: ١٠٣ وقال رواه ابن سعد والحكيم عن أبي صالح مرسلًا.

(٢) انظر شرح السير الكبير: ١٨٧/١ تحقيق صلاح الدين المنجد.

(٣) مجموعة الرسائل: ٢٨٠-٢٨٤.

(٤) ذكر هذا في تفسيره، وتوسع في ذلك: عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلْمِ

كَآفَّةً ...﴾ البقرة: ٢٠٨، وعند قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَرْتُمْ فَلَمْ يَفْخَرُوا بِكُمْ ...﴾

النساء: ٩٠، وقد رد على بعض العلماء.

(٥) فقه السنة: ٢٢/٢، وعناصر القوة في الإسلام: ٢٠٧ وما بعدها.

(٦) الفقه الإسلامي وأدلته: ١٤٠٩/٨.

(٧) غاية الإسلام للقيم والمعاني الإنسانية في الدولة الإسلامية: ١٩٨. بحث معد للمؤتمر السادس لمجمع البحوث

البحوث الإسلامية بالأزهر ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

وأيام سلطته وقوته: وننتهي من هذا إلى أن الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، وأن ذلك هو رأي الجمهرة العظمى من الفقهاء، والقلة التي خالفت ما كان نظرها إلى الأصل بل نظرها إلى الواقع - أي الواقع الذي كان عليه الإسلام في عصوره الأولى - وكان ما قررته حكماً زمنياً وليس أصلاً دينياً، وأن سمت دار المخالفين دار حرب لا يمنع من أن الأصل هو السلم^(١). إلا أن نسبة هذا القول إلى الجمهرة العظمى من الفقهاء وأن القلة هي التي خالفت فيه نظر، إذ أن المتتبع لكتب الفقه يجد أن أكثر الفقهاء على خلاف هذا حيث يرون أن الأصل في العلاقة مع غير المسلمين هي علاقة حرب مستنديين على آية السيف وهي قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩ وقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ٣٦ وقالوا: أنها ناسخة لكل آيات السلم . لكن هذا الإطلاق في النسخ لم يكن متفقاً عليه بين علماء التفسير والفقه، وكثير من المفسرين يرون كثيراً من الآيات التي وردت في السلم، وأن المقاتلة لغير المسلمين لا تكون إلا بالاعتداء من قبلهم لا زالت محكمة، وقالوا أن آية السيف وردت في سياق اعتداء أو هم بالاعتداء، أو تمنع لدعوة الإسلام من الانتشار ووصوله إلى الناس إلى غير ذلك. وبهذا يكون العمل بجميع النصوص الواردة في

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام: ٥٢.

هذا وإعمال النصوص خير من إهمالها كما هو مقرر عند الأصوليين، كما أنه متى أمكن الجمع بين النصوص فلا نسخ والجمع هنا ممكن إذ لا تعارض بين جميع النصوص فكل يعمل به في موضعه.

ب - أسس العلاقة مع غير المسلمين:

فيما مضى عرفنا الأصل الشرعي في مشروعية العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين أياً كانوا من القرآن والسنة، وعرفنا أنها لازمة في حق المسلمين الذين لا يحادون الله ورسوله، ولا يعادون المؤمنين، ولا يؤذونهم، ولا يقفون في وجه الدعوة الإسلامية، ولا يحولون بينها وبين الإنسان، ولا يعلنون قتال المسلمين، ولا يستهدفون إخراجهم من ديارهم بغير حق، إلى غير ذلك من الأمور التي تتنافى مع السلم وأمان المجتمع، وانتشار دعوة الإسلام، ووصولها إلى الناس كافة، إلا أن هذه العلاقة في نظر الإسلام قائمة على أسس وكليات يجب مراعاتها، والحرص على تطبيقها، والالتزام بمقتضاياتها حين التعامل بها مع الأفراد أو الجماعات، أو الشعوب والأمم، وهذه الأسس هي:

أولاً : الوجود الإنساني في هذه الأرض وحق الحياة فيها وعدم الاعتداء عليها

إلا بحقها

قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢ قال ابن كثير : ومن قتل نفساً بغير سبب من قصاص ، أو فساد في الأرض واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية

فكأنما قتل الناس جميعاً لأنه لا فرق بين نفس ونفس ، ومن أحيائها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ، ولهذا قال : فكأنما أحيانا الناس جميعاً^(١)

ثانياً : الاستخلاف في هذه الأرض والقيام بحق الخلافة فيها ، والعمارة لها: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة: ٣٠ .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: ٣٠ : قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وحيلاً بعد جيل، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الأنعام: ١٦٥ ، ومن لازم الاستخلاف فيها تحقيق عمارتها من خلال تعاون بني الإنسان جميعاً مسلمهم وغير مسلمهم على ذلك قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ مود: ٦١ ، أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها^(٢)

ثالثاً : الكرامة الإنسانية:

الإنسان أي إنسان كرمه الله على ما سواه من المخلوقات والكائنات بل جعلها كلها مسخرة له، وخلقت من أجله، ولذلك اختاره خليفته، رغم توقع

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦١/٢

(٢) تفسير القرآن العظيم : ٩٠/١

الملائكة لفساده وإفساده في هذه الخلافة، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠ بل صرح القرآن الكريم بهذا التكريم للإنسان في آيات كثيرة منها ما جاء بصريح اللفظ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ٧٠ .

يقول عبد الحميد بن باديس في معنى الآية: هذا التكريم هو عام للنوع الإنساني من حيث هو إنسان، لا فرق فيه بين من آمن ومن كفر، لأنه راجع للخلقة الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع، والتمكين من أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع بما عنده من عقل وتفكير، وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ (بني آدم) ومثل هذا التكريم في العموم: الحمل في البر والبحر والرزق لأنه من جملة التكريم^(١).

وهذا التكريم كما تدل عليه الآيات بل والأحاديث النبوية أنه ليس خاصاً بعنصر دون عنصر، ولا بجنس دون جنس، بل الجميع سواء في حق التكريم، وقد قال النبي ﷺ: ((كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى))^(٢).

(١) تفسير بن باديس : ٢٠٤ .

(٢) الحديث أخرجه ورواه الخطيب بإسناد حسن .

ولقد تعامل الرسول ﷺ مع غير المسلمين على هذا التكريم القرآني للإنسان، وأقام العلاقة مع غير المسلمين في هذا المعنى الإنساني في حالات السلم والحرب، ففي حالة السلم يقول الرسول ﷺ: ((من آذى ذمياً فأنا خصمه ومن كنت خصمه خاصمته يوم القيامة))^(١)، ويقول الرسول ﷺ: ((من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة))^(٢).

وأبرز شاهد على ذلك أنه مرت جنازة يهودي فوقف لها النبي ﷺ - تكريماً فقال له بعض أصحابه: إنها جنازة يهودي ، فقال النبي ﷺ -: ((أليست نفساً))^(٣).

وأما في الحرب فقد راعى جميع الحقوق الإنسانية في العلاقة والتعامل حيث كانت الرحمة والإنسانية هي أساس التعامل، كيف والرسول يقول: ((أنا نبي الرحمة وأنا نبي المصلحة))^(٤). فمن أولى وصاياته للجيش ((تألفوا الناس وتأنوا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل مدر، ووبر، إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم))^(٥).

(١) انظر كتل العمال: ٣٦٢/٤ رقم ١٠٩١٣، وأخرجه الخطيب عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه.

(٢) السنن الكبرى ٢٠٥/٥ وسنن أبي داود: ١٥٢/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٨٧/٢ ومسلم: ٦٦١/٢ رقم ٨١.

(٤) مسند أحمد ٤٣٦/٣٨ رقم ٢٣٤٤٥ وقال شعيب الارناؤط: صحيح لغيره.

(٥) انظر: كتل العمال: ٤٣٧/٤ رقم ١١٣٠٠، وقال أخرجه ابن منده، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائذ.

ولقد نهي الرسول ﷺ - في حالة الحرب عن الغدر، والاغتيل، والتعذيب (المثلة) وقتل من لم يحارب الناس، أو لم يصيبهم بأذى، فمن وصيته ((انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا امرأة ولا تغلوا)) الحديث^(١)، وقال: ((لا تقتلوا أسيراً، ولا عسيفاً))^(٢). أي عاملاً وحرماً المثلة^(٣)، والإحراق بالنار لميت أو حي^(٤)، وأمر بإكرام الأسير والإحسان إليه وأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً: ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَنَحْنُ بِمَسْكِينٍ وَبَيْتًا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان: ٨ .

والخلفاء الراشدون التزموا بهذا النهج وتواصوا به فيما بينهم، ومع قوادهم وأمرائهم، وهذا معروف في سيرة الخلفاء الراشدين ففي وصية أبي بكر الصديق عليه السلام لجيشه لما أنفذه إلى الشام: (لا تخونوا ولا تقدرُوا، ولا تقتلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا أطفالاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تقطعوا شجرة، ولا تدبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا للأكل، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له). وبهذا أوصى عمر بن عبد العزيز كما في الموطأ^(٥).

(١) سنن أبي داود : ٣٦/٢ .

(٢) سنن أبي داود : ٥٠/٢ وإسناده صحيح .

(٣) جاء من حديث بريده: ((لا تمثلوا)) رواه مسلم رقم ١٧٣١ في الجهاد، وفي سنن أبي داود ٤٩/٢ من حديث سمره ((وكان يحثنا على الصدقة، ونهانا عن المثلة)).

(٤) سنن أبي داود : ٥٠/٢ .

(٥) رواه مالك في الموطأ في الجهاد: ٣٦٥/١ - ٣٦٥ رقم ١٠ .

• حَوْلِيَةِ
الْكَلْبَةِ الْعَلِيَّاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (وهذا قول الربيع وأبي زيد^(١)، وقال ابن القيم: وهو قول الجمهور^(٢)، وفي هذه الآيات دلالة واضحة وصريحة لإعلان الإسلام للإخوة الإنسانية ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة في تاريخ البشرية^(٣).

وفي القرآن أن اختلاف اللغات والألوان ليس بمانع من الوحدة الإنسانية الجامعة بل جعل ذلك من سنن الله في خلق الإنسان ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ لِسَانَكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم: ٢٢ ، وأن اختلاف الناس شعوباً وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ويختلفوا ولكن ليتعارفوا ويتعاونوا (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا).

فالوحدة الإنسانية وأخوتها تمثل أساساً هاماً في التعامل بين المسلمين وغيرهم وربط العلاقة بينهم في أمور الدنيا والمصالح المتبادلة على أساس العدل، وحسن التعامل، وكذلك في أمور الدين فيما يتعلق بدعوتهم إلى الإسلام والتزام الحق بالقول الحسن والجدال بالتي هي أحسن.

(١) النكت والعيون : ٢٧١/١.

(٢) زاد المسير في علم التفسير : ٢٢٩/١.

(٣) رسائل الإمام البنا ، رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي : ٣٥٣.

وفي أول وثيقة للنبي ﷺ — والرسول يُوصف المجتمع الذي ضم المسلمين وغير المسلمين جعل العنوان المنتظم لعناصر هذا المجتمع ^(١). لفظ (أمة مع المؤمنين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم) حيث جاء في الوثيقة (أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين) وتكرر هذا مع جميع قبائل اليهود الذين يسكنون في المدينة ويضمهم هذا المجتمع.

خامساً: التعاون الإنساني :

التعاون في الإسلام مبدأ عام في كل الأفراد والجماعات الإنسانية كما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ المائدة: ٢ . في تفسير القرطبي: وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى: أي ليعن بعضهم بعضاً، وتحابوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عن ما نهى الله عنه وامتنعوا منه وهذا موافق لما ورد عن النبي ﷺ — أنه قال: الدال على الخير كفاعله ^(٢).

(١) سيرة ابن هشام: ١٣٠/٢ — ١٣٤، والبداية والنهاية: ٢٢٤/٣.

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير أنه أخرجه الحافظ أبو بكر البزار وقال: له شاهد في الصحيح التفسير ١٠/٢.

وقد قيل (الدال على الشر كصانعه)^(١)، وقال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له، لأن في التقوى رضى الله تعالى، وفي البر رضى الناس، ومن جمع بين رضى الله ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته^(٢).

والتعاون قوام الأسرة وقوام الأمة وهو أساس للعلاقة بينها، وتوثيق لعرى التعارف والتفاهم فيما بينها، وهو نتيجة وثمره لذلك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ المحرات: ١٣ ووثيقة المدينة وعقدها حين قدم الرسول ﷺ إليها الذي عقده مع اليهود والمشركين بجانب المؤمنين أساسها التعاون على البر وحماية الفضيلة ومنع الأذى^(٣).

بل عقوده ﷺ كلها كانت لإيجاد تعاون إنساني لإعلاء المعاني الإنسانية، وكان ينهض لنصرة الضعيف ويرغب فيه قبل البعثة وبعدها ويقف إلى جانبه أياً

(١) تفسير القرطبي: ٤٦/٦.

(٢) نفس المرجع: ٤٦/٦.

(٣) إذ فيه (من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم :-

أنهم أمة من دون الناس وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وفيها أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، أمواهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، ثم ذكرت الوثيقة تسعة بطون من اليهود فتقرر مثل ما لليهود بني عوف ، ثم ذكر في الوثيقة : وأن منهم النصح - هم والمسلمون - على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصر والنصيحة والبر دون الإثم ، إلى أن قال وأن الله على الصدق ما في هذه الصحيفة وأبر (انظر سيرة ابن هشام) ١٣٠/٢ - ١٣٤ ، وانظر الوثيقة في البداية والنهاية ٢٢٤/٣ .

كان مصدره، ولذلك قال: ((لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو ادعى إليه في الإسلام لأجبت))^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه))^(٢)، ولم يعين ذلك الأخ بل عمّه، فهم الإخوة الإنسانية ولا يقتصر على الإخوة البيئية أو القبلية أو الإقليمية^(٣)، وكون المسلمين خير أمة لما في قوله: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ آل عمران: ١١٠ فكما يفسرها عكرمة فيقول ((خير الناس للناس كان من قبلكم لا يأمن هذا في بلاد هذا، ولا هذا في بلد هذا فكلما - أينما - كنتم أامن قبلكم الأحمر والأسود فأنتم خير الناس للناس))^(٤)، وقال ابن كثير: المعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس^(٥).

سادساً: التسامح:

دعا الإسلام إلى التسامح غير الذليل، فهو يبيّن العلاقات الإنسانية سواء كانت بين الآحاد أم كانت بين الجماعات أو الدول على التسامح من غير استسلام للشر، أو تمكين للأشرار، أساس هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ فصلت: ٣٤ ، وقوله تعالى لنبيه:

(١) سيرة ابن هشام: ١٤٣/١.

(٢) صحيح مسلم: ٢٠٧٤/٤ رقم ٣٨ وسنن أبي داود ٥٨٤/٢.

(٣) انظر العلاقات الدولية: ٢٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٤٧٢/١ وقال المحقق: إسناده حسن.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤٧٩/١.

﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الحجر: ٨٥ ، وقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩ ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦ .

وقد طبق النبي ﷺ - مبدأ التسامح في علاقته مع المشركين وغيرهم في معاهداته وفي حروبه وفي تعاملاته معهم وهم في المجتمع الإسلامي، من إعطائهم الحقوق، وغض الطرف عن بعض أفعالهم التي لا تمس جوهر الدين وأصوله، وما صلح الحديبية والمعاهدات فيه^(١)، والموقف في فتح مكة من أهلها وهم لا يزالون مشركين ((لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم اذهبوا فأنتم الطلقاء))^(٢). إلا دليل واضح على هذه السماحة في العلاقة ومن تتبع سيرة الرسول ﷺ - يجدها كلها سماحة ويسر وعلاقة في غير تنازل عن المبادئ، وتمثل السياسة الإسلامية التي رسمتها النبوة في العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض خصوصاً بين المسلمين وغيرهم .

ومن أبرز هذه العلاقة القائمة على روح التسامح مع غير المسلمين التي تبدو في حسن المعاشرة، ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية في البر والرحمة والإحسان إنما تتجلى في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لقمان: ١٥. وفي حق غير الأبوين قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ

(١) انظر صحيح البخاري : ٦٧/٥ .

(٢) انظر السيرة النبوية للصلاي : ١١٨٢/٢ .

ءَامَنُوا يَعْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴿الْحَالِئَةُ: ١٤﴾ . وقال: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة: ١٣ . وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الَّذِينَ وَلَوْ تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة: ٨ ، وروى محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة: أن النبي ﷺ — بعث إلى أهل مكة مالا لما قحطوا ليوزع على فقرائهم))^(١).

سابعاً: الهداية والدلالة على الخير والنفع لهم:

ومن أسس العلاقة في الإسلام للأفراد والجماعات والدولة الهداية والدلالة على الخير، والنفع بالحرص على أن يخرج غير المسلمين من الظلمات إلى النور، وأن يستجيبوا لدين الحق ويتخلوا عن الباطل، وأن يسلكوا سبيل الخير ويتركوا سبيل الشر، وتحقق لهم المنفعة الكاملة، وأساس هذا قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران: ١١٠ ، ويتمثل ذلك في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه أمام رستم ((جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام))^(٢).

(١) شرح السير الكبير ١/١٤٤.

(٢) أنظر البداية والنهاية: مجلد ٤ جزء ٣٩/٧.

ثامناً: الحرية .

وتقوم العلاقة مع غير المسلمين والتعامل معهم فيما إذا كان لهم دولة على أساس الحرية التي فطر الله الناس عليها الحرية العقدية والفكرية المنضبطة بعدم جرح مشاعر الآخر واحترام إرادته، وحرية العبادة واحترام شعائرهم ومعابدهم، والحرية الشخصية فيما لم يكن فيه تعد على حرية الآخرين وجرح مشاعرهم أو خروج على نصوص الإسلام الصريحة العامة أو الخاصة بهم . فلكل ذي دين دينه ومذهبه، ولا يجبر على تركه إلى غيره، وأساس هذا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦ ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف: ٢٩ .

قال ابن كثير في تفسير الآية الأولى: أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاماً^(١).

وقد رد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري على من قال بنسخ الآية بما فيه كفاية^(٢)، وانطلاقاً من هذه الآيات الكريمة أرسى الخليفة عمر هذه القاعدة الشهيرة وهو ينتصر لزمي على مسلم ظلمه وانتقص حريته ((متى استعبدتم الناس

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٢٨٥/١ .

(٢) انظر تفسير ابن جرير الطبري : ١٢/٣ .

وقد ولدكم أمهاتهم أحراراً)) ^(١) على هذا الأساس تمت العلاقة بين المسلمين وغيرهم على كل ما فيه مصلحة ودرء ما فيه مفسدة من أمور الدين والدنيا إلا فيما استثنته النصوص الواضحة من الكتاب والسنة.

تاسعاً: الأخلاق:

إن من أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام التمسك بالأخلاق الحميدة والأقوال والأفعال الفاضلة، سواءً كانت بين الآحاد أم الجماعات، وسواءً كانت العلاقة في حالة الحرب أم في حالة السلم، وأياً كان نوع أو جنس الذين يتصلون بهم أو يختلفون معهم، ذلك لأن قانون الأخلاق قانون عام يشمل الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ويشمل الناس جميعاً في كل الأقطار والأمصار، وذلك لان الرسول ﷺ قال: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) ^(٢)، ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام في الحرب ((سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا أعداء الله، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تنفروا، ولا تقتلوا، ولا تقتلوا وليداً)) ^(٣).

(١) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة للغزالي: ١٩، والرواية على البلدان في عصر الخلفاء

الراشدين. د عبدالعزيز إبراهيم العمري: ٨١/١، وعمر بن الخطاب شخصيته وعصره للصلاحي: ٤٧٣.

(٢) سبق تخريجه رواد مالك في الموطأ: ٧٥٦/٢ رقم ٨.

(٣) رواد مسلم رقم ١٧٣١ في الجهاد، والترمذي رقم ١٦١٧ في السير، وابو داود رقم ٢٦١٣ في الجهاد.

وحذر من قتل الأسير ((لا يعترض أحدكم أسير صاحبه، فيأخذه فيقتله^(١)، بل أمر أن يكرموا ويطعموا ويشربوا))^(٢). هذا في الحرب، أما في السلم فقد قامت جميع تعاملات الرسول ﷺ - وخلفائه الراشدين على أساس الرحمة والفضيلة والتعامل الحسن .

عاشراً: العدالة:

صرح القرآن الكريم بان أساس الأحكام الإسلامية المتضمنة لعلاقات الناس جميعاً بعضهم مع بعض آحاداً وجماعات ودولاً هو العدل قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة: ٨ ، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ النساء: ١٣٥ ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ النحل: ٩٠ .

قال العلماء: هذه الآية أجمع آية لمعاني الإسلام وفي الحديث ((يا عبادي إني قد حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))^(٣). أي لا يظلم بعضهم بعضاً . ففي السلم يكون حسن الجوار قائماً على العدالة، وفي الحرب

(١) انظر كثر العمال: ٤/٤٣٤ رقم ١٢٨٤، فيه اسحاق بن ثعلبه منكر الحديث وفي مسند أحمد: ٣٣/٣٦٤

رقم ٢٠٢٠ بلفظ: ((لا يتعاطى أحدكم أسير أخيه فيقتله))، قال المعلق اسناده ضعيف.

(٢) قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَشْكِيكًا وَيَتِمَّوْنَ أَسِيرًا﴾ الإنسان: ٨.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٥٧٧

يكون الباعث على الحرب العدالة، وكل المبادئ الإنسانية من تسامح وحرية يكون في ظل العدالة.

المبحث الثالث

في أنواع العلاقة مع غير المسلمين

وحكم كل نوع

تتنوع العلاقة مع غير المسلمين بتنوع أهدافها ومقاصدها، وتنوع مقتضياتها ودواعيها، وهي كثيرة نحمل الكلام عليها في خمسة أنواع هي:

- ١- علاقات دعوية.
- ٢- علاقات اجتماعية.
- ٣- علاقات الكسب والعمل التجاري.
- ٤- علاقة الثقافة وتبادل المعارف والعلوم.
- ٥- علاقات سياسية.

ولأهمية هذه العلاقات وخطورتها وكثرة تنوعها جعلتها تحت مبحث مستقل، وأقتصر في هذا المبحث على الأنواع الأربعة، وأرجئ البحث عن العلاقات السياسية إلى بحث آخر إنشاء الله

أولاً : العلاقة الدعوية :

الأمة الإنسانية في المفهوم الإسلامي تنقسم إلى أمة إجابة وهي التي استجابت لدعوة الإسلام ودانت به، وأمة دعوة وهي التي لم تستجب لدعوة الإسلام ولم تؤمن برسوله، والمقرر في الإسلام أن على أمة الإجابة أن تدعو أمة الدعوة إلى

دينها والاستجابة له، فالعلاقة إذاً بين المسلم أحد أفراد أمة الإجابة وبين غير المسلم أحد أفراد أمة الدعوة علاقة دعوة وهداية ودلالة لإخراجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهذه العلاقة هي أوسع العلاقات على الإطلاق، بل وأصل لكل العلاقات التي تقع بين المسلم وغير المسلم وينبغي أن توظف كل علاقة في سبيلها قولاً أو فعلاً، أو سيرة حسنة، وتعاملاً حسناً في أي ميدان من الميادين أو مجال من المجالات، وأن تكون مقصودة لدى المسلم وهدفاً من أهدافه، والخيرية لهذه الأمة تكمن في تحقيق هذه العلاقة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران: ١١٠ .

فالدعوة يتطلب إيصالها إلى الناس المدعويين، الجهد والعمل في سبيل الذهاب إلى المدعويين وإبلاغهم بدعوة الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

القصص: ٥١ .

والعلاقة الدعوية علاقة عامة كما تقتضيها طبيعة الدعوة الإسلامية التي هي لكافة الناس ﴿قُلْ يَتَّيَبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الأعراف: ١٥٨ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨ ، وقال رسول الله ﷺ : ((وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس

عامة))^(١) فمقتضى هذه النصوص أن الإسلام دين الكافة والناس جميعاً مطالبون به.

والعلاقة الدعوية تكون فردية: من فرد لفرد، ومن فرد لجماعة، وجماعية: من جماعة لجماعة، وجماعة لأفراد، ودولية: من دولة لدولة، ومن جماعة لدولة، بل ومن فرد لدولة كل ذلك واضح من صريح القرآن والسنة وفعل الرسول ﷺ والصحابة الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان فلقد تواصل الرسول ﷺ دعوياً مع كل الناس وفئاتهم وأصنافهم وانفتح بدعوته على الجميع فجلس مع اليهود وجادلهم، وناقشهم وحاورهم وأقام الحجة عليهم وعاهدهم^(٢)، وكذلك فعل مع النصارى: ناقشهم واستضاف بعضهم وأمنهم على أنفسهم كما حدث مع ((عدي بن حاتم الطائي ودعاه إلى الإسلام^(٣) وكذلك ناقش ((نصارى نجران)) ودعاهم إلى الإسلام وعاهدهم وصالحهم^(٤)، وكذلك فعل مع جميع أصناف المشركين في الجزيرة، والقرآن الكريم مليء باستعراض تلك اللقاءات والحوارات والمناقشات والدعوة إلى الإسلام وإقامة الحجة به^(٥)، وكذلك سيرة

(١) صحيح البخاري: ٨٦/١.

(٢) أنظر الآيات في القرآن الكريم من سورة البقرة: ٩٤ - ٩٨ - ١٠٦، ١٢٤. وانظر زاد المعاد: ٦٥/٣.

(٣) زاد المعاد: ٥١٧/٣ - ٥١٩، وهو في سيرة ابن هشام: ٥٧٨/٢ - ٥٨١، ومسنند أحمد: ٣٧٨/٤، و٢٥٧/٤.

(٤) صحيح البخاري: ١٢٠/٥، وانظر زاد المعاد: ٦٢٩/٣ - ٦٣٨.

(٥) أنظر سورة الأنعام: ١٠٠ - ١٠٢، والأعراف: ١٩١ - ١٩٥، ويونس: ٢١ - ٢٥، والحج: ٧٣، والصفات: ١٤٩ - ١٥٩، والأحقاف: ٤، وغيرها.

الرسول ﷺ - وسننه، بل فتح قنوات الاتصال الدعوي مع كل ملوك الأرض في الجزيرة العربية وخارجها يدعو ويعظ، ويرسل الرسل ويستقبل رسلهم^(١).

ولذا يقول عبد الرحمن عبد الخالق: يجب على الدعاة إلى الله عز وجل أن يفتحوا على الجميع دعويًا ويحاوروا الناس كافة، وتكون قنوات اتصالهم مفتوحة مع كل الأطراف وكل الاتجاهات مع التزامهم بجانب الحق، ووقوفهم مع عقيدتهم ودفاعهم عن دينهم. وأن لا يرموا قرارًا، أو يعطوا عهدًا إلا إذا كان فيه مصلحة لعقيدتهم ودينهم وتمكين لهم^(٢).

والعلاقة الدعوية قائمة على كل أسلوب حسن وصلة جميلة فهي:

١- علاقة قائمة على كل قول حسن، وفعل حسن، ومعاملة حسنة، وقدوة حسنة تجسدها التفاهم على أساس العدل والإنصاف ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٦٤.

٢- المحاجة على أساس العلم لا الجهل ﴿هَٰذَا نَتَمُ هَٰؤُلَاءِ حَٰجِبَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ آل عمران: ٦٦، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ البقرة: ١٣٩.

(١) أنظر زاد المعاد: ٦٨٨/٣ - ٦٩٧.

(٢) المسلمون والعمل السياسي: ٥٤.

٣- الجدل بالتي هي أحسن إلا الظالم المعتدي قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٦ ، فقد رجح الطبري أنها غير منسوخة وأنها محكمة واختار في قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا) من امتنعوا عن أداء الجزية ونصبوا العداء دونها، وإن الظلم هنا ظلم الغير أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ ، لا ظلم أنفسهم بالكفر وتكذيبهم رسول الله محمد ﷺ فهو لاء لا تكون مجادلهم بالسيف^(١) وهو قول مجاهد رحمه الله .

٤ - الرحمة والرفقة بالمدعوين والعطف والحنان عليهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧ .

٥- حسن الخلق وجميل التعامل فمن وصايا النبي ﷺ - لمعاذ بن جبل وهو يودعه (حسن خلقك يا معاذ)^(٢) ، والرسول ﷺ - قال: ((بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))^(٣) .

٦- العطاء وحسن التأليف ليرغبوا في الإسلام ويألفوا المسلمين ، وهذا التأليف منه ما هو مادي وقد جعل له القرآن سهماً مقررّاً في الزكاة في قوله

(١) انظر تفسير الطبري: مجلد ٨ جزء ٢١ ص ٣

(٢) رواه مالك في الموطأ : ٥٦٣٠ ط كتاب الشعب

(٣) موطأ مالك : ٧٥٦/٢ رقم ٨

تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٦٠ .

قال ابن كثير: وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام : منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبي صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهداها مشركاً . ففي صحيح مسلم ومسند أحمد عن صفوان بن أمية قال : أعطاني رسول الله يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي^(١) ، ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مئة من الإبل مئة من الإبل وقال : ((إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبّه الله على وجهه في نار جهنم))^(٢)

ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد .^(٣)

ومنه ما هو تأليف معنوي: وهذا التأليف فقد كان يتم التكريم وإظهار المكانة، وإنزالهم منازلهم، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل مع كثير ممن كانوا يغدون إليه من غير المسلمين، من ذلك قوله في سهيل بن عمرو : فلا يشد

(١) صحيح مسلم ١٨٠٦/٤ ومسند أحمد

(٢) صحيح مسلم : ٧٧٥/٢ رقم ١٣١

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم : ٤٥١/٢ - ٤٥٢

النظر إليه، فليخرج، فلعمري أن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام))^(١) لقد كان لهذه الكلمات الأثر الكبير على سهيل حيث أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبر طول عمره، ثم دخل في الإسلام بعد ذلك. كما رحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعكرمة بن أبي جهل ووثب إليه وليس عليه رداء فرحاً بعكرمة لما قدم عليه.^(٢)

وفي رواية قال له ((مرحباً بالراكب المهاجر))^(٣) كما أكرم عدي بن حاتم حين وفد عليه فأخذ بيده وذهب به إلى داره وأجلسه على وسادة من آدم محشوة ليفاً - ولم يكن قد أسلم.^(٤)

هذه أهم أسس العلاقة الدعوية مع غير المسلمين، وفي كتب الدعوة الشيء الكثير.

ثانياً : العلاقة الاجتماعية :

تأتي هذه العلاقة في المرتبة الثانية في الاتساع بعد العلاقة الدعوية فقد استوعبت أكثر أدوار ومراحل تكوين المجتمع، وما يجب أن يكون عليه

(١) انظر مغازي الواقدي ٨٤٦/٢ - ٨٤٧

(٢) انظر مغازي الواقدي ٨٥١/٢ - ٨٥٣

(٣) مجمع الزوائد ٣٨٥/٩ ورجاله رجال الصحيح في إحدى سنده. وأما الإسناد الآخر من رواية الطبراني، ورجاله رجال الصحيح إلا مصعب بن سعد لم يسمع عن عكرمة.

(٤) رواد الترمذي: ١٩٤/١ من العارضة وضعفه، وانظر تاريخ بغداد: ١٨٩/١، وكثر العمال ١٩٤/٢ والإصابة: ٤٦٨/٢.

سواء، كانت : فردية، أو أسرية، أو عشائرية، أو علاقة جوار أو علاقة مجتمع ومواطنة .

فالعلاقة الاجتماعية للمسلم بغير المسلم أخذت جوانب واسعة ومتعددة أساسها البر والإحسان، والعدل، والاحترام، ورعاية الكرامة الإنسانية، ورعاية حقوقها، والأصل في مشروعية هذه العلاقة الاجتماعية القائمة على البر والإحسان والإقسط بين أفراد المسلمين وأفراد غير المسلمين.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الَّذِينَ وَلَّوْا بَيْتَكُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المتحنة: ٨ .

قال القرطبي: هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم، وذكر أن أكثر أهل التأويل يذهبون إلى أنها محكمة محتجين بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي ﷺ - هل تقبل أمها حين قدمت عليها مشركة؟ قال : نعم صلي أمك (وهو في الصحيحين^(١))، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِقُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ البقرة: ٢٧٢ .

(١) انظر تفسير القرطبي : ٥٩/١٨ صحيح البخاري رقم ٦٢٠ صحيح مسلم رقم ١٠٠٣ ومسند أحمد ك

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فقالوا، فرخص لهم فترلت هذه الآية .^(١)

وقد روى محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ومدون مذهبه : أن النبي ﷺ بعث إلى أهل مكة مالاً لما قحطوا ليوزع على فقرائهم .^(٢)

والعلاقة الاجتماعية تبدأ بالعلاقة الأسرية: الأبوية، والرحمية، والزوجية، وقد أولاهما الإسلام بتعاليمه غاية الاهتمام في مصادره سواء كانت في المسلمين أو مع غير المسلمين ومما جاء في حق غير المسلمين .

أ- في علاقة الابن بالأبوين وهي علاقة شكر وصحبة حسنة وطاعة في غير الشرك بالله (وصية الله في ذلك إلى جميع عباده) قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ ۝ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لقمان: ١٤ - ١٥

ب- في علاقة المسلم برحمه غيرا لمسلم وهي علاقة بر وإحسان وغير المسلم داخل في عموم هذه الآية (وبالوالدين إحسانا وبذي القربى)^(٣) سواء

(١) تفسير القرآن العظيم : ٤٠٠/١

(٢) شرح السير الكبير : ١٤٤/١

(٣) تفسير ابن كثير ٣٤٩/٤

كانوا رجالاً أو نساءً كما جاء في الحديث (الصدقة على المسلمين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة) قال القرطبي فالرحم على وجهين : عامة وخاصة، فالعامة رحم الدين وذكر حقوقها ثم قال والرحم الخاصة وهي رحم القرابة من طرفي رجل أبيه وأمه، فتجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة كالنفقة، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدكم في أوقات ضرورتهم، وتتأكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى إذا تزاخمت الحقوق يبدأ بالأقرب فالأقرب، ثم ذكر الخلاف في من يدخل في الإسلام من الرحم ثم قال: والصواب أن كل ما يشملهم ويعمه الرحم تجب صلته على كل حال قرابة دينية. (١)

ج- وفي العلاقة الزوجية حيث أباح الله للمسلم أن يتزوج بغير مسلمة من أهل الكتاب ويصايرهم في قوله تعالى: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَخْذِيٍّ أَخْدَانٍ ﴾ المائدة: ٥٠ . على أن تكون هذه العلاقة قائمة على الأساس الذي أقام الله عز وجل عليه الحياة الزوجية من السكن إلى بعض، ومن المودة والرحمة، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١ فهي ربة بيت، وشريكة حياة، وأم أولاد للزوج، وينتج

(١) تفسير القرطبي: ٢٤٨/١٦

عن هذا علاقة صهارة ورحم، حيث يكون أم وجدة وأخوال الأولاد وخالاتهم من غير المسلمين، وبالتالي فتكون الصلة الرحمية واجبة وفي حديث أسماء السابق ما يدل على ذلك .

٢- علاقة الجوار وهي علاقة قائمة على البر والإحسان والاحترام وعدم الإيذاء، ودخلت في عموم قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ النساء: ٣٦ ، في تفسير ابن كثير عن نوف البكالي الجار ذي القربى المسلم (والجار الجنب) اليهودي والنصراني^(١).

وروى جابر عن النبي ﷺ أنه قال: ((الجيران ثلاثة: فجار له ثلاثة حقوق، وجار له حقان، وجار له حق واحد، فأما الجار الذي له ثلاثة فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحق القرابة، وحق الإسلام، والجار الذي له حقان فهو الجار المسلم فله حق الإسلام وله حق الجوار و الجار الذي له حق واحد هو الكافر له حق الجوار))^(٢).

قال القرطبي: قال العلماء: الأحاديث في إكرام الجار جاءت مطلقة غير مقيدة حتى الكافر كما بينا^(٣) ثم ذكر أحاديث إكرام الجار الكافر، منها: أنه قال لعائشة

(١) تفسير القرآن العظيم : ٦٠٤/٥

(٢) تفسير القرطبي : ١٨٨/٥ وقد أورده ابن كثير في تفسيره بسند أبي بكر البزار وقال البزار: لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن بن الفضيل إلا ابن أبي فديك، وهو في مجمع الزوائد ١٦٤/٨ وقال في الترغيب والترهيب ٣٦١/٣ أخرجه الطبراني من حديث جابر رضي الله عنه .

(٣) تفسير القرطبي : ١٨٨/٥

رضي الله عنها عند تفريق لحم الأضحية (ابدئي بجارنا اليهودي)^(١) وروى أن شاة ذبحت في أهل عبد الله بن عمر فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ - ثلاث مرات - سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه))^(٢).

٣- علاقة عامة مع كل من يعيش في المجتمع ويستوطنه أو يقيم فيه إقامة مؤقتة لسبب ما، ليس فيه اعتداء وظلم وأذى للمسلمين، وقد اتضحت هذه العلاقة في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب يهوداً كانوا أو نصارى، بل وغيرهم من المشركين حيث كان يزورهم، ويكرمهم، ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم، ويعطيهم، فمما ورد في ذلك ما رواه أبو عبيد في الأموال عن سعيد بن المسيب: أن رسول الله ﷺ تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم^(٣)، وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عاد يهودياً، وعرض عليه الإسلام فأسلم، فخرج وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار^(٤). كما روى البخاري زيارة النبي ﷺ - لعمه أبي طالب في مرضه وجعل عنوان الباب "باب عيادة المشرك"^(٥).

(١) نفس المرجع: ١٨٨/٥

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٨٨/٥، والحديث ذكره في الترغيب والترهيب للمنذري ٣٦٢/٣ وقال رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن غريب .

(٣) الأموال : ٦١٣

(٤) صحيح البخاري ٧٦/٧ رقم ٥٦٥٧ وانظر فتح الباري : ١١٩/١٠ .

(٥) صحيح البخاري : ٦/٧

ومرت جنازة على النبي ﷺ - فقام ﷺ - لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أليست نفساً))^(١).

وفي غسل أموات غير المسلمين ودفنهم وإتباع جنازتهم جاء أن النبي ﷺ - عندما مات أبو طالب أمر علياً وهو ابنه أن يغسله ويكفنه ويواريه^(٢)، وذهبت الشافعية إلى وجوب تكفين من مات من أهل الكتاب ودفنه واحتساب ذلك من بيت مال المسلمين إن لم يكن له مال، لأننا مكلفون بإطعامه وكسوته في حياته إذا عجز عن ذلك^(٣).

وأجاز كثير من الفقهاء إتباع جناز غير المسلمين لأن ذلك من البر، وعن الحارث بن ربيعة أن أمه ماتت نصرانية فتبع جنازتها في نفر من الصحابة^(٤).

وفي زيارة قبور غير المسلمين ورد أن النبي ﷺ - قال: استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر بالموت^(٥).

وفي تعزية غير المسلم ومواساته وإدخال التسلية عليه فقد قال بمشروعيتها أكثر الفقهاء: الحنفية، والمالكية، وفي رواية للشافعية، ورواية عن الحنابلة، وهي

(١) الخراج لأبي يوسف: ٢٦ وصحيح البخاري: ٨٧/٢

(٢) رواه أبو داود: ١٩١/٢

(٣) المغني المحتاج ٣٤٨/١

(٤) بدائع الصنائع ٣٠٣/١

(٥) سنن أبي داود: ١٩٥/٢

من البر الذي أمر الله به، واشتروا للقول بمشروعيتها أن لا يكون فيها شيء محظور^(١).

وكانت معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين وحسن علاقتهم بهم لا تقل عما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ، فالخليفة عمر رضي الله عنه يأمر بصرف معاش دائم لليهودي وعياله من بيت مال المسلمين ثم يقول: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ النبوة: ٦٠ وهذا من مساكين أهل الكتاب^(٢).

ويمر في رحلته إلى الشام بقوم مجذومين من النصارى فيأمر بمساعدة اجتماعية لهم من بيت مال المسلمين^(٣). وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد: أنه سئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل المسكنة من المسلمين وأهل ذمتهم^(٤). وقال: وقد كان رسول الله ﷺ يقسم في أهل الذمة من الصدقة والخمس^(٥) وعن ابن الحنفية قال: كره للناس أن يتصدقوا على المشركين فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ البقرة: ٢٧٢ قال ((فتصدق للناس عليهم))^(٦).

(١) انظر المعني لأبن قدامة ٢/٢٤٠٥ وحاشية ابن عابدين: ٥/٢٤٨، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/٢٠٤

(٢) انظر غير المسلمين في المجتمع الإسلامي: ٥٠-٥٢، وانظر الخراج لأبي يوسف: ١٤٤.

(٣) ذكر البلاذري في تاريخه: ١٧٧، وانظر أحكام الدميني والمسأمنين في دار الإسلام: ١٠٤.

(٤) مصنف بن أبي شيبة: ٣/١٧٨

(٥) مصنف بن أبي شيبة: ٣/١٧٨

(٦) مصنف بن أبي شيبة: ٣/١٧٧

ومن تقارير الفقهاء في بيان البر الذي أمر الله به المسلمين في شأن غير المسلمين ما ذكره شهاب الدين القرافي في قوله: (الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم - على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار، مع القدرة على إزالته، لطفاً منا بهم لا خوفاً ولا طمعاً، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم، إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وإن يعانون على رفع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم^(١)).

ثالثاً: علاقة الثقافة وتبادل المعارف والعلوم :

الإسلام بدعوته العالمية منفتح على جميع الناس والأمم والشعوب والدول ﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سبأ: ٢٨.

وفي الوقت الذي يلزم الإسلام المسلمين بتبليغ دعوته وتعاليمه وتشريعاته إلى جميع البشر وكل المكلفين، ويدعوهم إلى الاقتناع بها والإيمان بها وتطبيقها لما تحققه لهم من سعادة في الدنيا والآخرة، فإنه في الوقت نفسه لا يتنكر إلى ما عند الآخرين (غير المسلمين) من الحق والخير إن وجد عندهم في ثقافتهم وعلومهم ومعارفهم، لأن ذلك لا يخرج عمّا جاء به من الهدى والحق والنور، لذلك وجد تعاون وقامت علاقات ثقافية ومعرفية وخبرات بين المسلمين وغير المسلمين في عصوره

(١) الفروق : ١٥/٣

المختلفة، وفق ضوابط وضعها الإسلام لهذا التعاون وتلك العلاقة وحدد معالمها، خاصة فيما يتعلق بالدين وتلقي علومه سنوضحها فيما سيأتي :

فهي علاقة قائمة أولاً: على العطاء والمبادرة إلى الغير، ودعوته لقبولها بتلطف وتودد ولين، والمتمثلة في تبليغ الإسلام ونشر علومه، وتعليمه لمن قبله وأقبل عليه ((بلغوا عني ولو آية))^(١)، ((نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع))^(٢)، وبذله كلما سنحت فرصة لذلك ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ التوبة: ٦ وأن يكون ذلك مقروناً بأسلوب الحكمة والبصيرة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والتعامل الحسن ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨ ، ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣ .

وقد أكد ذلك وأيده: قيامه — ﷺ — لذلك بنفسه، وإرساله المعلمين والدعاة، والمفقهين إلى قبائل العرب المشركين^(٣).

وإرساله للرسل مع الكتب والرسائل التي تشرح دعوة الإسلام إلى الملوك ورؤساء القبائل خارج جزيرة العرب من أهل الكتاب وغيرهم تحت شعار ﴿ قُلْ يَتَّخِذُ الْكُفَرُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ

(١) رواه البخاري في الأنبياء ٣٦١/١ والترمذي في العلم رقم ٢٦٧١.

(٢) رواه الترمذي في العلم رقم ٦٥٨ وقال حديث حسن صحيح .

(٣) انظر سيرة ابن هشام: ١٥٦، ٢١٢/٣.

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران: ٦٤^(١) .
وهي بهذه الدعوة تمثل قمة الدعوة إلى التعاون الثقافي والالتزام بالأمر المتفق عليه وهو الحق ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾
آل عمران: ٦٤ وسار على هذا النهج أصحابه الكرام وخلفاؤه الراشدون والتابعون لهم في كل العصور وسيستمر ذلك إلى ما يشاء الله، التزاماً بقول الرسول ﷺ —
(من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار))^(٢) ،

وثانياً: علاقة قائمة على الأخذ مما عند الغير من ثقافة ومعارف وخبرات مما هو نافع ومفيد، وتحقق به مصالح وتدفع به مفسدات، ومما ليس بضار ولا من الباطل الذي جاء الإسلام لإزهاقه، وهذا النوع من العلاقة الثقافية رفع لها رسول الله ﷺ — شعار "الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن أئني وجدتها أخذ بها" ^(٣)،
ورغب فيه الرسول ﷺ — بقوله: ((لن يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة))^(٤)، وترغيبه وتسويقه للرحلة إليه في قوله: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة))^(٥) .

(١) انظر طبقات بن سعد: ٢٥٨/١-٢٩٠.

(٢) سنن أبي داود: ٢٨٨/٢، ومسند أحمد ٣٢٥/١٣ رقم: ٧٩٤٣، كما يقول شعيب الأرناؤطي راجع تحقيقه للحديث: ١٣: ١٨، ٣٢٥.

(٣) رواه الترمذي في العلم رقم ٢٦٨٨ من حديث أبي هريرة وقال: حديث غريب .

(٤) رواه الترمذي في العلم رقم ٢٦٨٧ من حديث أبي سعيد الخدري وقال: حديث حسن غريب .

(٥) رواه أحمد في المسند ٣٢٥/٢ وأبو داود في العلم رقم ٣٦٤٣ والترمذي في العلم رقم ٢٦٤٨ وهو حديث حسن ورواه مسلم مطولاً من حديث أبي هريرة .

ولقد تعامل الرسول ﷺ مع ثقافة الغير وما عنده من معارف تعاملًا حياديًا فيما ليس فيه ضررٌ وأرسي قاعدة في ذلك فقال: ((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))^(١)، قال الحافظ: أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ - الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار^(٢)، ومن المعلوم أن النبي ﷺ - لا يجوز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل فيما لا تعلمون كذبه، أما فيما تجوزونه فلا حرج عليكم في الحديث عنه. إلا أن هذه الحيادية فيما يأتي منهم من علوم وأخبار فيما لا صلة لها بالعقائد والتشريعات، أما في العقيدة والتشريع، فهذا لا يقبل ففي حديث جابر - رضي الله عنه - أن عمر - رضي الله عنه - أتى النبي ﷺ - بكتاب أصابه من بعض الكتب فقال: يا رسول الله إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب فقال: فغضب وقال: ((أمتهم كون^(٣)) فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء، فيخبرونكم بحق فتكذبوا به، أو يبطل

(١) رواد البخاري ٣٦١/٦ في الأنبياء والترمذي رقم ٢٦٧١ في العلم . جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر :

٤١/٢

(٢) فتح الباري : ٤٩٨/٦

(٣) أمتهم كون: أي متحIRON.

فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى لو كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني^(١).

أما ما فيه منفعة ومصلحة وفائدة، فقد تعامل معه ﷺ _ تعاملًا إيجابيًا، نجد في السيرة النبوية أمثلة كثيرة لهذه العلاقة الثقافية تعلمًا وتعليمًا من ذلك استفادته من خبرة أسرى قريش في غزوة بدر لتعليم صغار الصحابة الكتابة مقابل تخليّة سبيلهم الواحد يعلم عشرة منهم^(٢).

وأرسل زيد بن ثابت ليتعلم لغة اليهود وكتابتهم، عن زيد بن ثابت رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ _ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتب للنبي ﷺ _ كتبه وقرأ له إذا كتبوا إليه^(٣). وتعلمها في سبع عشرة ليلة كما في سنن أبي داود والترمذي^(٤).

وفي المعارف والعلوم العسكرية كان أهل جرش من بلاد الأردن وهم نصارى

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ٤١/٢، وهو في مسند أحمد: ٣٤٩/٢٣ رقم ١٥١٥٦، قال المعلق: إسناده ضعيف لضعف مجالد.

(٢) انظر الروض الأنف للسهيلى: ٩٢.

(٣) رواد البخاري رقم ٧١٦٥ تعليقا.

(٤) في سنن أبي داود، وجامع الترمذي ١٨٢/١٠ من عارضة الاحوذى

من يجيدون صناعة العرادات^(١)، والمنحنيق^(٢)، والدبابات^(٣)، فأرسل الرسول ﷺ إليهم من يتعلم هذه الصنعة، منهم عروة بن مسعود، وغيلان بن سلمة، وحاصر بها أهل الطائف، وأول من رمى بالمنحنيق رسول الله ﷺ^(٤).
وكم استفاد رسول الله ﷺ من الثقافة العسكرية وعلومها التي كانت عند غير المسلمين في حروبه مثل حفر الخندق في غزوة الأحزاب، وقد أشار إليه بذلك سلمان الفارسي ﷺ وأخبر أنه من مكاييد الفرس^(٥).

وثالثاً: علاقة لتنقية الموروث الباقي والوافد الجديد: وذلك أن الرسول ﷺ كان تعامله مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب أنه يتركهم وثقافتهم ومعارفهم الخاصة بهم والمتعلقة بقيمهم وعاداتهم، وتقاليدهم، ومعتقداتهم، ولا يكرههم على اعتناق ثقافة أو معارف معينة، حتى وإن كانوا يقيمون في الدولة الإسلامية إقامة دائمة كالذميين، أو إقامة مؤقتة كالمستأمنين مثلاً بل جعل القواسم المشتركة بين المسلمين وغير المسلمين ميداناً للتعاون وتوثيق العلاقات، ما لم تكن تلك القضايا المتعاون فيها يستغلها غير المسلمين لهدم الإسلام أو الطعن

(١) العرادات هي: جمع عرادة، شبه المنحنيق صغيرة، لسان العرب: ٢٨٨/٣.

(٢) المنحنيق هو: آلة ترمي الحجارة، وتجمع على منحنيقات معربة. أنظر ترتيب القاموس المحيط: ٥٤٢/١.

(٣) الدبابات هي: جمع دبابة - مشددة - آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فيبقون وهم في جوفها. ترتيب القاموس: ١٤٤/٢.

(٤) انظر التراتيب الإدارية: ٣٧٤-٣٧٥.

(٥) انظر نفس المرجع: ٣٧٦/١.

فيه والاستهزاء بشعائره، أو النيل من رسوله، أو في أي شيء يعتقد المسلمون ويحترمونه فإنه في مثل هذه الحالة لا تقبل، ولا يقع التعاون، بل يتعامل معهم فيها بما يستحقون، ومن هذه القضايا على سبيل المثال:

المشاركة في صيام اليوم التاسع من المحرم الذي جاء الرسول إلى المدينة واليهود يصومونه فقال: أنا أحق بموسى منكم^(١).

وإقراره لما كان عليه أهل الجاهلية من الموروث من قيم ومكارم أخلاق من الجوار، ونصرة المظلوم والتحالف على ذلك، والضيافة، والمعاملات التجارية، بعد تهذيبها وتحسينها، وغير ذلك، واعتماد بعض الوسائل الثقافية كالشعر بعد تنقيحه مما فيه من جاهلية، وقال: ((اهجوا بالشعر إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما ينضحون بالنبل))^(٢)، والاستفادة من مراكز الثقافة في عهده كالأسواق، والأندية، والمواسم، إلى غير ذلك مما كان يعتبر عنواناً لثقافات غير المسلمين من مشركين وأهل كتاب وغيرهم.

ولكي يكون هذا الموروث الباقي نقياً وصالحاً للاستفادة فقد :

١- ربطها بالإسلام بالله ليكون خالصاً وأهلاً للقبول قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ الحج: ٣٧ وسئل رسول الله صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري: ٢٥١/١، وصحيح مسلم ٧٩٦/٢ رقم ١٢٨.

(٢) مسند أحمد: ٨٧/٢٥، رقم: ١٥٧٩٦، وإسناده حسن كما يقول شعيب الأرنؤطي.

وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً أي ذلك في سبيل الله فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ((متفق عليه ^(١))

٢- ربطها بالنص موافقة ، أو عدم معارضة له من النص لتكون صائبة وصحيحة قال تعالى: ﴿ وَمَاءِ أَنْتُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ الحشر: ٧ وفي الحديث ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) متفق عليه ^(٢)

٣- أزال ما فيها من شوائب وما فيها من نقص ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم ((لا يطوف بالبيت عريان)) ^(٣)

وأوجب الطهارة والستر ، وقد سلك في بعض هذا الموروث التدرج في منعه كما هو الحال في الخمر ، وسن التشريعات التي تؤدي في المآل إلى زواله كما في الرق ، أو تخفيف منابعه والقضاء عليه كما في الشرك حيث حارب كل قول أو فعل يؤدي إلى الشرك قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣ وقال:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ النساء: ٤٨

وانطلاقاً من هذه النصوص في العلاقة الثقافية والمعرفية مع غير المسلمين فقد تفاعل المسلمون وتعاملوا مع ثقافات الأمم بوعى، وحذر، في الوقت الذي حققوا الاستفادة منها وتجنبوا محاذيرها، لقد تطورت هذه العلاقة في عهد الراشدين،

(١) صحيح البخاري ٣/ ٣٠٦ صحيح مسلم ٣/ ١٥١٣ رقم ١٥٠

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٢٢١ وصحيح مسلم رقم ١٨/١٧١٨

(٣) صحيح مسلم رقم ٨٦٧

ونمت بجذر في عهد الأمويين، ونضجت وتعددت ميادينها في عهد العباسيين وبالأخص في العصور الأولى منها عصور القوة، ونافسها بقوة دولة الأمويين في بلاد الأندلس.

رابعاً: علاقة الكسب والتعامل التجاري والاقتصادي:

هذه العلاقة مع غير المسلمين هي أوسع العلاقات وأيسرها، حيث إن الإسلام ليس شرطاً في أي نوع من أنواع التعامل المالي أو الكسب والعمل، وإنما الشرط الأساس أن تكون وفق الشريعة الإسلامية سواءً كانت مع المسلمين أم مع غيرهم، وسواءً أكانت في بلاد المسلمين أم في غيرها، والحقوق المالية مصونة حتى مع الحربي المستأمن والمأذون له بالتعامل في بلاد المسلمين وأسواقهم. والأصل في جواز التعاملات التجارية الإباحة لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥ وكذلك أباح الإسلام كل صور التعامل المشروع مع غير المسلمين ما داموا لم يعادوا المسلمين، ولم يقفوا في طريق نشر الدعوة الإسلامية ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المتحنة: ٨ فالآية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين وإن كانت الموالة متقطعة^(١)

(١) انظر التفسير الكبير للرازي : ١٣٩/٨

ولأن الأصل في التعامل مع الناس :

١- التعاون على الخير والمنفعة، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢.

٢- المخالقة الحسنة التي أساسها الوفاء، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: ١.

وفي الحديث ((أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك))^(١) والصدق الذي لا كذب معه قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩ والعدل الذي لا ظلم معه قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة: ٨.

فالعدل قاعدة عامة للعلاقة في التشريع الإسلامي في شأن غير المسلمين إذا دخلوا في عهد الذمة وفي الأثر ((فأعلمهم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين))^(٢)

٣- وقائمة في كثير من التعاملات على المصانعة والمجاملة والمدارة التي لا تصل إلى المداينة وإقرار الباطل والمجارة لهم في ذلك وفي حديث عائشة رضي الله

(١) سنن أبي داود : ٣٢٦/٢، ومسند أحمد ٥٠/٢٤ رقم: ١٥٤٤٤، مرفوعة حسن لغير، وله شاهد من حديث أبي هريرة بإسناد حسن أيضاً رواه أبو داود: ٢٦٠/٢. انظر تحقيق مسن أحمد لشعيب الأرناؤطي: ١٥٠/٢٤.
(٢) بدائع الصنائع للكاساني: ١٠٠/٧ وذكر أنه حديثاً إلا أنه لم يرد في كتب الحديث المعروفة إلا أن معناه مقبول عند الفقهاء كما يقول زيدان : انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام : ٧٠.

عنها ((أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ((إذنوا له بئس أخو العشيرة ، أو بئس رجل العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله قلت له الذي قلت ثم ألتت له القول ، قال: يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء فحشه))^(١)

هذه التعاملات: التجارة التي تخدم الطرفين، لقد كان رسول الله ﷺ — وهو في مكة وكذلك في المدينة ومن آمن معه يتعاون ويشترى ويأخذون ويعطون في جميع أنواع المعاملات المالية والكسبية: من سلم، وقرض، ورهن، وإجارة، ومضاربة، وحوالة، ووكالة، وعارية، ووديعة، وكفالة، ومساقاة، ومزارعة، وشركة، وصلح، وغير ذلك مع المشركين وأهل الكتاب، وفي أسواقهم، ولم يعلم من رسول الله ﷺ — وأصحابه أي مقاطعة لمعاملاتهم إلا فيما كان محرماً، أوفيه ضرر على المسلمين، أوفي المعاملات التي فيها غرر من أنواع معاملات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، أو أدخل عليها تعديلاً وتحسيناً يزيل عنها الغرر والجهالة مع بقاء التعامل بها، والأمثلة على ما نقول لا تحصى نذكر منها نماذج على سبيل المثال لا الحصر نوضح بها المشروعية والجواز في عدد من المعاملات التي يقاس عليها غيرها.

(١) صحيح مسلم ٢/٢٠٠٢ رقم ٧٣

■ ترجم الإمام البخاري في صحيحه في كتاب البيوع فقال: باب الأسواق التي كانت في الجاهلية فتابع أناس بها في الإسلام. وذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما: كانت عكاظ ومجنة، وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام تأثموا في التجارة فيها، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ البقرة: ١٩٨ في مواسم الحج ﴿أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ البقرة: ١٩٨ عن ابن عباس كذا بزيادة (مواسم الحج) ^(١).

وذكر الحافظ ابن حجر هذه الأسواق و مواضعها في أرض الحجاز وذكر أسواقاً أخرى، ثم نقل عن الفاكهي قوله: لم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أن كان أول ما ترك منها سوق عكاظ، ثم ذكر أن سوق عكاظ كانوا يتوافدون بها من كل جهة فكانت أعظم تلك الأسواق، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه : انطلق النبي ﷺ — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ. ^(٢)

■ وفي المدينة كان السوق المشهور بها — قبل أن يؤسس رسول الله ﷺ سوقاً إسلامياً آخر، هو سوق بني قينقاع (يهود).

(١) صحيح البخاري : ٥٩٣/٣ ، رقم ١٧٧١ ، ٣٢١/١ رقم ٢٠٩٨ من فتح الباري .

(٢) انظر فتح الباري ٥٩٤/٣ .

■ وفي صحيح البخاري أن عبد الرحمن بن عوف سأل سعد بن الربيع : هل من سوق فيه تجارة ؟ قال : سوق بني قينقاع، قال : فغدا إليه عبد الرحمن فأتي بأقط وسمن، قال : ثم تابع الغدو (١).

وهذا السوق كان يأتيه رسول الله ﷺ - (٢) ويذكر الحافظ: أنه كان يتعاهده الفضلاء من الصحابة لتحصيل المعاش للكفاف والتعفف عن الناس (٣).

وفي صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ - ثم جاء رجل مشرك مشعاب طويل، بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ - : ((بيعاً أم عطية، فقال: لا، بيع، فاشترى منه شاة)) (٤) ، وقد ترجم البخاري فقال: باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب وذكر الحديث .

قال ابن بطال : معاملة الكفار جائزة إلا بيع فيه ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين (قال الحافظ : وفيه - يعني الحديث - جواز بيع الكافر وإثبات ملكه على ما في يده (٥)

(١) صحيح البخاري ٢٨٨/٤ ورقم ٢٠٤٨ .

(٢) انظر صحيح البخاري ٣٣٩ / ٤ رقم ٢٢٠٢١٠٢٠ من الفتح .

(٣) انظر فتح الباري: ٣٣٩/٤ .

(٤) صحيح البخاري ٤١٠/٤ رقم ٢٢١٦

(٥) صحيح البخاري ٤١٠/٤

■ وفي البيع ديناً عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله إن فلانا (اليهودي) زفي رواية أحمد حليق النصراني قدم من الشام لو بعثت إليه فأخذت منه ثوبين نسيئة إلى ميسرة، فبعثت إليه فامتنع^(١).

■ وفي البيع والرهن عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً إلى أجل ورهنه درعه^(٢) وترجمه بقوله: باب الرهن عند اليهود وغيرهم^(٣).

■ وفي الإجارة فقد استأجر النبي ﷺ - وأبو بكر رجلاً من بني الدليل ثم من بني عدي - هادياً خريئاً - وهو على دين كفار قريش - كما في صحيح البخاري^(٤) كما أنه يجوز للمسلم أن يؤجر نفسه لكافر ولو كان حربياً، لحديث خباب بن الأرت وكان رجلاً قيناً وعمل للعاص بن وائل في مكة - وهي إذ ذاك دار حرب واطلع النبي ﷺ - على ذلك فأقره.

(١) مسند أحمد: ٧٠/٤٢ رقم ٢٥١٤١، والترمذي رقم ١٢١٣، والنسائي ٢٩٤/٧، والمستدرک ٢٣/٢-٢٤، وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) صحيح البخاري : ١٤٣/٥ رقم ٢٥٠٩ من الفتح .

(٣) صحيح البخاري : ١٤٢/٥ . ١٤٣ .

(٤) صحيح البخاري ٤٤٢/٤ رقم ٢٢٦٣ في الفتح .

قال ابن كثير: استقرت المذاهب على أن الصناع في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة، ولا يعد ذلك من الذلة، بخلاف أن يخدمه في منزله بطريق التبعية^(١)

■ وفي الوكالة : قال البخاري (باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب - أوفي دار الإسلام - جائز وذكر تحت هذه الترجمة حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه في مكاتبة لأمية بن خلف، بأن يحفظه في صاغيته بمكة، ويحفظه هو في صاغيته بالمدينة^(٢)، ووجه أخذ الترجمة من الحديث أن عبد الرحمن بن عوف وهو مسلم في دار الإسلام فوض إلى أمية بن خلف - وهو كافر - في دار الحرب ما يتعلق بأموره: والظاهر اطلاع النبي ﷺ عليه ولم ينكره، كما يقول ابن حجر، ثم حكى ابن المنذر القول : بتوكيل المسلم حربياً مستأئناً وتوكيل الحربي المستأمن مسلماً لا خلاف في جوازه^(٣)

■ وفي المزارعة والمساقاة عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ - عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع^(٤) . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ - (أعطى خيبر اليهود

(١) فتح الباري ٤/٥٢

(٢) صحيح البخاري: ٦٠/٣.

(٣) انظر فتح الباري : ٤/٤٨٠ وانظر أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي : ٣/٣٨٤

(٤) رواد مسلم: ٣/١١٨٦ رقم ١.

على أن يعملوها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها ^(١). قال الحافظ : وزاد بهذه الإشارة إلى أنه لا فرق في جواز هذه المعاملة بين المسلمين وأهل الذمة ، وقد استدل البخاري بهذا الحديث على مشروعية الشركة فقال : باب مشاركة الذمي والمشركون في المزارعة، وذكر الحافظ أن هذا رأي الجمهور ثم قال : وإذا جاز في المزارعة جاز في غيرها ^(٢).

وبهذه النماذج من الأدلة لمختلف المعاملات المالية والعملية يتجلى بوضوح مشروعية التعامل التجاري والاقتصادي مع غير المسلمين وكذلك سائر أنواع المعاملات الكسبية والعملية في ضوء ما أباحتها الشريعة الإسلامية، وتمنع في المحرمات والربا وغير ذلك ^(٣). وفي السلاح وفي كل ما يتقوى به العدو على المسلمين؛ يقول عطية محمد سالم: إن المسلمين اليوم مشتركة مصالحهم بعضهم ببعض ومرتبطة بمجموع دول العالم من مشركين وأهل كتاب، ولا يمكن للأمة اليوم أن تعيش منعزلة عن المجموعة الدولية لتداخل المصالح وتشابكها، ولا سيما في المجال الاقتصادي عصب الحياة اليوم من إنتاج أو تصنيع أو تسويق ^(٤).

(١) صحيح البخاري : ١٥/٥ رقم ٢٣٣١ من الفتح .

(٢) انظر فتح الباري : ١٣٥/٥

(٣) انظر الدبلوماسية الإسلامية ٤٢٨-٤٣٥

(٤) أضواء البيان : ٣٢٦/٥

والعلاقة التجارية: جوزها الفقهاء حتى مع الحربي واعتبروها في حالة التعامل محترمة ومصانة ولا يجوز الاعتداء عليها وأخذها والاستيلاء عليها بأي وجه من الوجوه.

يقول ابن قدامة: (أن من دخل من أهل الحرب إلى دار الإسلام بأمان، فأودع ماله مسلماً أو ذمياً، أو أقرضهما إياه ثم عاد إلى دار الحرب لحاجة يقضيها، أو رسولاً، ثم يعود إلى دار الإسلام، فهو على أمانة في نفسه وماله، لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة بدار الإسلام، فأشبهه الذمي إذا دخل لذلك، وإن دخل مستوطناً أو محارباً، بطل الأمان في نفسه، وبقي في ماله، لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان، ثبت الأمان لماله الذي معه تبعاً له، فإذا بطل في نفسه بدخوله دار الحرب، بقي في ماله، لاختصاص المبطل في نفسه، فيختص البطلان به.... ويقتضي ثبوت الأمان له وإن لم يثبت في نفسه، بدليل ما لو لقيه مع مضارب له أو وكيل فإنه يثبت له الأمان وإن لم يثبت في نفسه:

ثم قال : وإن أخذ المسلم من الحربي في دار الحرب مالاً مضاربة أو ودیعة، ودخل به دار الإسلام فهو في أمان، حكمه حكم ما ذكرنا، وإن أخذه ببيع في الذمة أو قرض، فالثمن في ذمته، عليه أدأؤه إليه وأن اقترض حربي من حربي مالاً، ثم دخل إلينا فأسلم، فعليه رد البديل، لأنه أخذه على سبيل المعارضة، فأشبه ما لو تزوج حربية، ثم أسلم، لزمه مهرها^(١).

(١) الشرح الكبير: ٣٦١/١٠-٣٦٤ وانظر البيان بشرح المهذب للعمري ٣٢٨/١٢-٣٣١ وفيه مزيد تفصيل .

وبهذا يتضح كيف أرسى الإسلام قواعد التعامل والكسب بين المسلمين وغير المسلمين وحفظ وصان كل الحقوق المترتبة عليها بإعطاء كل ذي حق حقه والله الحمد. وفي بحث مستقل عن العلاقة السياسية نتناول فيه هذه العلاقة وأقسامها وأنواعها وحكم كل نوع أسأل الله أن يعين على إنجازهِ قريباً والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

الخلاصة ونتائج البحث

وبعد هذه التطوافة العلمية، واستجلاء الأدلة والممارسة العملية للعلاقة مع غير المسلمين في عصر النبوة والراشدين، وبعض فترات التاريخ الإسلامي، والاستهداء والاسترشاد بآراء الفقهاء والمفكرين الإسلاميين وبالأخص الذين تناولوا السياسة الشرعية في أبحاثهم، وأعطوها من الاهتمام ما تستحق تخرج بالنتائج الآتية.

— أن العلاقة هي: أساليب التعامل بين الناس وتفاعلهم في المجتمع الذي يعيشون فيه في شتى جوانب الحياة.

— أن العلاقة مع غير المسلمين بالمفهوم القديم عبر عنها الفقهاء بالسيرة وهي تعني عندهم مجموعة القواعد التي يتعين على المسلمين التمسك بها في معاملة غير المسلمين في حالتي السلم والحرب سواء كانوا أشخاصاً أم كانوا دولاً في دار الإسلام أو في غيرها.

— أن الولاء الوارد في النصوص يفهم في ضوء العلاقة مع غير المسلمين على أنه ما كان متعلقاً بالديانة والمعتقد والأفكار لا ما يتعلق بوصف القرابة، والجوار، والزمالة، والمواطنة، وغيرها. وكذلك المودة المنهي عنها فهي ما تعلقت بالمحاربة لله ورسوله، والكفر، وإفشاء الأسرار لا ما تعلق بالبر والصلة والإقساط.

— الأصل في العلاقة مع غير المسلمين آية الممتحنة ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ الخ المتحنة: ٨ وهي عند جمهور المفسرين محكمة وليست منسوخة، وعدم النسخ مؤيد بجملة من النصوص القرآنية والنبوية والممارسة العملية في عهد النبوة والراشدين، وهي عامة في حكمها لجمع أصناف الملل والأديان، كما دلت عليها آيات وأحاديث أخرى دونت في الدراسة.

— الأصل في العلاقة مع غير المسلمين السلم لا الحرب، وهو رأي أكثر العلماء القدماء والمعاصرين، ويدل على ذلك نصوص كثيرة في القرآن والسنة وهي ليست متعارضة مع آية السيف، والجمع بينهما ممكن، وإعمال الأدلة خير من إهمالها، وادعاء نسخ آية السيف لجميع آيات السلم في حق غير المسلمين لم يكن محل إقرار عند كثير من المفسرين والفقهاء القدماء والمعاصرين.

— أسس العلاقة مع غير المسلمين هي: الكرامة الإنسانية، والوحدة الإنسانية، والتعاون الإنساني، والتسامح، والهداية والدلالة على الخير، وتحقيق النفع، والحرية، والإخلاص، والعدالة وكل هذه الأسس دالة عليها نصوص وممارسات في عهد النبوة والراشدين.

— العلاقة مع غير المسلمين أنواع، وكل نوع له واقعه وحكمه:

أ- العلاقة الدعوية: وهي علاقة هداية ودلالة لإخراج غير المسلمين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وهي علاقة عامة لكافة الناس ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ساء: ٢٨ أساسها قول حسن، وفعل حسن، ومعاملة حسنة، وجدال بالتي هي أحسن.

ب- العلاقة الاجتماعية: وقد أخذت جوانب واسعة ومتعددة مع غير المسلمين أساسها البر والإحسان والعدل والرحمة ورعاية الكرامة الإنسانية وحقوقها.

ج- علاقة الثقافة وتبادل العلوم والمعارف وتمثل في:

١. تبليغ الدعوة ونشرها في أوساط المسلمين ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ التوبة: ٦ (بلغو عني ولو آية)^(١) وشعارها ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران:

٢. تبادل المعارف والعلوم النافعة والمفيدة (الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها أخذ بها)^(٢) و(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)^(٣) وهذا

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

فيما ليس له صلة بالعقيدة والشرعية وإنما فيما فيه مصلحة أو درأً لمفسدة.

٣. تنقية الموروث الباقي، والوفاد الجديد وعلى أساس: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة: ٢٥٦ فيتركون وثقافتهم ومعارفهم الخاصة بهم والمتعلقة بقيمهم وعاداتهم ومعتقداتهم ولا يكرهون على ثقافة معينة، ومن حقنا أن نبين ما فيها من باطل وما يشتمل عليها من مفساد وأضرار كما أنه لا يتعاون معهم ولا يقرون.

د- علاقة الكسب والتعامل التجاري والاقتصادي هي علاقة واسعة لأن الإسلام ليس شرطاً في أي نوع من أنواع التعامل المالي والمهني وإنما يشترط أن لا تكون مخالفة لتشريعات الإسلام، وحقوق هذه المعاملة مصانة ومحترمة حتى مع الحربي المأذون له بالتعامل في بلاد المسلمين وحقوقهم.

وهي مشروعة في جميع أبواب المعاملات التجارية والمهنية عدى ما فيه مذلة للمسلم، أو فيما يتقوى به العدو على المسلمين.

هذا آخر ما جرى به القلم وانتهى إليه القول في علاقة المسلمين بغيرهم فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي وأرجو من الله العفو والغفران ومن اطاع عليه حسن الظن والتسديد ولا حول ولا قوة إلا بالله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد رسول الله وآله وصحبه وسلم.

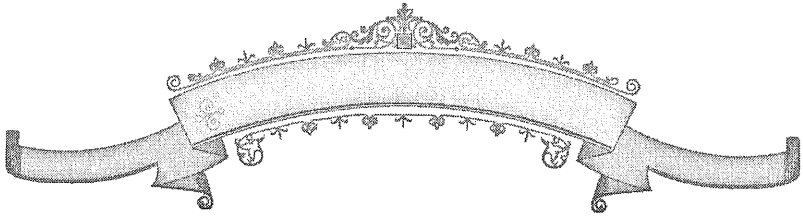
المصادر والمراجع

١. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. د. عبدالكريم زيدان. مكتبة القدس. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢. أحكام القرآن. محمد بن إدريس الشافعي. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان ١٣٩٥هـ - ١٩٨٥م.
٣. أحكام أهل الذمة : لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية. دار العلم للملايين. بيروت وساط ١٩٨٣.٣م
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطي. دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.
٥. الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية النظرية والتطبيق. الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٦. الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام. مؤسسة ناصر الثقافية. بيروت - لبنان. ط ١٩٨١.
٧. بدائع الصنائع في ترتيب الشرايع. لأبي بكر مسعود الكاساني. دار الكتاب العربي. بيروت لبنان. ط ٢.
٨. البداية والنهاية. للحافظ ابن كثير. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
٩. البيان في مذهب الإمام الشافعي شرح كتاب المهذب لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني. دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان- بيروت. ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠. التراتيب الإدارية للشيخ عبد الحي الكتاني. دار الكتاب العربي بيروت لبنان
١١. الترغيب والترهيب في الحديث الشريف للحافظ عبد العظيم المنذري. دار الحديث القاهرة. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
١٢. تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم العليم. عبد الحميد بن باديس. دار الفكر ط. الثانية.
١٣. تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. دار الفكر بيروت. ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م
١٤. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير. دار الفكر. بيروت

١٥. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الكاتب العربي للطباعة والنشر. ١٣٧٨هـ — ١٩٦٧م
١٦. التفسير الكبير. الفخر الرازي. دار الكتب العلمية طهران. الطبعة الثانية.
١٧. جامع الترمذي. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. مع شرح عارضة الأخوذي. دار الكتاب العربي بيروت.
١٨. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي. دار الكتب العلمية.
١٩. جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله. لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان
٢٠. حاشية بن عابدين (رد المختار). محمد أمين الشهير بابن عابدين. مطبعة البابي الحلبي. بمصر.
٢١. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة للشيخ محمد الغزالي.
٢٢. الخراج. لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحنفي. المطبعة السلفية: ١٣٥٢هـ
٢٣. الدبلوماسية الإسلامية. عبدالرحمن محمد عبدالرحمن. دار اليقين للنشر والتوزيع. مصر المنصورة
٢٤. رسالة مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي من مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا. دار الكلمة للنشر والتوزيع. مصر — المنصورة ط ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م
٢٥. رعاية الإسلام للقيم والمعايير الإنسانية للدولة الإسلامية. بحث معد للمؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. ١٣٩١هـ — ١٩٧١م.
٢٦. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي. دار الفكر. بيروت — لبنان ١٤٠٩هـ — ١٩٨٩م
٢٧. زاد المسير في علم التفسير. لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي. المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. دمشق ط ١. ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م
٢٨. زاد المعاد في هدي خير العباد. لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة ط ٢. ١٤١٥هـ — ١٩٩٤م
٢٩. سنن أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. مطبعة أبو مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. ط ١. ١٣٧١هـ — ١٩٥٢
٣٠. سنن الدرامي للإمام أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدرامي. دار إحياء السنة النبوية.
٣١. السنن الكبرى. للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي. دار الفكر بيروت.
٣٢. سنن النسائي شرح الحافظ الجلال السيوطي للإمام النسائي. الطبعة العربية. الأزهر.

٣٣. سيرة ابن هشام . لأبي محمد عبد الملك بن هشام . مكتبة الجمهورية لصاحبها عبدالفتاح مراد . بمصر .
٣٤. السيرة النبوية . للدكتور . علي بن محمد الصلابي . مكتبة التابعين . القاهرة . ط ١ . ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م
٣٥. شرح السير الكبير . شمس الأئمة السرخسي الحنفي . دار المعارف النظامية حيدر آباد . ط ١ . ١٣٣٥هـ —
٣٦. العلاقات الدولية في الإسلام . محمد أبو زهره . دار الفكر العربي .
٣٧. العلاقات الدولية في الإسلام على ضوء الإعجاز البياني في سورة التوبة . د . كامل سلامه . دار الشروق . ط ١ . ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م
٣٨. عمر بن الخطاب شخصيته وعصره . د . علي محمد الصلابي . دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع . الاسكندرية .
٣٩. عناصر القوة في الإسلام . سيد سابق . دار الكتاب العربي . بيروت ط ٢ . ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .
٤٠. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . د . يوسف القرضاوي . دار غريب للطباعة القاهرة . ط ١ . ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م
٤١. فتح الباري شرح صحيح البخاري . للحافظ أحمد بن علي بن حجر . المكتبة السلفية .
٤٢. فتوح البلدان لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري . مؤسسة المعارف . بيروت — لبنان ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .
٤٣. الفروق . لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي . عالم الكتب بيروت
٤٤. الفقه الإسلامي وأدلته . د . وهبه الزحيلي . دار الفكر المعاصر ط ١ . ١٤٢٥هـ — ٢٠٠٥م .
٤٥. فقه السنة . سيد سابق . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . لبنان — بيروت . ط ٣ . ١٤٠١هـ — ١٩٨١م .
٤٦. في ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق . القاهرة ط ٩ . ١٤٠٠هـ — ١٩٨١م
٤٧. كثر العمال للعلامة علاء الدين الهندي . مؤسسة الرسالة . نشر وتوزيع مكتبة التراث الإسلامي . حلب — سورية . ط ١ . ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م
٤٨. لسان العرب . جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي . دار صادر بيروت .
٤٩. المبسوط لمحمد بن أحمد شمس الأئمة السرخسي . مطبعة السعادة . الطبعة الأولى
٥٠. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . محمد حميد الله بيروت . ١٩١٩م
٥١. المسلمون والعمل السياسي عبدالرحمن عبدالخالق . التصوير الحديث . تعز — اليمن ط ٢ . ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م .

٥٢. مسند أحمد بن حنبل . مؤسسة الرسالة . بيروت ؟ ط ١٤١٣ هـ — ١٩٩٢ م
٥٣. مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار. للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة . تحقيق الأستاذ عبد الخالق الأفغاني.
٥٤. المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية . أمواج للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م
٥٥. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. لمحمد بن محمد الخطيب الشربيني. المكتبة التوفيقية
٥٦. المغني، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة . مكتبة الجمهورية العربية بمصر
٥٧. مفردات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني. تحقيق نديم مرغلي. دار الكتاب العربي.
٥٨. موطأ الإمام مالك بن أنس . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م
٥٩. النكت والعيون تفسير الماوردي. أبي الحسن علي بن محمد . مؤسسة الكتاب الثقافية . بيروت



مقاصد القرآن في السبع المثاني

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

في علوم القرآن الكريم

إعداد

الجنيد الطيب أمين

كلية التربية

صعدة

مقاصد القرآن في السبع المثاني

إن الفاتحة هي أم القرآن وسيتم مناقشة لماذا وضعت في أو المصحف ؟
والوقوف على حقيقة الوحدة الموضوعية في القرآن وتناولها من جميع جوانبها .
ورد الشبهات المثارة حول القرآن بشكل عام والوحدة الموضوعية بشكل خاص .
ولقد كان اختيار الباحث موضوع البحث تحت عنوان: (التكرار الموضوعي
في القرآن الكريم) راجعاً إلى أسباب منها :

- ١ - خدمة لكتاب الله والتماساً للخيرية .
 - ٢ - اتضح للباحث أن سورة الفاتحة هي بمثابة المقدمة للقرآن مما زاده رغبة في الوقوف على حقيقتها .
 - ٣ - المساهمة في الدراسات القرآنية وربط ذلك بالواقع .
 - ٤ - إن هذا العصر هو عصر التخصص في الدراسات فمن باب أولى أن تقدم في قالب موضوعي معين .
 - ٥ - الدراسات السابقة والتي لم يعثر الباحث على دراسة علمية منهجية موضوعية مستقلة لمقاصد القرآن بشكل عام ولا لسورة الفاتحة بشكل خاص .
- منهج البحث :
- اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي والاستقرائي والوصفي .
- خطة البحث :
- وتتكون من : مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

الباب الأول

تعريف مقاصد القرآن وفيه فصلان .

الفصل الأول : تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً وفيه مبحثان :

المبحث الأول : تعريف المقاصد لغة واصطلاحاً وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

تعريف المقاصد لغة : استقامة الطريق من قصد يقصد قصداً وقوله تعالى :
(وعلى الله قصد السبيل) .

واتضح للباحث أن كلمة (مقصد) تطلق على معان كثيرة منها .
الاستقامة والتوجيه ، الأم والاعتماد وإتيان الشيء ، والاعتدال والتوسط ،
والعدل والإنصاف ، والكسر والطعن .

المطلب الثاني :

تعريف المقاصد اصطلاحاً :-

وقد عبر عن المقاصد بأنها الحكم - الحكم المقصودة بالشريعة - كما عُبر
بمطلبه المصلحة وبنفس الضرر ورفع وقطعه وعبر عنها بالكليات الشرعية الخمس
الشهيرة (حفظ الدين - والنفس والعقل والسن والمال وزاد بعضهم والعرض) .

المطلب الثالث

ذكر فيه الباحث تعريف الشريعة الإسلامية لغة واصطلاحاً :

١- تعريف الشريعة في اللغة : هي الدين والملة والمنهاج والطريقة والسنة .

- ٢- تعريف الشريعة في الاصطلاح : هي طاعة الله ورسوله وأولي الأمر منا .
- ٣- أيضاً ذكر الباحث العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي وأن الجامع بينهما هو حصول المنفعة المادية والروحية .
- ٤- ولقد عرف الباحث الإسلام لغة واصطلاحاً والإسلام لغة : الانقياد من استسلام .
- ٥- وفي الاصطلاح : هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك .

المبحث الثاني :

المطلب الأول

ذكر فيه الباحث تعريف القرآن الكريم كالتالي : كلمة (قرآن) تأتي على وزن (فعلان) وهو لفظ مشتق من قرأ بمعنى الجمع والضم.

المطلب الثاني

تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً

خلص الباحث إلى أن التعريف الجامع للقرآن بأنه (كلام الله تعالى المنزل على محمد) المتعبد بتلاوته والمنقول إلينا بالتواتر والمكتوب في المصاحف والمبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس) .

ولقد تم تخريج قيود التعريف : فالكلام في التعريف يشمل كل كلام وإضافته إلى الله يخرج به كلام غير الله من الإنس والجن والملائكة (والمنزل) يخرج به كلام الله غير المنزل .

- المقيد بتلاوته ، المنقول إلينا بالتواتر ، المكتوب في المصاحف ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

المطلب الثالث :

تعريف مقاصد القرآن الكريم كمصطلح إضافي مركب :

هو (هداية الخالق للمخلوق المكلف - بواسطة - للتعبد والإعجاز واستقامة الحياة) وهدايته للإنسان على أربعة أوجه :

أولاً : الهداية التي عم بجنسها كل مكلف ومنها العقل والفطنة والمعارف .

الثاني : الهداية التي جعلت للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء .

الثالث : التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله تعالى : (والذين

اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) .

الرابع : الهداية في الآخرة للجنة بمعنى قوله (سيهديهم ويصلح بالهم) .

- الخالق : هو الله سبحانه وتعالى في قوله (والذي هو يطعمني ويسقين وإذا

مرضت فهو يشفين) .

- المخلوق المكلف : هو الإنسان أو موضوع القرآن كله هو الإنسان .

- بواسطة : المقصود بالواسطة هم (رسل الله) .

- عبادة : وهي الغاية التي خلق من أجلها الإنسان .

- الإعجاز : الإعجاز البياني والإعجاز التشريعي والإعجاز الغيبي والعلمي .

- استقامة الحياة : فإذا استقامت الحياة الدنيا فيها تستقيم الحياة الأخرى .

المطلب الرابع :

العلامة بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة .

من المعلوم أن القرآن الكريم هو أساس الشريعة وأصلها وأن من أراد الحديث عن المقاصد في الشريعة فلا بد له من أن يبحث أولاً عن المقاصد التي يشتمل عليها الأصل وتضمنتها لنوعيتها ألا وهو كتاب الله فيجوز للباحث في مقاصد الشريعة أن يمعن النظر إلى مصدرها الأساس " القرآن الكريم " إذا هو أصل الأصول وقاعدة التشريع فإذا تقرر هذا فإن الارتباط وثيق والعلاقة قوية بين القرآن الكريم ومقاصد الشريعة ، حيث إن ارتباط مقاصد القرآن هو ارتباط الفرع بأصله .

الفصل الثاني : وفيه مبحثان

المبحث الأول

أدله مقاصد القرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول

أهمية معرفة المقاصد

بين الباحث أهمية معرفة المقاصد في فهم القرآن تتضح من وجهين .

- الوجه الأول : أن القرآن الكريم اشتمل على آيات متشابهات وآيات محكمات .

- الوجه الثاني : أن في بعض آيات القرآن الكريم مقاصد شرعية كثيرة وبعضها مرتب على بعض وبعضها مقيدة في السنة وهذا يحتاج إلى أمور وهي على النحو التالي :

- ١- جمع مقاصد الحكم الواحد في القرآن الكريم .
- ٢- المعرفة بدرجات ورتب المقاصد .
- ٣- ضم مقاصد السنة إلى مقاصد القرآن .

المطلب الثاني

الأدلة التي تثبت أن للقرآن والشرعية مقاصداً

أولاً : ما جاء في كتاب الله مثل قوله تعالى : (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) .

ثانياً : ما جاء في السنة النبوية قوله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قوله لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان) .

المطلب الثالث

طرق إثبات المقاصد

ولقد ذكر الباحث لها ثلاثة طرق :

الطريق الأول : النص الصريح المعلن .

الطريق الثاني : استقراء تصرفات الشارع .

والاستقراء في اللغة التتبع، وفي الاصطلاح : تتبع الجزئيات لإثبات حكم كلي.

الطريق الثالث : الاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم في فهم الأحكام من الكتاب والسنة وتطبيقها على الواقع .

المبحث الثاني

مقاصد القرآن وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول

تعدد أسماء ويذكر منها الباحث ما يلي :

سماء الله تعالى (القرآن - الكتاب - الفرقان - الذكر - التزليل - مبيناً - كلاماً - فوزاً - هدى ورحمة - شفاء وموعظة - ذكراً مباركاً - علياً - حكمة - حكيماً - مصداقاً ومهيماً - حبلاً - صراطاً مستقيماً - قيماً - قولاً وفصلاً - نبأً عظيماً - أحسن الحديث - متشابهاً ومثالي - روحاً - وحيماً - عربياً - بصائر - بياناً - علماً - الحق - هادياً - عجباً - تذكرة - العروة الوثقى - صدقاً - عدلاً - منادياً - أمراً - بشري - مجيداً - زبوراً - بشيراً ونذيراً - عزيزاً - بلاغاً - قصصاً) .

وسماه بأربعة أسماء في آيتين فقال (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة) .

المطلب الثاني

مقاصد القرآن في القرآن

وهي الربط بين السورة السابقة والسورة اللاحقة لها وهو ما يسمى بعلم المناسبة . قال الحسن البصري : إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علوم القرآن في الفصل - ثم أودع الفصل في الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المتزلة ..

المطلب الثالث

اجتهاد علماء المسلمين في الوقوف على مقاصد القرآن :

أولاً مقاصد القرآن : إجمالاً وفيه يقرر أبو حامد الغزالي مقاصد القرآن بقوله :
(إن سر القرآن ولبابه الأصفى ومقصده الأقصى دعوة العباد إلى الجبار الأعلى
رب الآخرة والأولى خالق السماوات العلا والأرضين السفلى وما بينهما وما
تحت الثرى) ، وتحدث فيه أيضاً الإمام فخر الدين وكذلك الإمام محمد عبده .
وكذلك ما أورده الشيخ الطاهر بن عاشور صاحب نظرية المقاصد العامة
ويختتم الباحث ذلك بواحد من أشهر علماء القرن العشرين الميلادي في مجال
الدراسات القرآنية ألا وهو الشيخ / محمد الغزالي وأوجز المحاور بذكرها دون
الدخول في تفاصيلها وهي :-

١- الله الواحد ، وهذا المحور من المحاور التي دارت عليها سور القرآن .

٢- الكون الدال على خالقه .

٣- القصص القرآني .

٤- البعث والجزاء .

٥- ميدان الشريعة والتشريع .

ثانياً مقاصد القرآن تفصيلاً : قال تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل
شيء) ، فهو أي القرآن الكريم كما هو معلل على سبيل الإجمال والعموم في
العاجل والآجل فهو كذلك معلل بنفس تلك العلل والمقاصد تفصيلاً وفي بيان ما
لله من صفات الكمال والجلال ، وفي بيان أن الله واحد لا شريك له في ملكه

وألا شبيه له في ذاته ، وفي جانب الشريعة سن القرآن كثيراً من التشريعات والنظم التي يحتاج إليها الناس في العبادات والمعاملات والصلاة وعلاقتهم بغيرهم من الدول في السلم والحرب وقد فصل الباحث كل ذلك تفصيلاً دقيقاً في كل جوانب الحياة .

المطلب الرابع

فوائد المقاصد

أوضح فيها الباحث فوائد مقاصد القرآن الكريم حيث ذكر التالي :-

- ١- زيادة الإيمان وتقويته وطمأنينته .
 - ٢- الوقوف على محاسن شريعة الإسلام .
 - ٣- تبين الأهداف السامية والغايات التي جاءت بها الرسل وأنزلت لها الكتب .
 - ٤- تكوين فهم مستنير لدين الله .
- ومنها ما هو من معرفة مقاصد الشريعة وتلخص في التالي :
- ١- إبراز علل التشريع وحكمه وأغراضه .
 - ٢- إنها تعين في الدراسة المقارنة على ترجيح القول .
 - ٣- تمكين الفقيه من الاستنباط على جزء المقصد الذي سيعين على فهم الحكم .

- ٤- إثراء المباحث الأصولية ذات الصلة بالمقاصد .
- ٥- التقليل من الاختلاف والتزاع الفقهي والتعصب المذهبي وغير ذلك من المقاصد .

الباب الثاني

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وفيه فصلان

الفصل الأول

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

تعريف الوحدة الموضوعية في اللغة

أولاً : تعريف الوحدة لغة : يقول العلامة الشيخ محمد النجار ، فأما الوحدة فقد فسرت في المعاجم بالانفراد وتستعمل الآن في معنى الاتحاد أو صيرورة الاثنين فما فوقها واحداً .

ثانياً : تعريف كلمة " الموضوعية " في اللغة : يقول الباحث وبالتدقيق في كتب اللغة إشارة إلى تصحيح إطلاق الموضوع على القضية الواحدة .

المطلب الثاني

تعريف الوحدة الموضوعية كمركب وصفي

وقد عرفها الدكتور/ محمد محمود حجازي بقوله اتحاد الموضوع الذي ذكر متناذاً لا تباين فيه ولا اختلاف ، بل يؤلف وحده موضوعية له كاملة .

ذكر الدكتور/ عبد الغفار عبد الرحيم بقوله (الوحدة الموضوعية هي النظر في السورة الواحدة لوحدة مؤلفة مترابط أجزائها وتتماسك معانيها في سياق واحد).

وكذلك تعريف الدكتور/ عبد الستار فتح الله سعيد للتفسير الموضوعي بقوله (هو علم يبحث في قضايا القرآن المتحدة معنى أو غاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها) .

المطلب الثالث

تطور فكرة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وفيها يذكر الباحث أن الدكتور/ عبد الغفار عبد الرحيم يرى أنها دارت بين العلماء أخذاً ورداً من أبي بكر النيسابوري والغزالي إلى الفخر الرازي إلى برهان الدين البقاعي وأبي بكر بن العربي حيث وصلت إلى ابن القيم فأخرجها إخراجاً طيباً في تفسير القرآن .

ويصل الدكتور/ عبد الغفار إلى القول باستواء الفكرة نضجاً واشتدادها عوداً واكتمالها بناءً لتأخذ وضعها في الدراسات القرآنية فكانت آخر مرحلة من النمو لها حتى الآن هي رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الدكتور/ محمد محمد حجازي والتي كانت بعنوان (الوحدة الموضوعية) في القرآن الكريم .

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم وفيه مطلبان

المطلب الأول

الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بشكل عام وفي السورة الواحدة بشكل

خاص

ذكر فيها الباحث إن تناسق الموضوعات في كل من سور القرآن قضية مدهشة حقاً وبخاصة أن سور القرآن نزلت نجوماً متفرقة في نيف وعشرين سنة فسورة البقرة نزلت في عشر سنين فاستوعبت الزمن المدني كله حتى كثير من السور القصيرة كان بين الجزء والآخر منها أعوام عديدة . ومع ذلك وحينما ننظر في السورة نجد أنها تكون وحدة موضوعية متصلة الأجزاء محكمة الحلقات وهذه ميزة متفرد بها القرآن الكريم وحده .

المطلب الثاني

العلاقة بين الوحدة الموضوعية والتفسير الموضوعي !
ويرى الباحث أن كلاً من التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية يكمل الآخر فهنا وجهان إذا جاز التعبير لعملة واحدة هي أغلى وأحلى وأطهر وأزكى إنه القرآن الكريم تتجدد معانيه بتجدد الزمان والمكان ولا ينضب ولا يبلى.

الفصل الثاني

شبهات حول القرآن الكريم وردّها وفيه مبحثان

المبحث الأول :

تعريف الشبهة وتعريف المستشرقين وفيه مطلبان :

المطلب الأول

ولقد عرف فيها الباحث الشبهة لغة واصطلاحاً وذكر فيها تعريف المستشرقين.

والشبهة : هو أن لا يتميز أحد الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى والشبهة في الاصطلاح ما التبس أمره فلا يُدرس أحلال هو أم حرام وحق هو أم باطل، ويعرف الاستشراق في اللغة العربية بأنه يأتي من كلمة الشرق.

الشرق : جهة شروق الشمس .

المشاركة : أهل المشرق .

المشرق : البلاد الإسلامية في شرق الجزيرة العربية وجمعه مشارق .

وفي الاصطلاح : هو دراسة الغربيين للشرق عموماً وللشرق العربي والإسلامي خصوصاً .

المطلب الثاني

نشأة الشبهة حول القرآن الكريم

يتطرق الباحث إلى أن هذه النشأة ليست وليدة عصرنا الحاضر فقد ظهرت قديماً وبرز التشكيك والطعن واللمز والغمز في القرآن منذ بداية تنزله .
وحديثاً انظم إلى ركب الطاعنين قديماً من الملحدين معظم المستشرقين وليس كل المستشرقين وقد تميز من المستشرقين أناس أصحاب حب وإنصاف وهؤلاء لهم كتابات مفيدة ومنهم مسلمون ومعظمهم مغمور غير معروف .

المبحث الثاني

أنواع الشبهة المثارة حول القرآن والرد عليها وفيه توطئة وثلاثة مطالب
المطلب الأول : شبهات حول أسلوب القرآن والرد عليها .

المطلب الثاني : شبهات حول الوحدة الموضوعية والرد عليها .

المطلب الثالث : رد بمتان (القرآن الحق) .

- أنواع الشبهة المثارة حول القرآن الكريم والرد عليها ومن أهم هذه الشبهة:-

١- شبهة عدم إعجاز القرآن الكريم بدليل أنه لم يخرج عما هو معهود عند العرب من أساليب وتراكيب ومنهاج لغوية .

٢- شبهة حول محتوى القرآن الكريم ومقاصده شكلاً ومضموناً .

٣- شبهة تفكك أجزاء القرآن وعدم وجود الوحدة الموضوعية وأنه فيه تكرار للموضوع الواحد .

٤- شبهة حول الترتيب والتناسب بين سورة القرآن طولاً ومقصداً وأن سورة الفاتحة مجرد أدعية قصيرة .

ويندهش المرء أن توثق هذه الشبهة في موسوعة تدعى أن سماها العلم والمعرفة إنها الموسوعة البريطانية Encyclopedia British هي من يتحدث في ذلك التشويه . كما أن هذه الشبهات تصدر عن بعض المارقين والمرزقة متمثلة في إدعائهم وجود حشو في أسلوب القرآن الكريم . فهؤلاء لا حظ لهم من العلم سوى الاسم وذلك لعدم إعمالهم الفكر بشكل سليم بغية إدراك وجوه البلاغة القرآنية وأسرارها أو لعدم رجوعهم إلى اللغة العربية ومصادرها ليعرفوا مأخذ القول وطرق البيان فجمعوا في ذلك بين ضعف العلم وقلة الفهم وضيق الأفق .

المطلب الأول

الشبهة حول أسلوب القرآن وعدم الإعجاز فيه والرد عليها
يقول المشككون : إن القرآن غير معجز في أسلوبه بدليل أنه لم يخرج عما هو
معهود عند العرب من أساليب وتراكيب ومناهج لغوية فمن حروفهم ركبت
كلماته ومن كلماتهم ألفت جملة ومن تراكيبهم ومفرداتهم جاءت آياته وعلى
مناهجهم وأساليبهم في التكليف جاء منهاجه .

ويرد عليهم بقوله (فكون لغة القرآن من نفس مادة العرب الكلامية وكون
مادته الكلامية من نفس مادتهم الكلامية وكون صفته البيانية هي نفسها ولم تخرج
عن صفتهم البيانية فهذا هو الإعجاز بعينه ولو لم يكن القرآن كذلك لما كان
معجزاً في لغته وأسلوبه ومادته ، ولو دخل عليهم من غير هذا الباب الذي
يعرفونه لأمكن أن تلمس لهم حجة أو شبهة طعن ولكن الله أكد لهم في أكثر من
موضوع بعربية القرآن الكريم فقال تعالى : (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)
وأكد عروبه في غير موضع فقال : (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) .

المطلب الثاني

شبهات حول الوحدة الموضوعية والرد عليها
ومن هذه شبهة قول المستشرقين في القرآن (إنه مفكك الأجزاء سيئ الترتيب
مشئت المعاني ليس فيه وحدة الموضوع ولا يتبع منهج التأليف العلمي) .

ومن الشبهة ما ورد في الموسوعة البريطانية ما نصه (يصعب جداً تصنيف محتويات القرآن حيث إنه صنفت محتوياته حسب الفترة الزمنية فإن هذا يؤدي إلى تناقض) .

ومن الشبه أيضاً (إنه في التكرار الموضوعي أو الوحدة الموضوعية استدراكاً علمياً إذا لو شاء الله تعالى لجعل القرآن على الترتيب الموضوعي أول الأمر) .
وقد تولى الرد على هذه الشبهة مجموعة من العلماء قديماً وحديثاً وقدمت في ذلك رسائل وكتبت مصنفات وخاصة في الشبهة الأولى المتعلقة بتكرار القصص القرآنية ووقف العلماء قديماً وحديثاً في رد هذه الشبهة ودحضها الدكتور محمد سيحون في كتابه (أسرار التكرار في لغة القرآن) وذكر أيضاً أن هذا الزور الذي يردده هؤلاء الملحدون أو يكونه عن غيرهم إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم أعاجم أو أشباه أعجم لم يذوقوا البلاغة العربية ولم يتصلوا بأسرارها .

المطلب الثالث

رد بختان (الفرقان الحق)

فأراد بما الباحث أنها آيات شيطانية جديدة تسمى الفرقان الحق وهي الأضحوكة الجديدة القديمة لأعداء الله وأعداء رسله ودينه — إنه القرآن الأمريكي اليهودي كذبة القرن الواحد والعشرين والتي تستهدف القرآن الكريم وتسيء للذات الإلهية (الفرقان الحق) وهدفه التشكيك في القرآن وهو امتداد للحملة على القرآن الكريم .

ومصحف الفرقان الحق المزعوم يقع في ٣٦٦ صفحة من القطع المتوسط
ومترجم باللغة العربية والإنجليزية ويوزع في الكويت على المتفوقين من أبنائنا
الطلبة في المدارس الأجنبية الخاصة والتي أصبحت مرتعاً خصباً للمتنصرين .
ويتألف هذا الفرقان المتردي من سبعة وسبعين وحدة مختلفة وخاتمة ومن أسماء
تلك الوحدات (الفاتح - المحبة - الميح - الثالث - المارسية - الصلب - الزنا
- الماكرين - الرعاة - الإنجيل - التزير - التحريف - الجنة - الأضحى -
العبس - الشهيد - ... الخ) .
ويفتتح البسملة الطاقاة بقوله (بسم الأب الكلمة الروح الإله الواحد .. مثلث
التوحيد - موحد التثليث ما تعدد) .

الباب الثالث

مقاصد القرآن في السبع المثاني وفيه فصلان

الفصل الأول :

الترتيب والتناسب بين الآيات والسور في القرآن الكريم وفيه مطلبان

المطلب الأول :

ترتيب الآيات

وبعد البحث والوقوف من قبل الباحث على أكثر من مرجع حول هذا
الترتيب اتضح إجماع الأمة على أن ترتيب الآيات أمر توقيفي من الرسول ﷺ
يحسم هذا الأمر بوضوح .

فهذا حديث أخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ، ثم قال : (أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة) إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) فهذا تصريح من النبي ﷺ بأن الترتيب توفيقى وليس باجتهاد .

المطلب الثاني

ترتيب سور القرآن الكريم

وقد نوه الباحث بأن الأمة ذهبت إلى أن ترتيب السور على ما هو عليه إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : ما ذهب إليه الجمهور أن ترتيب السور كترتيب الآيات كلها توفيقى .

القول الثاني : إن ترتيب السور على ما هو عليه الآن تم باجتهاد الصحابة واستدل من ذهب إلى هذا القول باختلاف ترتيب مصاحف الصحابة قبل جمع المصحف على عهد عثمان .

القول الثالث : إن بعض السور كانت بترتيب من النبي ﷺ أي بتوقيف منه وترتيب بعضها الآخر كان باجتهاد من الصحابة وتم الرد على أصحاب هذا القول من جمهور العلماء وذلك برد روايتهم وتضعيفها .
والراجح من هذه الأقوال الثلاثة هو القول الأول وذلك لإجماع العلماء عليه .

الباب الرابع

نماذج من علاقة سور القرآن بالفاتحة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : نموذج سورة البقرة ، وفيه مبحثان .

المبحث الأول : بين يدي سورة البقرة ، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : أسماؤها وزمان ومكان نزولها وعدد آياتها.

المطلب الثاني : فضل سور البقرة.

المطلب الثالث : أهداف ومقاصد سورة البقرة.

بين يدي سورة البقرة

وهو إثبات تفصيل القرآن الكريم لما أوجزته الفاتحة، حيث قسم العلماء سور

القرآن إلى أربعة أقسام: قسم المثاني، وقسم المئين، وقسم المفصل، وقسم السبع الطوال .

الفصل الأول

نموذج سورة البقرة وفيه مبحثان

المبحث الأول

بين يدي سورة البقرة وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

أسماؤها وزمان ومكان نزولها وعدد آياتها

أشهر هذه الأسماء: سورة البقرة، والزهراء، وسنام القرآن، وفسطاط القرآن بسورة الكرسي .

ونزلت سورة البقرة بالمدينة وهي أول ما نزل من القرآن بالمدينة إلا قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فهي آخر آية نزلت من القرآن. أما عدد آياتها فهي : مائتان وست وثمانون آية (٢٨٦) وعدد كلماتها ستة آلاف ومائة وواحد وعشرون كلمة (٦١٢١) .

المطلب الثاني

فضل سورة البقرة

روى مسلم والنسائي والترمذي عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة».

وقال ابن العربي: سمعت بعض أشياخي يقول عن البقرة: فيها ألف أمر وألف نهي، وألف حكم وألف خير.

المطلب الثالث

أهداف ومقاصد سورة البقرة

ويلخص د/ عبد الله شحاتة أهداف ومقاصد السورة في النقاط التالية:
بيان أصول العقيدة وذكر أدلة التوحيد، ومبدأ خلق الإنسان، وبيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن، وهم ثلاثة أصناف: المؤمنون، والكافرون، والمنافقون،

وكذا تعرضت السورة لتاريخ اليهود الطويل، وناقشتهم في عقيدتهم وذكرتهم
بنعم الله على إسلامهم .

المبحث الثاني

الترتيب والتناسب في سورة البقرة : وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

المناسبة بين أسماء السورة وموضوعاتها

يقول الإمام البقاعي : إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها؛ لأن اسم كل شيء يظهر بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه، ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها.

فمن أسمائها البقرة لورود قصة البقرة فيها، وتدل على البعث وإحياء الموتى، وسمت بالزهراء لإنارتها طريق الهداية، وسميت بسنام القرآن لأنه ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد بأعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة، وسميت بسورة الكرسي لاشتمالها على آية الكرسي التي هي أعظم آيات القرآن .

المطلب الثاني

المناسبة والعلاقة بين الفاتحة والبقرة

وهي إن الفاتحة لما اشتملت على أحكام الإلوهية والعبودية وطلب الهداية اشتمالاً إجمالياً جاءت سورة البقرة ففصلت تلك المقاصد ووضحت ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من هداية وتوجيهات.

المطلب الثالث

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها

وحول المناسبة بين أول السورة وآخرها يقول الدكتور حسن الترابي في تفسيره للآيتين (٢٨٥-٢٨٦) هذا ختام السورة يجمع أولها إلى آخرها، وهنا ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وقد تأكد ماضياً إيمانهم كافة بالله والملائكة غيباً، وبالكتب والرسول، هدى موحداً لا يفرقون بين أحد من رسله غفلة أو عصبية، وفي أول السورة ذكر الإيمان بوحدة الرسالة عبر المرسلين الذين يؤمنون بما أنزل من قبلك وبالأخرة يوقنون.

الفصل الثاني

سورة الكهف (أنموذجاً) وفيه مبحثان

المبحث الأول

سورة الكهف: وفيه ثلاثة مطالب

بين يدي سورة الكهف

وهي إحدى سور القسم الثاني من أقسام القرآن: قسم المثين، اختيرت لتكون أنموذجاً للسور التي فصلت ما أحمل في سور الفاتحة، وأن الوحدة الموضوعية متمثلة فيها من خلال معالجتها لعدد من القصص وربط مجموعة من القيم والأخلاق المشتملة عليها بموضوع العقيدة.

المطلب الأول:

فضلها وفضل العشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال

روى مسلم في حديثه عن قتادة، عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال». وفي مسند أحمد من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض».

المطلب الثاني

أهداف ومقاصد سورة الكهف

يذكر د/ عبد الله شحاتة أهداف سورة الكهف ومقاصدها، حيث يقول: «نزلت سورة الكهف بمكة، في وقت اشتدت فيه حملة القرآن على المنكرين والمكذبين بيوم الدين، وقد نزلت قبلها سورة الغاشية وهي سورة تبدأ وتنتهي بحديث الساعة، وغياب الناس جميعاً إلى الله ليحاسبهم على ما قدموا، فالمحور الموضوعي لسورة الكهف هو تصحيح العقيدة، وتأكيد قدرة الله على البعث والجزاء وتصحيح المفاهيم الخاطئة».

المطلب الثالث

حقائق ولطائف في سورة الكهف

إن قراءة سورة الكهف بتدبر تشير إلى حقائق كونية ضخمة، سردت بأسلوب لطيف وشيق، يلفت فتحدثت عن ثلاث قصص:

١- قصة أهل الكهف، ٢- قصة موسى والعبد الصالح، ٣- قصة ذو القرنين.

ويورد الإمام السيوطي في تناسق الدرر في تناسب السور، ويرى أن كل ربع من القرآن الكريم قد افتتح بسورة أولها الحمد، فالربع الأول افتتح بسورة الفاتحة والربع الثاني افتتح بسورة الأنعام، والربع الثالث افتتح بسورة الكهف، والربع الرابع والأخير افتتح بسورتي سبأ وفاطر.

المبحث الثاني

الترتيب والتناسق في سورة الكهف وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

المناسبة بين اسم السورة وموضوعها
لو نظرنا إلى الاسم وإلى موضوعات السورة لوجدنا بين الاسم والموضوعات مناسبة لطيفة، إن الموضوعات في هذه السورة من تدبرها ولجأ إليها كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعها، فإن كان الكهف الذي لجأ إليه الفتية كهفاً محسوساً ملموساً فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وحفظه وستره فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة.

المطلب الثاني

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمها
إن من يقرأ سورة الكهف بتدبر وتمعن ويقف عند آياتها من مفتتحها إلى خاتمها يجد مناسبات وروابط كثيرة وواضحة، فهي تبدأ بالحمد والثناء وهكذا يتساوى البدء والختام في إعلان الوحدة، وإنكار الشرك وإثبات الوحي

والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث، فتكون السورة قد افتتحت بذكر الألوهية واختتمت بذكر الربوبية.

المطلب الثالث

التناسب والعلاقة بين سورة الكهف وسورة الفاتحة ونكتفي هنا بقول الإمام محمود شتلوت حول العلاقة بين سورة الكهف وسورة الفاتحة، حيث يقول: «ومما تجدر ملاحظته أن هذه السور الخمس -يعني سور الحمد- قد دارت حول بيان ربوبية الله للعالم من ناحيتها الخلقية والتشريعية، وأن سورة الفاتحة تختص من بينها بأنها أجملت ذكر هذه الربوبية من الجانبين وأن السور الأخرى جاءت كتفصيل لهذا الإجمال».

الفصل الثالث

سورة الناس (أتمودجاً) وفيه

المبحث الأول

بين يدي سورة الناس

ففي سورة الناس استعانة من شر الوسوسة التي هي أصل الشرور من داخل الإنسان، وبلاستعانة بالسورتين يحترز الإنسان من الشرور كلها داخلها وخارجها، وموضوع سورة الناس هو (الوسواس).

المطلب الأول

اسمها وزمان ومكان نزولها وعدد آياتها وفضلها

تسمى سورة الناس؛ لأن اسم الناس تكرر خمس مرات في السورة، وهي تسمى مع السورة السابقة لها، وهي سورة الفلق بالمعوذتين، وهي مكية، نزلت قبل الهجرة، وعدد آياتها ست آيات، وهي ثاني المعوذتين، وورد في فضلها كثير من الأحاديث.

فعن عقبة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قلت: بلى، قال: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس».

المطلب الثاني

أهداف ومقاصد سورة الناس

مقصود سورة الناس الاعتصام بالإله الحق من شر الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك؛ لأن الإنسان مطبوع على الشر، ومقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذي هو المراقبة، وهي شاملة لجميع علوم القرآن التي هي مصادقة الله ومعادة الشيطان ببراعة الختام.

المبحث الثاني

الترتيب والتناسب في سورة الناس

المطلب الأول

المناسبة بين اسم السورة وموضوعها وعلاقته أول السورة بآخرها إن اسم السورة هو الناس وموضوعها الوسوسة والاستعاذة منها، والمقصود من ذلك الاعتصام بالإله الحق من الخلق الباطن، واسمها دال على ذلك، وقد تكرر اسم السورة خمس مرات، مشتملاً لآيات السورة كلها، فعلاقة السورة بموضوعها أشد التصاقاً وارتباطاً وأكثر إيضاحاً من بداية السورة إلى نهايتها، وقد ختمت السورة بما بدئت به.

المطلب الثاني

المناسبة والعلاقة بين سورتي الفاتحة والناس إن العلاقة بين سورة الناس وسورة الفاتحة صحيحة والتناسب عجيب فقد بدئت هذه السورة برب الناس، وهي آخر سورة في القرآن كما بدئت أول سورة برب العالمين وهي الفاتحة ورب الناس ورب العالمين، واحد والكتاب الذي أنزله واحد، وما بين دفتيه شيء واحد يرتبط كل حرف فيه بالذي قبله ارتباط الروح بالجسد.

الخاتمة

لقد اتضح من خلال البحث أن سورة الفاتحة قد اشتملت على جميع مقاصد القرآن الكريم أتم اشتمال وتناولت هذه الدراسة أهم ما يتعلق بمقاصد الشريعة بدءاً من التعريف بها وانتهاءً بطرق وفوائد معرفتها، وأثبت البحث أن مقاصد الشريعة تندرج تحت مقاصد القرآن الكريم، وأنها بمثابة الفرع للأصل الذي هو القرآن الكريم.

وأشارت الدراسة كذلك إلى أهم مقاصد القرآن وإلى أن الوحدة الموضوعية في القرآن ليس لها مثيل من حيث الترابط والتلاحم بين أجزائها.

وفي الختام

هذه الرسالة قيمة وجيدة في موضوعها بيد أن إدخال الباحث قضية المقاصد الشرعية في بحثه وتركيزه على المقاصد القرآنية بشكل أكبر جعل حظها من العناية غير بارز فهضمت.

نجد الباحث أيضاً في الباب الثاني والثالث لم يذكر المبحث الأول.

والله المستعان

THE HOLY QURAN HIGH COLLEGE MAGAZINE

**Annual; Scientific; And Precise; Issued BY
The Holy Quran High College – Republic Of Yemen
Issue No. (6)**

Chief of Editing

Prof . Dr. Abdulhaq AL-Qadhi

Director of Editing

Mr. Hasan Jaber

Deputy Director Of Editing

Ms. Fawzia AL- ghabri

Secretary Of Editing

Mr. Fuad AL-Surihy

Consultation Body

Prof. Dr. Hasan Mohammad AL-Ahdal .
Prof. Dr. Mohammad Sinan AL-Jalal.
Prof. Dr. Abdulkareem Zaydan .
Prof. Dr. Abdulwahab Lutf AL-Daylami.
Prof. Dr. Ali Ghaleb AL- Mikhlaifi.
Prof. Dr. Saleh Abdullah ALdhabiani .
Prof. Dr. Mohammad Yousef AL-Rubaydi.
Prof. Dr. Abdulrahman Ibrahim AL-khamisi.
Prof. Dr. Mohammad Hatem AL-Mikhlaifi.
Prof. Dr. Ibrahim Ibrahim AL-Quraybi.
Dr. Abdullah Othman Al-Mansouri.
Dr. Zaid Ali Al- Ghaili

All Correspondences To be Titled To Director Of Editing On The
Following Address

The Holy Quran High College Magazine
Republic Of Yemen – Sana'a

Tel: 216864/5 Fax: 00967-1-216869 – P.O Box (11229)

E-mail: hcqk@hcqk.net

Web-site: www.hcqk.org

Printing And Artistic Direction : Ahmad Ali Al-hbab